الجزءان الأول والثاني

ISSN 0258-1442

مجلّة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا »

مجلّة محكّمة فصليّة

كانون الثاني - حزيران ٢٠٢٤م

أغراض المجلة:

إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية وأبرزها:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

البحوث والمقالات المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء أصحابها،
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع باستثناء القرارات المجمعيّة

قواعد النشر:

١- أن يتسم البحث بالجدَّة والأصالة والموضوعية.

٢- أن يُرفق البحث بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني.

٣- ألَّا يقلَّ البحث عن عشر صفحات وألَّا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة (٧٠٠٠ كلمة)، أما المقالات والتعريف بالكتب فيُقبَل منها ما يقلُّ عن عشر صفحات.

٤- أن تكتب في بداية البحث مقدمة تبين الغرض منه والبنود الرئيسية التي سيتناولها بالتفصيل.

٥- أن يخلو البحثُ من أي إساءة إلى الكُتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.

٦- أن يُعِدَّ الباحث - إذا رغب في ذلك - ملخصاً لبحثه بالإنكليزية أو الفرنسية.

٧- أن يلتزم الباحث المنهجَ العلميَّ في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي:

أ- «اسم المؤلف أو الكاتب – اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة»، **وفي المصادر والمراجع** يكتب:

ب- «اسم الكتاب - اسم المؤلف - اسم دار النشر ومكانها - رقم الطبعة وتاريخها».

ويمكن للكاتب أن يتخيّر أحد البندين (أ) أو (ب) على أن يجري على نسق واحد في توثيق المصادر والمراجع والحواشي.

٨- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة بالحرف (Mylotus) أو (Traditional Arabic) قياس (١٦)، وأن تشفع بقرص مدمج مسجلٍ عليه عنوان البحث، أو ترسل بالبريد الإلكتروني.

٩- على الباحث أن يلتزم مصطلحاً واحداً في بحثه إذا تعددت المقابلات العربية للأصل الأجنبي والأولى أن يكون مما جاء في المعاجم المتخصصة.

١٠- أن تُوضع الكلمات العربية أو المُعرَّبة **قبل** مقابلها الأجنبي عند ورودها **أول مرة فقط**، نحو: تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسية (Psychologic).

١١- أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، الفاصلة المنقوطة، ...إلخ.

١٢- تنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد عليها بعد أن تخضع للتقويم السِّرّي.

١٣- ألّا يكون البحث منشوراً أو مرسلاً للنشر في مجلة أخرى أو مستلًّا من رسالة، ويتعهد الباحث بذلك خطيًّا.

١٤- إذا لم يلتزم الكاتب بإجراء ما يجب من تعديلات يقترحها المحكمون في مادته التي أرسلها إلى المجلة، في الفرصة المتاحة للتصحيح - ولا تعاد المادّة إلى صاحبها لإجراء التعديلات إلّا مرّة واحدة فقط - كان للمجلة الحقُّ في رفض نشر تلك المادّة.

١٥- تُرتَّب البحوث والمقالات وَفق اعتبارات فنية.

١٦- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردُّ إلى أصحابها.

١٧- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان الآتي:

دمشق ص. ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: E – mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت):

www.arabacademy.gov.sy

❋ ❋ ❋

فهرس الجزأين الأول والثاني

من المجلد السابع والتسعين

البحوث والدراسات

- ديوان سيف الدين المشد في ثلاثة
تحقيقات: أوهام وفوات د. عباس الجراخ ٩
- التباس الخط المغربي والأندلسي في
المخطوطات على بعض النساخ المشارقة أ. مأمون الصاغرجي ٤٩
- نظرات في معجم لسان العرب (٦) د. محمد يحيى زين الدين ٦٥

المقالات والآراء

- ما الفرق بين تسلم واستلم؟ د. مكي الحسني ١٠٥
- الكشكول اللغوي (٦): النور والنار،
والنهر والنهار، والمنار، والأوار د. رفعت هزيم ١٠٧

التعريف والنقد

- اللسانيات - مقدمة إلى المقدمات
تأليف جين إِتشسن عرض ومراجعة د. أحمد قدور ١١٩

المحاضرات والندوات

- بين اللغة واللهجة د. مازن المبارك ١٤٣

- في تلقي المنهج الوصفي
وتوظيفه في النحو العربي د. محمد عبدو فلفل ١٦١
- عربية القرآن التي عرّبت العالم د. عيسى العاكوب ٢٠٧
- ندوة بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية ٢٢٣
  - (العربية) كلمة أ. د. مازن المبارك ٢٢٥
  - جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في
المعاجم المصطلحية كلمة أ. مروان البواب ٢٣٣
  - لغة العروبة - قصيدة أ. أحمد بوبس ٢٤٣

أنباء مجمعية وثقافية

- كلمة الدكتور محمود السيد في المؤتمر السنوي التاسع والثمانين
لمجمع اللغة العربية في القاهرة ٢٤٧
- مباركات للأستاذ الدكتور محمود السيد ٢٥٧
- من قرارات المجمع في الألفاظ والأساليب ٢٦١
- أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع (١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م) ٢٨١

❊ ❊ ❊

البحوث والدراسات

دِيوانُ سَيفِ الدِّين المُشِدّ
في ثلاثةِ تحقيقات... أوهامٌ وفَوَاتٌ

أ. د. عباس هاني الجراخ(*)

سيفُ الدين عليّ بن عُمر بن قَزَل بن جَلدَك التركمانيّ الياروقيّ، المعروف بـ(المُشِدّ)، شاعرٌ مجيدٌ، وُلِدَ في مِصرَ سنة ٦٠٢هـ، وتَوَلّى شَدَّ الدَّواوين(١) مُدَّة سنتين، ثُمَّ انتقل إلى دمشق، وتولّى ذلك للملك الناصر صلاح الدِّين يوسف مُدَّةً، وكانَت وَفاتُهُ سنة ٦٥٦هـ.

استشهدَ القدماءُ بنصوصٍ من شعرهِ في مصنَّفاتِهِمْ، وأَشارَ ابنُ شاكر الكُتُبيِّ (ت٧٦٤هـ) إلى أَنَّ «لهُ ديوانَ شِعرٍ في غاية اللّطافة والرقّة»(٢)، وزادَ آخرون أَنَّه «مشهور بأيدي الناس»(٣).

(*) رئيس تحرير مجلة (المحقِّق) المحكَّمة - العراق.
ورد إلى المجمع بتاريخ ٥/ ٧/ ٢٠٢٣م.

(١) شدُّ الدواوين: هو «أن يكونَ صاحبها رفيقًا للوزير، مُتَحَدِّثًا في استخلاصِ الأموال، وما في معنى ذلك»، صبح الأعشى ٤/ ٢٣. وعملُ المشدِّ كعمل «الرئيس والوكيل الضابط الذي يُرَاقِبُ الأَعمَالِ مِنْ كُلِّ نوع، ويحثُّ المُوَظَّفين على العمل، ويجمع ضرائب الكمرك وغيرها من الضرائب والخراج»، يُنظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ١٩١، تكملة المعاجم العربية ٦/ ٢٧٦.

(٢) عيون التواريخ ٢٠/ ١٢٠.

(٣) النجوم الزاهرة ٧/ ٦٤، وينظر: الذيل على الروضتين ١٩، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٢، البداية والنهاية ١٧/ ٣٥٤-٣٥٥، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٧.

وكان المعروف لدى المحقّقين والباحثين - اعتمادًا على بروكلمان[٤] - أنَّ نُسَخَ الدِّيوانِ هي الموجودة في مكتبة لايبزك الألمانية، والإسكوريال، والمتحف البريطاني، فضلًا عن نسخة رابعة لـمْ يُشِرْ إليها بروكلمان هي التيمورية القابعة في دار الكتب المصرية برقم (٩٢٣- شعر/ تيمور)[٥].

وقد ظهرَتْ من تتبعي واستقرائي ثلاثةُ تحقيقات للدِّيوانِ - اثنان منها مطبوعان - بَدَتْ متباينةً ومضطربةً في إيراد المادة الشِّعريَّة ومنهج التحقيق، وتَحَصَّلتْ لي مِن قِراءَتِها مسائل علمية شتّى، وجدتُ من المناسب تقديمها في هذا البحثِ خِدمَةً للشّاعِرِ ودِيوانِهِ، وهي:

١- (ديوان سيف الدين المشدّ)، تَحقيق وتقديم د. محمد زغلول سلّام، شركة المعارف بالإسكندرية، ١٩٩٩م، في ١٦٩ صحيفة، منها صحائفُ بيض.

٢- (ديوان ابن قزل المشدّ)، دراسة وتحقيق هاني محمد حمود الرفوع، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٠م، في جزأين، ٨٩١ ص، وقد اطَّلعتُ على الرسالةَ في ١٤/ ٥/ ٢٠٢٣م، عن طريق د. محمد محمود الدّروبي.

٣- (ديوان ابن قزل)، تحقيق ودراسة د. مشهور الحبازيّ، مركز التعاون والسلام الدولي- القدس، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٥٣٣ ص. وقد أَهداني مُحَقِّقُهُ مَشكُورًا نُسخَةً، وَصَلَتْ إِليَّ عن طريق الأردن في يوم الثلاثاء ٨/ ١١/ ٢٠٢٢م.

ورأيتُ الاهتمام بالتحقيقين الأخيرين؛ لكونِهما رسالتين جامعيتين قامتا على ثلاث مخطوطات، بخلافِ «التحقيق» الأوّل الذي أَثبَتُّ أَوهامَهُ مُفَصَّلةً ومُعَزَّزَة بالشَّواهِدِ والأَدِلَّةِ وأُمُور أُخرى، وجَلَوتُ ذلكَ خَيرَ جَلوةٍ في مَقالٍ

(٤) يُنظر: تاريخ الأدب العربي ٥/ ٧٨، ويُنظر: تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ١٨.

(٥) يُنظر: فهرس المخطوطات المصورة ١/ ٤٥٣.

كامِلٍ حَبَّرتُهُ لِكُلِّ هَذا[٦]، وهذا لا يمنع من الإشارةِ إليهِ عند الحاجة، في نظرات مسوقة على النَّحوِ الآتي:

أوَّلًا: منهجُ التَّحقِيقِ:

اختلفَتْ مناهجُ المحقِّقينَ الثلاثة في تَحقيقهم الديوان، فالدكتور محمَّد زغلول سلّام كانَ قَد نَشَرَ خَبرًا سنة ١٩٩٩م عَن قِيامِهِ بِتحقيقِ الدِّيوان على المخطوطة التيمورية فقط[٧]، وقد دَعاني هذا إلى أَنْ أَبعثَ إليهِ بِرسالةٍ مفصَّلةٍ، أَخبرتُهُ فيها بِأَنَّني أُعِدُّ رِسالةً جامعيَّةً لِدراسَةِ شِعرِ المُشدِّ، وتحقيق دِيوانه على أربعِ مخطوطاتٍ وقتذاكَ، عدا (الذيل) المصنوع، وقد أَشارَ عددٌ مِن الباحثين وقتذاكَ إلى شروعي بتحقيق ديوان المُشِدِّ[٨].

وأَكَّدتُّ أَنَّ مِنَ الخَطأ تَحقيقَ الدِّيوانِ على مخطوطةٍ واحدةٍ ناقصةِ الأَوَّلِ والآخرِ، وسَقَطَتْ أَوراقٌ مِنْ داخِلِها، وفيها طمسٌ كثير، مع أنَّ هناكَ نُسَخًا خَطِّيَّةً أُخَر أَوفى وأكمل، وقد وَصَلَتْ إليهِ الرِّسالةُ، ولكنْ لم أَتَلَقَّ جَوابًا مِنه، وزِدتُ على ذلك بِأَنْ أَرسَلتُ تَعقِيبًا إلى الجريدَةِ نَفسِها التي نَشَرَتِ الخَبَرَ، بيَّنتُ فيه خلاصةَ عملي، قِياسًا إلى عملهِ الناقصِ[٩].

ويبدو أَنَّ د. سلّام عزَّ عليه - وقد اطَّلعَ على رِسالَتي وتَعقِيبي - أَنْ يُحجِمَ عن نَشْرِ عَمَلِهِ بِهذِهِ الصورة المُتَعَجِّلة، إذ بَدَأَهُ بِمقدِّمَةٍ قصيرةٍ أَورَدَها بلا احتفالٍ أَو عِنايَةٍ، وفيها كَثِيرٌ مِنَ الابتسارِ وعَدَمِ الدِّقَّة، مَعَ نَقصٍ شَديدٍ في

(٦) نُشِرَ المقالُ النقدي الطويل في كتابي: في نقد التحقيق ١٤٦-٢٣٥، ثمَّ أَعَدتُهُ- بعدَ إضافات مهمةً- في مجلة (الذخائر) البيروتية، ع ٢٥-٢٦، ٢٠٠٦م، ص ٢١٧-٢٢٦.

(٧) أخبار الأدب، العدد ٣٠٨، ٦ يونيو، ١٩٩٩م، ص١٠.

(٨) منهم: الشيخ حمد الجاسر في كتابِهِ: في الوطن العربي ١٩٣، وينظر: نشر الشعر وتحقيقه في العراق ٨٥.

(٩) أخبار الأدب، العدد ٣٢٨، ٢٩، أكتوبر، ١٩٩٩، ص١٠.

الكلام على حَياةِ الشّاعر وأُسرتِهِ، ولمْ يَتَطَرَّقْ إلى أَلقابِهِ أَو وَفاتِـهِ، ولـم يـأتِ بشيءٍ جديد، زيادةً على الفَرشِ الواضحِ للأبيات والقصائد في مقدمةِ عَمَلِهِ، التي بَدَت مُختلفةً عمّا وَرَدَ في متن الديوانِ!

ويُلاحَظُ أَنَّ نُصُوصَهُ التي وَرَدَتْ على وفـقِ الحُـرُوفِ الهِجائِيَّـةِ جـاءتْ مبعثرةً من دُونِ النَّظَرِ إلى حَركةِ القافيـة، ووَرَدَ كثيـرٌ منهـا مختَلًّا فـي أوزانِـهِ حينًا، وفي مطابقته للمَخطُوطَةِ حِينًا آخر، ووَهـمَ فـي ذِكْـرِهِ تَخريجـاتٍ غَيـرَ صَحيحَةٍ لبعضِ القِطَعِ التي ظَهَرَتْ مُشَوَّهَةً تشويهًا عَجِيبًا.

ثم إِنَّهُ أَهْمَلَ إثباتَ اختلاف الرِّواياتِ بَينَ المصـادر، أو تعريـف مـا فـي الشِّعر من أعلام ومواضع، وما أَشْبه، ولـمْ يَشَـأْ أَنْ يُـرَقِّمَ القِطـعَ الشـعرية، أو يصنعَ فِهرِسًا لها، ولم يَطَّلِعْ علـى مَخطُوطَـةِ الإسـكوريال المُودعـة مُصَـوَّرةٌ منها في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة!

فإذا تركنا د. سلّام الذي اكتفى بِمَخطُوطَةٍ واحدةٍ هي التيمورية واطمـأنَّ إلى فَرادَتِها، فَإِنَّ الحبازيَّ والرفوعَ اعتمـدا علـى المخطوطـات التـي ذَكَرَهـا برُوكلمان فقط.

واتَّخـذَ الحبـازيُّ نسـخة الإسـكوريال أصـلًا فـي التَّحقِيـق، ورَمَـزَ لهـا بـ(س)، وجَعَلَهـا القِسـمَ الأَوَّلَ فـي التحقيـق؛ «لأنهـا أوفـى النسـخ الـثلاث وأكملها»، وأَلحَـقَ بالعمـلِ ثلاثـةَ ملاحـق، خَـصَّ الملحـقَ (أ) بمـا ورد فـي نسخة (ل) من قطع لم ترد فـي النسـخة الأم، فـي حـين ضـمَّ الملحـقُ (ب) الأشعارَ التي وَرَدَتْ في نسخة (م)، ثم الملحق (ج) الذي رتَّبَهُ على حـروف الهجاء، وحَـوى القَصـائِدَ والمُقَطَّعـات والأَبيـات المفـردة والـدوبيت التـي وجدها «في المصادر والمراجع المختلفة، ولم ترد في الديوان أو المُلحقين أو ب»، وفي القسم الأخير عملَ مستدركًا للقطع والأبيات التـي جـاءتْ فـي

بعض المصادر، ولم ترد في المخطوطات، ورتَّبَ ذلك على القوافي، وختم الديوانَ بِخاتِمَةٍ، ثم المصادر والمراجع، وعدَّتها ٣١ مصدرًا فقط، ثم الفهارس الفنية التي بدا على أرقامها الزيادة بِمقدار صفحتين خطأً.

أمّا الرّفوع فقد قدَّمَ رسالتَهُ في: ١٩/ ٧/ ٢٠٠٠م، وتاريخ المناقشة: ٩/ ٨/ ٢٠٠٠م، وكانَ تحقيق هذا الديوان باكورة قسم اللغة العربية في جامعة مؤتة[١٠]، وقد رجعَ إلى النُّسخ الثلاث نفسها التي مصوراتها في الجامعة الأردنية، وفي قسم الدراسة درسَ موضوعاته الشعرية، ثمَّ الخصائص الفنية ص ١٣-٦٠، أمّا نصُّ الديوان المحقَّق فهو في ص٨٣-٨٣٦، وختم الرسالة بالفهارس العامة ص ٨٣٨-٨٩٠، ثم المصادر والمراجع، وهي ١٠٩ كتاب فقط، وبعضها لم يفد منها في شَيءٍ، وجعلَ كُلَّ نصٍّ في صفحةٍ بمفردها، وإنْ كانَ نتفةً في بيتين، وهذا الذي زادَ في عددِ صفحات الرِّسالةِ.

واعتمد نسخةَ لايبزك (ل) لتكونَ أصلًا في التحقيق؛ لوجود المقدمة والخاتمة، ولكنَّهُ اضطُرَّ إلى إضافةِ أبياتٍ من نسخة الإسكوريال (س) إليها عندما زاد الأَبيات الأربعة الأخيرة على القطعة النونيةِ ٣٧٢، وذكرَ أنَّ «الطمس والغموض نادر جدًّا» في نسخة (س)، ولكن سَنَرى أَنَّ هذا الكلام غَيرُ دقيقٍ؛ واستدركَ قطعًا على المخطوطات المعتمدة تحت عنوان (الزيادات من المصادر الثانوية) ص ٥٢٠.

ثانيًا: عددُ القِطَعِ والأبيات:

إنَّ المجموعَ الصَّحيحَ لأبيات الديوان عند د. سلّام (١٥٨١) بيتًا، في ٣١٢ قطعة، منها دوبيت واحد فقط.

وبلغ عدد قطع الديوان كاملةً عند الحبازي ٧٣٤ قطعة فقط، منها (٢٩)

(١٠) يُنظر: حركة إحياء التراث في الأردن ٢١٧.

دوبيتًا، سَمّاهُ (الرُّباعي الخالص أو المعرج)، أما القطع التي استدركها على المخطوطات الثلاث في الملحق (ج) فَبَلَغَتْ ٣٢ قطعة، برجوعه إلى (فوات الوفيات) و(عيون التواريخ) و(نفحات الأزهار) و(مطالع البدور)، وبلغَ مجموعُ الأبيات الواردة في الديوانِ في عملهِ بحسب إحصائي (٣٥٦٩) بيتًا، وإذا حذفنا منه (٣٦) بيتًا ليستْ لهُ فيكون مجموعُ أبياتِ المُشِدِّ (٣٥٣٣) بيتًا.

في حين بَلَغَ عَدَدُ القِطَعِ عِندَ الرّفوع ٦٦٧ قطعةً فقط، منها (٢٩) دوبيتًا، منها ١٢ قطعة استدركها من مصادر أهمها: (مسالك الأبصار) و(فوات الوفيات) و(عيون التواريخ)، وبلغَ مجموعُ أبيات الديوانِ عنده بحسب إحصائي (٢٨١٤) بيتًا.

وسَبَبُ الزِّيادَةِ عند الحبازيِّ على ما عند الرفوع هو رجوع الأوَّل إلى كتاب (الأدب في العصر الأيوبي)، واتخاذُهُ مَصدرًا في إيراد (١٥) قطعة منه، مع ما فيهِ مِن أَخطاءٍ، وإثباته الأشعار التي نظمها معاصرو الشاعر.

وإذا حذفنا منه (٦) قطع ليست للشاعر، أو مكررة سابقًا يَبقى مِن استِدراكِهِ (٢٦) قِطعَةً فقط، ومن ثمَّ تقلُّ قطع الديوان عندهُ إلى (٧٢٨) قطعةً فقط، منها (٢٩) دوبيتًا فقط.

ولم يعلم المحققان أنَّ د. سلّام اعتمدَ على المخطوطة التيمورية، ولو رجعا إليها معًا لزادَ عَدَدُ القِطَعِ عِندَهُما زِيادَةً ظاهِرَةً، ولكنَّهما اكتفيا بِإحجام بروكلمان عن ذكرها، وغيرها.

ثالثًا: أبياتٌ لا يَصِحُّ إثباتها في الديوان؛ لتكرارها، أو لأنَّها ليست له:

في نشرة د. سلّام حوى الديوانُ (ص٤٥- ١٦٤) على ١٦١٩ بيتًا، ودُوبيت واحد، منها (٦٦) بيتًا ليستْ للشّاعِرِ، و(٢٢) بيتًا وردتْ مكررة،

وربما كُرِّرَتْ في صحيفة واحدة، من غير أن ينتبه إلى ذلك.

وأَثبتَ قَصِيدَةً مِن البسيط في (٤٠) بيتًا، مطلعها:

يـا صـاحبيَّ أَقِـلّا مِـن ملامكمـا ولا تزيـدا بتـذكارِ الأَسـى دائـي

وهي للشّاعرِ فخر الدين بن مكانس (ت ٧٩٤هـ)، ثابتة في ديوانه: الورقة ٢ب، وهي في: حلبة الكميت ٣٥٢-٣٥٤، وهو من مصادره!

و(٤) أبيات نَسَبَها الصفديُّ إِلى نَفسِهِ صراحةً.

وبهذا يكونُ المجموعُ الصحيحُ لأبيات الديوان (١٥٨١) بيتًا.

أمّا الحبازيُّ فَقَد وَهمَ في إِدخالِهِ (١٤) بيتًا من قصيدةِ ابن مكانس السالفة، ص ٤٥٢-٤٥٣، القطعة ٦٩٢ و٦٩٣، مُتابعًا كتاب (الأدب في العصر الأيوبي).

وأورد البيتَ اليتيمَ ص ٥٦١، القطعة ٧٠٩:

أرانا لا له هلالًا أنارا

اعتمادًا على: شرح شواهد التلخيص للعباسي ٢/ ١٠٢، ولكن برجوعي إليه وَجَدتُ أَنَّهُ مسبوقٌ بعبارة: «وقول الآخر»! برواية: «أرانا الإله».

وأخطأ الحبازيُّ في تكراره (١٤) بيتًا، على النحو الآتي:

القطعة الأصلية	القطعة المكررة	عدد الأبيات
٦٧	٧١	١
١٧١	٧٠٤	٢
٢٥٣	٦٨٩	٦
٣٤٠	٧٣١	١
٦٩٦	٦٠١	٤

وأَورَدَ خمسَ قطعٍ في ٢٣ بيتًا جاءتْ في مخطوطة (ل) لشعراء

عاصروا الشاعر، وجعلَ لها أرقامًا متسلسلة مع أرقام الديوان، وهي:

القطعة ٦١٨، ص ٤٠٧، وهي أربعة أبيات لمعين الدين بن حشيش.

والقطعة ٦٢٣ ص ٤١١ في ١٠ أبيات، وهي للفقيه نجم الدين عمر بن الكُريديّ.

والقطعة ٦٥٢، ص ٤٢٦، وهي بيت يتيم لتاج الدين الصرخديّ.

فضلًا عن قطعتين لكمال الدين القتيبيني (كذا) في رثاء الشاعر، الأُولى في بيتين بالرقم ٦٦٣، ص ٤٣٢-٤٣٣، والأُخرى بالرَّقم ٦٦٤، في ستة أبياتٍ.

وكان يُستحسن رفعها مِنَ الدِّيوانِ، ووضعها في الدراسة.

فيكون مجموع الأبيات المكرَّرة التي ليسَتْ للشاعرِ، عندهُ (٣٦) بيتًا.

وأورد الرفوع بيتين ليسا للشّاعِرِ ص ٨٢١، القطعة ٦٥٤.

رابعًا: الأغلاطُ في القِراءَةِ والتَّفسِيرِ:

وَقَعَ مُحَقِّقو النشرات المقصودة هنا في أغلاطٍ تَتَعَلَّقُ بِإثباتِ الوَجهِ الصَّحِيحِ مِمّا اشْتَبَهَتْ وجوه قراءته وتعددت من نصوصِ الديوان، وأَخُصُّ الحبازيَّ والرفوعَ، بِحسبِ ما يظهر من الشَّواهد الآتي ذكرها في ضوء قراءتي للمخطوطات عينِها، ولا أَتَجاوَزُها إِلى غَيرِها:

أ- الغلطُ في إثبات القراءة الصحيحة:

١/ الحبازيُّ، ص ١١٤:

لهُ طوقٌ وهَى [من] نَسْجُ فاسي وليسَ له بمَسِّ الرّيْحِ طاقة

وعلَّق على الزيادة: «في س: ساقطة، ومن دونها لا يستقيم الوزن، واجتهدت في وضعها لإقامة الوزن».

قلتُ: هل استقام المعنى؟ من المؤكد أن الجواب سيكونُ بالنَّفي. فالزيادة لا تصحُّ، ولا تفيد في شَيء؛ فصوابُ إثبات البيتِ كاملًا:

لَـهُ طَـوقٌ وَهَـى نَسْـجًا فَأَمْسـى ولـيسَ لـهُ بِمَـسِّ الـرِّيحِ طاقَـهْ

٢/ الحبازيُّ، ص ١١٥:

جـــائر دون لـــه فـــارغ جـوع ومـن عيـب بـه ممتلـي

وعلَّق على صَدرِ البيت: «في س و ل: هكذا ورد هذا الشطر، وهـو غيـر موزون بهذه الصورة».

قلت: صواب البيت مع ضَبطِهِ:

جـــاءَ بِبِـــرذَونٍ لـــهُ فـــارِغٍ جُوعًـا، وَمِـنْ عَيْـبٍ بِـهِ مُمتَلـي

٣/ الحبازيُّ، ص ١٣٧، القطعة ١٧١:

يَقُـــولُ العَـــواذِلُ لمّـــا بَـــدا علـــى خَـــدِّهِ شَـــعَرٌ زائِـــد

ذَوَى وَردُ خَدَّيـهِ، قُلْـتُ اقْصـرُوا فَنَـــرجِسُ أَجفانِـــهِ ناضِـــد

والصَّوابُ أن القافيتين رائيتان لا داليتان: «زائر» و«ناضـر»، وهـذا لـيس من الطباعة أو السهو، بل تكرر في فهرس الأشعار ص٥٠٤، والمعنى لا يتمّ بما ورد.

٤/ الحبازيّ، ص ٢١٤، القطعة ٣٠٠:

رَوضٌ تَفَسَّـــخَ زَهْـــرُهُ وَهَفَـتْ بِـهِ أَيـدِي الرِّمـاحِ

والصواب:

رَوضٌ تَفَـــتَّحَ زَهْـــرُهُ وَهَفَـتْ بِـهِ أَيـدِي الرِّيـاحِ

٥/ الحبازيّ، ص ٢٤٩، القطعة ٣٥٠:

يـــا قَمَـــرًا عارِضُـــهُ رَوضَـــةٌ نَحـنَ مَعَـكْ فـي جَنَّـةٍ عالِيـة

وصواب العجز: «نَحنُ بِها في جَنَّةٍ عالِيَهْ».

٦/ الحبازي، ص ٣٢٥ (القطعة ٤٧٦)

يـا مـن ملكـت رِقَّ المُعـاني رِقـي قَـد حَكَّمـاكِ ... عليـهِ فـابقى
النّـارُ بِقَلبِـهِ لِمَـنْ يقتلنـي والمـاء بِجَفنِـهِ لِمَـنْ يَسْتَسْـقِي

وعند الرفوع، ص ٧٨٨ (القطعة ٦١٤)

يـا مَـنْ مَلَكَـتِ رِقَّ المُعَنّـى رِقِّـي قَـد حَكَّمَـكِ عَليـهِ فـابقِ
النّـارُ بِقَلبِـهِ لِمَـنْ [....] والمـاء بِجَفنِـهِ لِمَـنْ يَسْتَسْـقِي

وعلَّقَ على المصراع الثالث: «ما بين المعقوفين يكتنفه الغموض».

قلتُ: وكذلك ضَبْط المصراع الأول خطأ، والمصراع الثاني به خلل في الوزن؛ لسقوط كلمةٍ منه.

لذا فصوابُ إيراد الدُّوبيت:

يـا مَـنْ مَلَكَـتْ رِقَّ المُعَنّـى رِقِّـي قَد حَكَّمَكِ [الهَـوى] عَليـهِ فـابقِي
النّـارُ بِقَلبِـهِ لِمَـنْ يَقبِسُـهُ والمـاءُ بِجَفنِـهِ لِمَـنْ يَسْتَسْـقِي

٧/ الحبازيّ، ص ٣٤٠، القطعة ٤٩٩:

ستُغني الشمس في القمرِ يا نديمي غير مقتصرِ

والصواب مع الضَّبط:

سَـقِّني الشَّمْسِـيَّ فـي القَمَـرِ يـا نَـدِيمي غَيـرَ مُقْتَصِـرِ

٨/ الحبازيّ، ص ٣٨٠، القطعة ٥٧١، وهي بيت واحد:

مَنْ عَزَّ بِالمالِ والدُّنيا فَسَوفَ يَرى هلالـهُ بِهِمـا أَقـرَب فـي المـددِ

والعجزُ مكسورٌ وخطأ، وصوابه:

هَلاكَهُ بِهِما في أَقرَبِ المدَدِ

٩/ الحبازيُّ، ص ٣٨٢:

وَراحٍ مِـنَ الشَّـمْسِ يسـقى بِهـا هِـلالٌ علـى قبسـةٍ كـالنُّجُومِ

قلتُ: «البيتُ محرَّفٌ»، والصَّوابُ:

وَراحٍ مِـنَ الشَّـمْسِ يَسـعى بِهـا هِـلالٌ علـى فِتيَـةٍ كـالنُّجُومِ

١٠/ الحبازيُّ، ص ٣٨٣:

ومـا اسـم نجـم للسـما مفهـو مـه [لـه] اسـمان بـالتركي

وعلَّق على الزِّيادَةِ في العَجُزِ: «فـي ل: سـاقطة. ومـن دونهـا لا يسـتقيم وزن البيت. واجتهدت في إثبات الموجود لإقامة الوزن».

وصواب البيت:

وَمـا اسْـمُ نَجـمٍ لِلسَّـما يَحكـي مَفهُومَـهُ إِسـمانِ بِـالتُّركي؟

١١/ الحبازيُّ، ص ٣٨٤:

كنتُ في ليلٍ لمَّني في نعَمْ والليالي لذيذةُ الخلواتِ

والصَّدرُ فيه أخطاءٌ تفسدُ المعنى المراد، والصوابُ:

كُنـتُ فـي لَيـلِ لَمَّتـي فـي نَعِـيمٍ واللَّيـالي لَذِيـذَةُ الخَلَـواتِ

١٢/ الحبازيُّ، ص ٣٩١:

أنت ذاكَ الرئيسُ فرعًا وأصلًا كم ثمارٍ [من] بين طيبِ الغروسِ

وعلق: «في ل: ساقطة، واجتهدت في إثبات الموجود لإقامة الوزن».

وعند الرفوع ٤٤٣: «كم ثمارٍ بين طيِّبِ الغُروسِ».

قلتُ: القراءتان غَيرُ صَحِيحَتَينِ، والصَّوابُ:

أَنـتَ ذاكَ الـرَّئِيسُ فَرعًـا وَأَصـلًا كَـمْ ثِمـارٍ تُبِـينُ طِيْـبَ الغُـرُوسِ

١٣/ الحبازي، ص ٤٢٢، القطعة ٦٤٥:

عجبًـا لـي وقـد [و]قيـتُ بكـاءً وبـزعمِ الـدُّموع أنِّـيَ بـاقِ

وصوابه:

عَجَبًا لي وَقَد فَنِيتُ بُكاءً وبِرَغْمِ الدُّمُوعِ أَنِّيَ باقِ!

١٤/ الحبازيُّ، ص ٤٦٢:

ورمي بيانٍ خلته لمّا تنـاثرَ دود قزِّ

في الصدر الأول تحريفان، ووَضْعُ «لمّا» فيه خطأ، الصَّوابُ:

ورَمى بِبانٍ خِلتُهُ لمّا تَناثَرَ دُودَ قَزِّ

١٥/ الحبازي، ص ٤٦٤:

عاد الغرامُ إلى فؤاد مدنفِ وأشدُّ بلوى السقم كسر المدنف

والصواب:

عادَ الغَرامُ إلى فُؤادٍ مُنزَفِ وأَشَدُّ بَلوى السّقمِ نكسُ المُدنَفِ

١٦/ الرفوع، ص ٨١٣، عن نسخة (س):

يا مَنْ رَحَلوا بِناظري والسَّمْعِ ما آنَ لِمُشِتِّ شَملِنا مِنْ جَمْعِ؟

وفي المخطوطة: «لِشَتِّ»، ووردت صوابًا عند الحبازي ص ٤٤٤.

١٧/ الرفوع، ص ٨٢٤، والحبازي، ص ٤٥٥، القطعة ٦٩٧:

إِنْ لَمْ تُعِنْهُ بِنَظرَةٍ أَذبَلْتَ يانِعَ نَظرَتِهْ

وصوابُ القافية: «نضرتِهْ».

١٨/ الرفوع، ص ٨٢٧، بيتان عن مسالك الأبصار١٨/ ١٨١، جاء الثاني:

يغِيبُ عن الإنسانِ ساعةَ قُربِهِ ويبدو للعيونِ على بُعدِ

وعلَّق: «الشطر الثاني يعتريه اضطراب وخلل في الوزن، وقد أثبتُّهُ كما ورد».

الصواب:

يَغِيبُ عَنِ الإنسانِ ساعَةَ قُربِهِ إليهِ، وَيَبدُو لِلعُيُونِ على بُعدِ

١٩/ الرفوع، ص ٤٧٩ (القطعة ٣٣٩):

قَـد شَـرِبنا [مـن] لَمـى الغَسَـقِ حِـينَ غابَـتْ وَجنَـةُ الشَّـفَقِ

وقال المحقق: إنه زاد ما بين المعقوفين ليستقيم الوزن، لنقص في نسخة (ل).

ولم يشك الحبازيُّ، ص ٤٠٢ في اختلالِ الوَزنِ.

قُلتُ: جاءتْ رواية: «قَد شَرِبنا [في] لَمى الغَسَقِ»، في: الكشف والتنبيه ٩٦، وديوان الأدب ٣٧٤ أ، وبها يستقيم المعنى.

٢٠/ الحبازي، ٣٥، القطعة ٣٣، والرفوع، ص ٦١٣ (القطعة ٤٥٦)، وهي قصيدة في نسخة (س).

جاء الرابع عند الحبازي:

.... مـــر ... حلـــه لهـــا ببنـــادِقٍ مثـــل السِّـــهامِ

وعند الرفوع: «[....] جلَّ جليلُها».

والصَّوابُ: «صَرَّعْنَ جُلَّ جَلِيلها».

وجاء الخامسُ عندَ الرفوع:

وتَلازَمَـــتْ أيـــدي [..... .....] بِـــأطواقِ الحَمـــامِ

وعند الحبازي: «أيدي بُزاتُهُمْ»، كذا.

وصواب البيتِ:

وَتَلازَمَـــتْ أَيـــدي بُـــزا تِهِـــمُ بِـــأَطواقِ الحَمـــامِ

٢١/ الرفوع، ص ٦٣٠، (القطعة ٤٧٣)، جاء الأخيران فيها:

فَغِمـــــدُ السَّـــــيفِ [.....] وَيُرعّـــبُ [....] عـــن النَّجـــادِ

وَلَـــمْ تَنَـــلِ السِّـــهامُ [....] إلّا إذا نَزَعَـتْ إلـى الغَـرَضِ المُـرادِ

وصدر الأَوَّلِ عندَ الحبازيِّ، ص ٩٩: «فغمد السيف نكسه احتقارا».

وصوابُ البيتين:

فَغِمـدُ السَّـيفِ يَكْسِـبُهُ احتِقـارًا وَيُرهَـبُ بِالنَّجـاءِ عَـنِ النِّجـادِ
وَلَـمْ تَنَـلِ السِّـهامُ الحَمْـدَ إِلّا إِذا نَزَعَـتْ إِلـى الغَـرَضِ المُـرادِ

٢٢/ الرفوع، ص ٦٨٩، القطعة ٥٣٢:

أَبِيـتُ شَـيخًا، وأضـحِى [....] تِلمِيـــــــــذا

وعند الحبازي، ص ٢٠٠: «... وأُضحِى».

والصواب:

أَبِيـتُ شَـيخًا، ويُضـحِي - لِمـــا أَرى - تِلمِيـــذا

٢٣/ الرفوع، ص ٥٣٦ (القطعة ٤٧٩):

يَقولُـــونَ لـــي [.....] تَـــزِدْهُ، وَلا تَـــبلغَنَّ المُـــرادا
فَقُلـتُ: فَـلا كـانَ ذا واقِعًـا فَـإِنِّي أَعُـودُ [.....] السَّـوادا

وذكر أنَّ «ما بين المعقوفين غير واضح، أو يكتنفه الغموض في س».

قلتُ: هذه التفة من الصور الطريفة عن الشيب والخضاب فاتَ المحقق إيرادها على الصحَّة هنا وفي الدراسة، والصواب:

يَقولُـونَ لـي: لا تُنَـوِّ المَشِـيبَ تَـــزِدْهُ، وَلا تَـــبلُغَنَّ المُـــرادا
فَقُلـتُ: لَـئِنْ كـانَ ذا واقِعًـا فَـإِنِّي أَعُـودُ أُنَقِّـي السَّـوادا

٢٤/ الرفوع، ص ٧٥٥ (القطعة ٥٩٠):

وسَـمَتْ لَواحِظُـهُ بِفَتْـكِ جُفُونِهـا عَنْ مُرهَفاتِ [....] فـي الأجفـانِ

وذكر أن «اللفظة بين المعقوفين غمضت في س».

وصواب الشطر: عَنْ مُرهَفاتِ الهِنْدِ في الأَجفانِ

٢٥/ الرفوع، ص ٧٨٠ (القطعة ٦١٥):

يـا مَـنْ جَرَحَـتْ قَلبِـيَ بِـالهِجرانِ عَمْـدًا [....] وَهـيَ عَـينُ الجـاني

وعند الحبازيّ ص ٣٢٦: عَمْدًا وتَحنِثُ وهي عينُ الجاني.

والصواب:

عَمْدًا، وَتَحَنَّثْ وَهْيَ عَينُ الجاني

٢٦/ الرفوع، ص ٧٩٠ (القطعة ٦٥٢):

يـا مَـنْ بِهِـمُ [....] علـى اللُّـوّامِ فـي جـاهِ جَمـالِكُمْ مَحَلِّـي سـامي

وذكر أنَّ ما بين المعقوفتين غير واضح في (س).

الصواب:

يـا مَـنْ بِهِـمُ أسـطُو علـى اللُّـوّامِ فـي جـاهِ جَمـالِكُمْ مَحَلِّـي سـامي

٢٧/ الرفوع، ص ٧٩٢ (القطعة ٦٢٧)، وهي دوبيت:

يـا مَـنْ بِسَـوادِ نـاظِري أَفدِيـهِ لا تَجْهَـرْ بـالهَجْرِ ولا تُبدِيـهِ

نادَيـتُ، ومَـنْ أُحِبُّـهُ مُعتَنِقِـي يـا قَلْـبُ [.....]

وعند الحبازي، ص ٣٣٠: «لا تَجهرْ بالهجر لا تبديه»، وعلَّق: «في س: ولا. واجتهدت في إسقاط الواو لإقامة الوزن».

قلت: صواب المصراع الثاني: لا تَجْهَرُ بالهَجْرِ ولا تُبدِيهِ.

أما المصراع الأخير الذي ذكر الرفوع أنه غير واضح في (س) فتمامهُ: «يا قَلْبُ لِقَلبِهِ عَسى تَعدِيهِ».

٢٨/ الرفوع، ص ٦٤٢ (القطعة ٤٨٥):

وَباخِـلٍ [.....] لأَنَّـهُ أَحقَـرُ أَنْ يُخـزى

وذكر أنَّ «ما بين المعقوفين يكتنفه الغموض في س».

وعند الحبازيِّ، س ١٧٧: «وباخل يخشى من لؤمه».

وصوابُ الصَّدرِ: وَباخِلٍ يَخْسَأُ مِنْ لُؤْمِه

٢٩/ الرفوع، ص ٦٤٣ (القطعة ٤٨٦)

وَكُلْـــــــــــــــهُ [.....] أَشـــــبَهُ شَـــــيْءٍ بالسَّـــــمَكْ

وقراءة الصدر: «وَكُلْهُ غَضًّا إِنَّهُ»، وهو الصواب عند الحبازي، ص١٢١.

٣٠/ الرفوع، ص ٦٤٤ (القطعة ٤٨٧)

[.....] الحُسْـــنِ فـــي وَجَناتِـــهِ ومَـــرَّ علـــى أَعطافِـــهِ فَتَسَلسَـــلا

وقال: «ما بين المعقوفين غير واضح في س».

وصوابُ الصَّدرِ هو:

تَرَقرَقَ ماءُ الحُسْنِ في وَجَناتِهِ

وهو ما ورد عند الحبازيِّ، ص ١٢٢، ولكن القافية عنده: «متسلسلا». ٢

٣١/ الرفوع، ص ٦٥١، القطعة ٤٩٤:

أَســاوِدُ شَــعرِهِ لَســعَتْ فُــؤادي وأَمسَــتْ بــين أَحشــائي تَجُــولُ

وعلَّق: «في الوافي بالوفيات «لبست» بدل «لسعت»، وفي فوات الوفيات «لسبت» وهو تحريف».

قلت: لا تحريفَ في رواية «لسبت»، والمعنى واحِدٌ، وفي بسط الأعذار ٨ ب: «لدغت».

٣٢/ الرفوع، ص ٨١٧ (القطعة ٦٥١):

[....] عَـــــنْ أَرضِ مِصْـــــرٍ بِجِيـــرَةِ أَرضِ (دارَيّـــا) و(بَـــرزَهْ)

وصواب الصدر:

يُعَلِّلُ نَفسَهُ عَنْ أَرضِ مِصْرٍ

وفي البيت الخامس عشر:

[.....] بِغَيـــــــرِ فِكْـــــــرٍ فَـلا تُظْهِـرْ فَـدَتْكَ الـنَّفْسُ عَجـزَهْ

وصواب الصدر:

فَأَنشَأَ ما تَراهُ بِغَيرِ فِكْرٍ

٣٣/ الرفوع ١٩٥:

يـــا راحِـــلًا تَخفِـــقُ راياتُـــهُ قَلبِـــيَ منهـــا راحِـــلٌ خـــافِقُ

والصحيح في المخطوط: «فيها» بدلًا من «منها». ويُنظر خطأ آخر عنده ص ٦٤٧ (القطعة ٤٩٠).

ب/ الوَهْمُ في قراءةِ الكلمة يؤدِّي إلى الخطأ في تفسيرها أو ضبطها:

مثال ذلك:

١- الحبازيُّ، ص١٣٤ (القطعة ١٦٦) في غُلامٍ رامي بندق، جاء ثانيها:

طائِرُ العَقْلِ، واجِبُ القَلْبِ، مُضنًى خَطْـبُ هَمِّـي يَـومَ الفِـراقِ جَلِيـلُ

وفي الهامش بِرجُوعِهِ إلى (اللسان): «الواجب: الخافق، المضطرب، الخائف»، وتكرر هذا التفسيرُ البعيد عن مراد الشّاعر في القطعة التالية.

قلتُ: بل عنى بهما: الطَّائر الجليل، وهو المُعبَّرُ عنه بِـ(طائر الواجب)، وبهِ تعتني رماةُ البندقِ ونحوها، وهو أربعةَ عَشَرَ طَائرًا[١١].

٢- الرفوع، ١٥٨:

يَقُـــولُ إِذْ يَصـــفَعُهُ حُشُـــومُهُ مُبـــارَكُ:

وعلَّقَ على الكلمة الأولى في العجز: «حشم حشومًا: سمن وعظُم. اللسان (حشم)».

الصَّواب: «لِشُؤْمِهِ».

٣- الحبازيّ، ص ٣٥٠، القطعة ٥١٨:

(١١) يُنظر: صبح الأعشى ٢/ ٦٩-٧٥.

لا يَمنَــعُ المَعــرُوفَ شِــدَّةُ بائــهِ والبَحرُ يزْبِـدُ وهـو يَقـذِفُ بِالـدُّرَرْ

وعلَّقَ: «البؤ: الاحتمال واللزوم. البواء: المساواة؛ اللسان: مادة: بوأ».

قلتُ: صواب الكلمة: «بأسه»، ويكون إثبات الصدر هكذا:

لا يَمنَعُ المَعرُوفَ شِدَّةُ بَأْسِهِ

٤- الحبازي، ص ٤٤٣:

مُعذَّرٌ ثارتْ به أنبةٌ فعادَ بعدَ الخِصْبِ في قحطِ

وعلَّقَ: «الأنب: الباذنجان، واحدته أنبة، أصبح مؤنبًا: إذا لم يشته الطعام».

قُلـتُ: صـواب الكلمـة: «أُبنـة»، ولهـا معنًـى فـاحشٌ، لا علاقـة لـهُ بِالباذِنجان. ولمْ يذكر الرّفوعُ ٨١٢ سِوى الكلمةِ الأُولى من الصَّدرِ.

٥- الرفوع، ص ٥٢٦:

خُـذْ عَرُوسًـا خَليهـا قَـد تَجَلّـى بِمَدِيـــدٍ عـــادِمِ الاتِيـــابِ

وجاءَ في الهامش: «الخَلْيُ والخَلِيُّ: ما يعسَّل فيه النحل».

قُلتُ: «خَليها» خطأ في القراءة ومن ثَمَّ التفسير، والصـواب: «حَلْيُهـا»، وهي تناسبُ «العروس».

ج- الأوزانُ والبُحُورُ:

١- الحبازي ٤٢٤ (القطعة ٦٤٨)، ذكرَ أَنَّها مِن (السريع)، مطلعها:

لـــم تبتَسِـــم بعـــدَكَ الحَبـــابُ وَلا صَـــفا العَـــيشُ والشَّـــرابُ

والصـواب: (مخلـع البسـيط)، وهـو مـا ورد عنـد الرفـوع، ص ٥٧٨، القطعة ٤٢٦.

٢- الحبازيُّ، ص ٤٧٢، القطعة ٧٣١، وهما بيتان ذَكَرَ أَنَّهما من (الخفيف):

قَد كَسَتْهُ الـدُّهُورُ ثَوبًـا مِـنَ العَجْـ ـــزِ خَلِيـــعِ الأَكمـــامِ والأردانِ

عايَنــتُ مِنهــا الــوردَ فــي بانِــهِ يــا قَــوم مــا أَحسَــنَ العِيــانِ

قلتُ: البيتان لا علاقة بينهما، فالأولُ من الخفيف، أما الثاني فمن السريع، وقد جاء هنا ناقصًا، وقافيتهُ ليست مكسورة، وهو واردٌ من قبل صوابًا ص ٢٤٢، وفيه: «يا قَوم ما أَحسَنَ هذا العَيانْ».

٣- الحبازيُّ، ص ١٩٠، القطعة ٢٧١، وهما بيتان ذكر أَنَّهما من (الطويل):

ومُعَنِّــفِ المُشْــتاقِ يَحسَــبُ أَنَّــهُ علــى صِــحَّةٍ مِــنْ عَقلِــهِ وَتَثَبُّــتِ

لَعَمْــرُكَ إِنَّ العَــيشَ أَطيَبُــهُ الصِّــبا وَأَطيَــبُ أَيّــامِ الصِّــبا يَــومُ صَــبوَةِ

ويلاحظ أَنَّ صَدرَ الأَوَّلِ مِن الكامل، وباقي الأشطار من الطويل، وعند الرفوع، ص ٥٠١، القطعة ٣٥٧: «مُعَنِّفِ مُشْتاقٍ ويَحسَبُ أَنَّهُ»، ولكنَّهُ لَمْ يُشِر إِلى رِوايَةِ (س): «في صحة» التي تخلُّ بالوزن.

ويُمكن توجيه الصَّدر ليكون من الطويل هكذا:

و[مَنْ] عَنَّفَ المُشْتاقَ يَحسَبُ أَنَّهُ

٤-ص ٨٢٤ وردت ثلاثةُ أبيات على أَنَّها مِن (الكامل)، والصَّحِيح (مجزوء الكامل).

وجاء في الأول منها:

زَهْــرُ السَّــفَر مــا عَلِمْــ ــتَ، فقَــد أَشِــرتَ بِرُؤيَتِــهْ

والصواب: «زَهْرُ السَّفَرجَلِ».

د- الغلطُ في إثبات رواية (ل)، أو إهمالها:

منها:

١- الحبازيّ، ص ١٥٤:

مصــقولة كالبــارق اللمــاع بســاعد مــن أجــود المتــاع

وعلَّقَ على الكلمة الأولى: «في ل: صقيلة».

والصوابُ أنَّها «مصقولة» أيضًا.

٢- الحبازيّ، ص ٢٤٨:

وما خِفْتُ الوشاة بنا لأنِّي نَهَبتُ العَيشَ في حال المُحَيّا

وعلق: «في ل: وقد أخفت، وبها لا يستقيم الوزن».

والصحيح أنها: «وما خفت»، في نسخة (ل) نفسها.

٣- الحبازي، ص ٣١٣، القطعة ٤٢٦:

(فسويُّ) الخلق بأسا جؤذريُّ الخلق ربربْ

وعلَّقَ: «في ل: قسوري».

قلتُ: وهي الرواية الصحيحة؛ نسبةً إلى القسورة، وهو الأسد؛ مُناسَبَةً لِلبَأْسِ.

٤- الرفوع، ١/ ١٢٥:

طُغاةٌ عُداةٌ، قابَلَ اللهُ بَغيَهُم بِمَصرَعِ حَتْفٍ ثُمَّ يُصلِيهُمُ سَقَرْ

ولكن في النسخة المعتمدة ل: «بغاة»، وليس «عُداة».

٥- الرفوع، ١/ ١٣٩:

يا لهُ في الحُسْنِ مِنْ فَلَكٍ دائِرٍ بِالشَّمْسِ والقَمَرِ

وعلَّق: «في الأصل: دائرٌ - بالرفع، وهو خطأ نحويّ، والتصويب من المحقق».

قُلتُ: ولكن الكلمة في النسخة نفسها مضبوطة بتنوين الكسر: «دائرٍ»!

٥- الرفوع، ص ٥٠٦ (القطعة ٣٦٠):

وَإذا [مـــا] ري أَرا هُ ثَقِيـــلٌ يُعَربِـــدُ

وعلَّقَ بقولهِ: في الأصل «الذي» بدل «ما»، وهو خطأ مخلٌّ بالوزن،

والتصويب من المحقق، وفي الأصل «ثقيلًا» بالنصب، وهو خطأ نحوي، والتصويب من المحقق».

قلتُ: صواب إيراد البيت:

وَأُداري الـــــــذي أَرا ـــــهُ ثَقِـــــيلًا يُعَربِـــــدُ

٦- الرفوع، ص ٦١٥ (القطعة ٤٥٨):

أَكثَـــرَ العُـــذّالُ فيـــهِ وَغَرامـــي فِيـــهِ أَكثَـــرْ

وقالَ: «في الأصل «أكثروا» بدل «أكثر»، وهو خطأ، والتصويب من المحقق».

قلتُ: «أكثروا» ليست خطأ، بل على لغة أكلوني البراغيث، وقد استعملها الشّاعِرُ غيرَ مَرَّة.

خامسًا: السَّقطُ في الأبيات:

سقطَ من نشرة د. سلّام (٤٢ بيتًا) وَرَدتْ في النُّسخَةِ التيمورية التي اعتَمدَ عليها، كما سَقَطَتْ منها أَبياتٌ ذُكِرَتْ في مَصادر رَجَعَ إليها، كـ(الوافي بالوفيات)، وهناك (٨) أبيات وردتْ في المقدمةِ، ولم تَرِدْ في الديوان!

أما التحقيقان الآخران فسأعرض لشواهد ممّا سَقَطَ مِنهُما في ما يَأْتي:

١- الحبازيّ، ص ٣٦٩-٣٧٠ (القطعة ٥٥٠) هي خمسةُ أَبياتٍ مِن قَصِيدَةٍ بائِيَّةٍ من الخفيف، وفي الديباجة أَنَّهُ كتبها إلى عفيف الدين بن عدلان مُلغِزًا في جِسرِ النِّيل، وأَورَدَ في الهامش ١٧ بيتًا قبلها، نقلها من كتاب (الأدب في العصر الأيوبي)، وذَكَرَ أَنَّها في ٢٦ بيتًا، كتبَها إلى شرف الدين التيفاشي، ولكنَّها كاملة في ٢٧ بيتًا؛ لإخلاله بهذا البيتِ الوارد في: الوافي بالوفيات ٨/ ٢٩٠:

[وعَلِيل المَذاقِ يَشْتَبِهُ الطَّعْـ ـمُ عَليهِ في شَهْدِهِ بِالصّابِ]

والصحيحَ أَنَّ الدِّيباجَةَ في اللُّغزِ، ولا عِلاقة لها بالقصيدة البائية من قريب أو بعيد.

٢- الحبازيُّ، ص ٣٩٥، القطعة ٥٩٨، أوردها من نسخة (ل)، وهي في ١٥ بيتًا، ولكن سَقَطَ منها البيتان الأَوَّلان:

يا حافِظَ الدِّينِ والمَوَدَّةِ والعَهْـ ـــد وَلُبِّ الأَشعارِ والسِّيَرِ

وَمَنْ إِذا ما خَطَبْتُ صُحْبَتَهُ أَمْهَرَني صَفوَها بِلا كَدَرِ

٣- الحبازيُّ، القطعة ٥٧١، سقط منها هذا البيت، الوارد في ل ١٨ أ:

بِالماءِ كانَ عَدُوُّ اللهِ مُفْتَخِرًا فِرعَونُ حَتّى ثَوى فِيهِ إِلى الأَبَدِ

٤- الرفوع، ص ٧٠٠ (القطعة ٥٤٢)، في ١٢ بيتًا، عن مخطوطتي س وم، وقد فاته إثبات هذا البيت، وهو في المَخطُوطَتين، ويَكونُ مكانه بعد البيت الثامن:

فَأَعادَ مِسْكَ ظَلامِهِ الـ ـــهِندِيَّ كافُورًا رياحي

وهو واردٌ عند الحبازيِّ، ص ٣٢٠.

٥- سَقَطَتْ من عمل الرفوعِ أَيضًا ثلاثُ قطعٍ واردة في مخطوطة الإسكوريال (س)، الأولى قافيَّةٌ في ثلاثة أبيات من الطَّويل (الورقة ١٣٢ أ)، والثانية نتفة قافيَّة (الورقة ١٣٤ أ)، والأخيرة نتفة جيميَّةٌ في بيتين من الوافر (الورقة ١٣٥ أ).

سادسًا: إهمال تراجم بعض الأَعلام، أو الوهم في ذلك:

وسأكتفي بالذين تعذَّر على الحبازي والرفوع ترجمتهم، على النحو الآتي:

١/ الحبازي، ص ٢٩، نقل قول ابن شاكر: «روى عنه الدمياطيّ، والفخر ابن عساكر».

وقال عن الدِّمياطيِّ: «فلعله شرف الدين عبد المؤمن بن خلف»، أما الفخر ابن عساكر فذكر أنه لم يستطع تحديد هويته.

قُلتُ: الدمياطيُّ هو عبد المؤمن بن خلف، من دون «لعل».

وأما الفخر ابن عساكر فهو: إسماعيل بن نصر الله بن تاج الأمناء أحمد ابن عساكر. (العبر ٤/ ٢٨، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٣-٣٩٤، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٢١، شذرات الذهب ٨/ ٤٧).

مع العلم أنَّ جميعَ مَنْ كتبَ في سيرة المُشِدِّ لمْ يُترجمْ لابنِ عساكر هذا!

٢/ الحبازيّ، ص ١٧٦، القطعة ٢٥١:

فَبِخَـدِّهِ الزّاهِـي يَهِـيمُ صَـبابَةً وَبِصُـدْغِهِ يَتَغَـزَّلُ الـوَأْواءُ

ترجم للوأواء، ولكنه قدَّم (فوات الوفيات) على (يتيمة الدهر). وفاتَتهُ الإشارةُ إلى الشّاعِرِ الذي قَبلَهُ وهو (الزاهي)، ولم يُترجم له الرفوع، أو يُشِر إليهِ. وفي البيتِ تَوجِيهٌ واضِحٌ، فاتهما، كان في إمكانهما الإفادة منه في الدراسة.

الزّاهي: هو عليّ بن إسحاق بن خلف، اتَّصَلَ بسيف الدولة الحمدانيّ، وتُوُفِّيَ في بغداد سنة ٦٣٠هـ، وله ديوانٌ مطبوعٌ. (سير أعلام النبلاء ١٦/ ١١١، النجوم الزاهرة ٤/ ٦٣).

٣/ البرهان وزير عز الدين صاحب صرخد.

الحبازيّ، ص ٢٦٧ لم يُترجم لهما، واكتفى الرفوعُ بترجمة الثاني باختصار، ص ٢٦٧، برجوعه إلى مصدر واحد.

أقول: أما صاحب صرخد فهو الأَميرُ عِزّ الدين أيبك بن عبد الله المعظميّ، اشتراهُ الملكُ المعظَّمُ عيسى، وأَقطَعَهُ صرخد وقلعتَها، وتُوُفِّيَ في القاهرة سنة ٦٥٤هـ. (الوافي بالوفيات ٩/ ٤٨٠- ٤٨١، عيون التواريخ

١٢/ ١٢، الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٥٥)، وأمّا وزيره برهان الدين فقد تُوُفِّيَ ظاهر دمشق في السنة نفسها عند مسجد النّارنج. (نهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٧، ويُنظر: عيون الأنباء ٧٢٧).

٤/ معين الدين بن حشيش.

علَّق الحبازيّ، ص ٤٠٧: «لم أستطع العثور على ترجمة له»، وتعذَّر على الرفوع ترجمتَهُ، ص ٥٠٤.

أقول: معين الدين هبة الله بن حشيش: كاتب الدَّرج، كان نصرانيًّا فأسلم، ووَزَرَ للمعظَّم تورانشاه، وتُوُفِّيَ سنة ٦٥٦هـ. (تاريخ الإسلام ٤٨/ ٣٠٢، أعيان العصر ٥/ ٤٧٠، ٥٣٩).

٥/ مجير الدين بن أبي زكريا

علَّق الحبازيُّ، ص ٤١٧: «لم أستطع العثور على ترجمة له».

قلتُ: هو مُجير الدين إبراهيم بن أبي بكر زكري، أو زكريا، واحد من الأُمَراءِ الأَكراد، خدمَ الملكَ الصالح أيوب وغيرَهُ، استُشْهِدَ، وهو يقاتل المغول في نابلس سنة ٦٥٨هـ. (الذيل على الروضتين ٣٠٤، ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٨٧، عُيُون التواريخ ٢٠/ ٣٣٢، النجوم الزاهرة ٧/ ٩٣، المنهل الصافي ١/ ١٥).

٦/ سيف الدين بن الغرس خليل.

علَّقَ الحبازيّ، ص ٣٨٠: «لم أستطع العثور على ترجمة له».

قلتُ: هو سيف الدِّين بن الغرس خليل. واحد من حُجّابِ الملك الناصر صلاح الدين يوسف، تُوُفِّيَ في رمضان سنة ٦٥٧هـ. (الذيل على الروضتين ٣٠٣، وينظر: الأعلاق الخطيرة ٢/ ٨٥).

٧/ «نظام الدِّين بن المولى».

تعذَّر على الحبازيِّ، ص ٣٩٦ معرفتُهُ.

قُلت: هو محمَّد بن محمَّد بن عبد المجيد الأنصاريّ، وُلِدَ سنة ٥٩٥هـ، كان صاحب ديوان الإنشاء للملك النّاصر صلاح الدين، تُوُفِّيَ سنة ٦٥٦هـ بدمشق. (الذيل على الروضتين ٢٠٠، الوافي بالوفيات ١/ ٢٨٣-٢٨٤، عيون التواريخ ٢٠/ ٢٠٣، السلوك ١-ق٢/ ٤١٣). وقد ترجم له الرفوع ص٤٥٨ بِالعَودَةِ إِلى الكِتابِ الثّالِثِ فقط.

٨/ «نجم الدين عمر بن الكُريديّ».

تعذَّر على الحبازيِّ، ص٤١١، ٤١٢ معرفتُهُ، وكذلك الرفوع، ص٥٢٤.

قلت: هو نجم الدين عُمَر بْن مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر، قاضي الصَّلت، سَمِعَ بإربِل، تُوُفي سنة ٦٨٢هـ. (تاريخ الإسلام ٥١/ ٤٧٨، المقتفي ١/ ٣٩).

٩/ صدر الدين سليمان المفتيّ.

قال الحبازي، ص ٤٢٧: «لم أستطع العثور على ترجمة له»، وذكرَ الرفوع، ص٥٨٢ أَنَّهُ لم يهتد إليه.

قلتُ: هو القاضي سليمان بن أبي العزِّ بن وهيب الحنفيّ، أَوَّلُ مَنْ تَوَلّى منصبَ قاضي القضاة من الحنفية، تُوُفِّيَ في دمشق سنة ٦٧٧هـ. (عيون التواريخ ٢١/ ١٨١-١٨٢، مرآة الجنان ٤/ ١٨٨، السلوك ١- ق٢/ ٦٥١، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٧٧).

١٠/ الحافظ اليغموري

لم يُترجم له الحبازيّ، ص ٤٥٥، وقال الرفوع، ص ٨٢٤: «هو جمال الدين بن يغمور».

قلت: هذا غلطٌ، والصَّواب: أَبُو المَحاسِنِ جَمالُ الدِّينِ يُوسُفُ بنُ أَحمَدَ بنِ مَحمُودِ بنِ أَحمَدَ اليَغمُورِيُّ الأَسَدِيُّ الدِّمَشقِيُّ، وُلِدَ بدمشق سنة ٦٠٠هـ، صحب الأمير جمال الدين بن يغمور ولازمه وعُرِفَ به، تُوُفِّيَ سنة

٦٧٣هـ. (ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٠٣-٢٠٦، المقتفي ١/ ٣١٨، الوافي بالوفيات ٢٩/ ٨٧-٨٨، فوات الوفيات ٤/ ٣٣٥-٣٣٧، عيون التواريخ ٢١/ ٦٣-٦٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٧).

١١/ وَرَدَتْ قبيلةٌ اسمها (هتيم)، فعلَّق الرفوعُ، ص ٢٨٢، القطعة ١٦٥: «لم أهتد إلى ترجمة لقبيلة هتيم في كتب القبائل والأنساب»، وعند الحبازيِّ، ص ٣٧١، القطعة ٥٥٢: «هيتم»؛ خطأ، وقال: «لم أستطع التعريف بهذه القبيلة».

قلت: جاء في الوافي بالوفيات ٢١/ ٣١٠: «هتيم هُم العربُ الذين سكنوا البريةَ القَفْراءَ [في الأصل: الفقراء]؛ لأنَّهُم يأكلون الميتة لمجاعتهم».

وكتبَ لي المرحومُ الشيخُ حمد الجاسر رسالةً مُؤرَّخَةً في ٦/ ٨/ ١٤١٩هـ، منها: «هذا الاسم يطلق في العصر الحاضر على كل قبيلة تبلغ من الضعف وانحلال روابطها العصبية التي تربطها بالقبائل الأُخرى لسبب من الأسباب... وهذه تنطبق على ما يعرف الآن باسم (الصلبة)، وهم في الأصل عربٌ».

أمّا د. سلّام فكان يكتبُ من حِفظهِ وذاكرتهِ، ولا يعتمدُ على أيِّ مصدرٍ، والأعلام المذكورون قبل لم يُشِر إليهِم البتَّة، إمّا لِعَدَمِ وُرُودِهِم في عَمَلِهِ؛ لاعتماده على نُسخَةٍ وَحِيدَةٍ، لمْ يَرِدُوا فيها، أو لأنَّهُ طلبَ الرّاحةَ فَأَهمَلَهُم، وسأكتفي بعلمَينِ ترجم لهما خطأً.

ففي ص ٩٨ عِندَ وُرُودِ قَصِيدَةٍ رائِيَّةٍ للشاعر يَمدَحُ بها المَلِكَ النّاصِرَ، ذَكَرَ في الهامش أَنَّهُ «الملك الناصر داود صاحب دمشق، وكان يلي شادَّ الدواوين».

الصَّواب: الملك صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي، وُلِدَ سنة ٦٢٧هـ بقلعة حلب، استقلّ بالحكم سنة ٦٤٠هـ، وقُتِلَ سنة ٦٥٨هـ. (الذيل

على الروضتين ٢١٢، العبر ٥/ ٢٥٦، الوافي بالوفيات ٢٩/ ٣٠٤، عيون التواريخ ٢٠/ ٢٥٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٣، شفاء القلوب ٤٠٨-٤٢١).

وفي ص ١٧ ورد: الشيخ علي الحريري، فهمَّشَ: «راجع وفيات الأعيان»، ثم ترجم له ص٩٦ بقولهِ: «أحد الصوفية في عصره، كان للناس فيه اعتقاد، وكان الظاهر بيبرس يتخذه مستشارًا يستمع إلى نصائحه ويأخذ كلامه».

قلتُ: ليسَ في (وفيات الأعيان) ترجمة له، واسمه عليّ بن أبي الحسن بن منصور البسريّ، كان يتردَّدُ على دمشق، وتبعتهُ طائفةٌ من الفقراء عُرِفُوا بـ(الحريرية)، وتُوُفِّيَ سنة ٦٤٥هـ.(الذيل على الروضتين ١٨٠، فوات الوفيات ٣/ ٦-١٢، عيون التواريخ ٢٠/ ١٤-١٧، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٩-٣٦٠). فكيفَ يتَّصلُ به الظاهرُ بيبرس المولود سنة ٦٥٦هـ؟

سابعًا: ضعفُ التَّخريجِ:

يُعَدُّ تخريج النُّصُوصِ مِن لَوازِمِ المَنهَجِ العِلْمِيِّ الرَّصينِ في التحقيق؛ لِما يترتَّبُ عليه من فوائد جمَّة ليسَ بِأَقَلِّها قيمةً الاطمئنانُ إلى ثبات النسبة، وتصحيح الأغلاط، وإثبات الروايات الجديدة، وغيرها مِنَ الفَوائد المهمَّةِ التي تَزدادُ بسعة التخريج ووفرة مصادره.

وفي التَّحقِيقاتِ مَحَلِّ النَّظَرِ نَقصٌ واضحٌ في تتبُّع المصادر.

وأكتفي بمثالينِ:

١/ الحبازي، ص ٩٩، القطعة ٩٨، الرفوع، ٦٩٢، القطعة ٤٧٢:

مـــاتَ الصَّـــباحُ بِليـــلٍ أَحْيَيْتُـــهُ حِـــينَ عَسْـــعَسْ

لـو كـانَ فـي الـدَّهْرِ صُـبحٌ يعـــيشُ، كـــانَ تَـــنَفَّسْ

خرَّجَ الأولُ هذه النتفةَ من: (ديوان الأدب) للخفاجيِّ، في حين اكتفى

الآخر بكتابيْ (فض الختام) و(حلبة الكميت).

وأُضيفُ أنَّ القطعةَ في: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٣٤، نهاية الأرب ١/ ١٤٠، حلبة الكميت ٣٤٥، ديوان الأدب ٣٧٤ أ، ومِن غيرِ عَزْوٍ في: الكشف والتنبيه ٢١٤، ديوان الصبابة ١٢٧، تزيين الأسواق ٢/ ٤٢١، معاهد التنصيص ١/ ٢٦٥.

٢/ الحبازيّ، ص ١٤٧ (القطعة ١٩٤)، والرفوع ٤٧٠ (القطعة ٣٣٠)، بيتان في وصف دجاجة على قافية الجيم.

خرَّجها الأوَّلُ من: الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٥٦، مطالع البدور ٢/ ٥٧، وزاد الآخرُ: مسالك الأبصار ١٨/ ١٧٩.

ويُستدركُ على تلك المصادر الثلاثة: الكشف والتنبيه ٣٩٦، اللفظ الوجيز (مخ) ١٤٤ ب، السفينة ٤/ ٨٧ أ، سلوك السنن (مخ) ٣٩ أ، راحة الأرواح ٤٥.

ثامناً: المنسوبُ:

المنسوبُ قِسمٌ ضَروريٌّ في أيِّ ديوان محقَّق، ولكننا لم نجدهُ على أهمِّيَّتِهِ في تلك التحقيقات؛ لقلَّة الاستقصاء والبحث فيها.

وهذهِ أَمثِلَةٌ:

١/ الرفوع، ص ٨٢٥ (القطعة ٦٥٧):

قالُوا: الرَّسُولُ أَتى، وَقالُوا: إنَّهُ ... ما رامَ يَومًا عن دمَشقَ نُزُوحا

ذَهَبَ الزَّمانُ، وَما ظَفِرْتُ بِمُسْلِمٍ ... يَروي الحَدِيثَ عَنِ الرَّسُولِ صَحِيحا

وفي التخريج أنَّ كتاب عيون التواريخ ٢٠/ ٦٦ تفرَّد بهما.

ولم يرد البيتان في تحقيقِ الحبازيِّ.

قُلتُ: هما يُنسبان إلى:

* صلاح الدِّين الإربليّ (ت ٦٣١هـ) في: تاريخ الإسلام ١٤/ ٣٤، فوات الوفيات ٤/ ٣٥٣، الوافي بالوفيات ٢٩/ ٢٤١، ديوان الفصحاء ١٢٢ أ.

* عمر بن إسحاق الخلاطيّ (ت ٦٦٦هـ) في: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٩٨.

٢/ الرفوع، ص ٨٣١ (القطعة ٦٦٢):

وافى إليَّ وكأْسُ الرّاحِ في يَدِهِ فَخِلْتُ – مِنْ لُطْفِهِ – أَنَّ النَّسِيمَ سَرى
لا تُدرِكُ الرّاحُ مَعنًى مِنْ مَحاسِنِهِ والشَّمْسُ لا يَنبَغي أَنْ تُدرِكَ القَمَرا

وخرَّجهما على: مسالك الأبصار ١٨/ ١٨٣، الوافي بالوفيات ٢١/ ٣٥٨، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٤.

وخرجهما الحبازي، ص ٤٦١ على المصدرين الأخيرين فقط.

ويُزاد عليهما أنهما في: جلوة المذاكرة ١٨٧، إنسان العيون ٣٣٧، المنهل الصافي ٨/ ١٣٦، السفينة ٤/ ٩٥ ب.

وهما للشَّيخِ ابنِ نُباتَة في: حلبة الكميت ١٤٦، ولابن نباتة – دون تحديد، في: الروض النضر ١/ ١٥١.

ولمْ أَجِدهُما في: ديوان ابن نباتة المصري، وهما في: ديوان ابن نباتة السعدي ٢/ ٦١٦ (المنسوب).

٣/ الحبازي، ص ٤٦٤ (القطعة ٧١٦)، الرفوع، ص ٨٣٢:

فُضَّ فَمٌ نَعى لَنا يَومَ الخَمِيسِ يُوسُفا
وا أَسَفا مِنْ بَعدِهِ على العُلا وا أَسَفا

بالرجوع إلى فوات الوفيات ٤/ ٣٦٨.

قلتُ: البيتان يُنسَبانِ أَيضًا إلى ابنِ مَطروح في: الوافي بالوفيات ٢٩/ ٣٢١، ولم يَردا في ديوانِهِ.

٤/ الرفوع، ص ٨٢١ (القطعة ٦٥٤)، وهي آخر نتفة في مخطوطة (م):

مَتى تُبصِر النّاسُ الغَنيَّ وَجارُهُ فَقِيرٌ يَقُولُ: عاجِزٌ وَجَليدُ

[..... .....]

قلت: رواية العجز في المخطوطة: «فقير يقولوا».

البيت الثاني هو:

وَلَيسَ الغِنى والفَقْرُ مِن حِيلَةِ الفَتى ولكنْ أَحاظٍ قُسِّمَتْ وَجُدُودُ

وقد فاته أن هذه النتفة ليست للمشد، بل أوردها ناسخُ (م) بعد القوافي المنتهية بِحَرفِ الياءِ، في نهاية المخطوطة المرتبة على حُرُوفِ المُعجَمِ، وقد ثبت لي أنَّها تُنسَبُ إِلى:

* المعلوط السعدي في: عيون الأخبار ٣/ ٧٧، التذكرة السعدية ١٠٦.

* سويد بن خذّاق العبدي، ويُروى للمَعلُوطِ بنِ بَدَلٍ القُريعيّ، في: لسان العرب (حظظ).

* عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، في: شعره ٢١- ٢٢.

* رجل من بني قريع، في: الحماسة (عسيلان) ٢/ ٥٧٥، شرح الأعلم الشنتمريّ ٢/ ٦٤٥.

مع ملاحظة أنَّ الحبازيَّ لم يثبتْ هذهِ النتفةَ في تحقيقه، ولا أشارَ إِليها أصلًا.

تاسعًا: فوائدُ أُخرى:

هذه فوائد أخرى لا تندرج في مضامين المسائل التي مرَّتْ، ووجدتُ من تمام الفائدة تسجيلها هنا:

١/ الرفوع، ص ٨١٤ (القطعة ٦٣٨): «وكان قد وَعَدَهُ بكتاب القادريّ

من تَفسيرِ الرُّؤيا».

فعلّق: «لم أهتد إلى المقصود بهذا الكتاب».

قُلتُ: هُوَ كِتابُ (القادريّ في التَّعبيرِ) لأبي نصر بن يعقوب الدينوري (ت بعد ٤٠٧هـ). حقَّقَهُ د. حاتم صالح الضّامن، ونُشِرَ في مجلَّة (المورد)، مج٢٠، العدد ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢/ ذكرَ الحبازيُّ، ص ٤٧٤ أَنَّهُ لمْ تَرِدِ في شعر الشاعر ألفاظ غير عربية إلّا نادرًا.

قلتُ: في ديوانِهِ كثيرٌ من الأَلفاظ المُعَرَّبة والدَّخيلة، كالآلات والأَدوات: الزربطانة، والشانية، والزُّنْامج، والزرفين، والسكردان، والطاجن، والسكاريج، والبند، والنرد، والشاه، والفرزان.

ومن ألفاظ الغناء: الطنبور، والطار، والجنك، والدستان، والأُرغُن.

ومِنَ الأَطعِمَةِ: الطَّباهيج؛ وكلمات أخرى: الدهليز، والأكسير، والدرياق، والبيكار.

ومن الأَلفاظ الدَّخِيلَةِ: السنجق، والبغلطاق، والخشداشة، والقبق، والقلج، والشماشك، واللوالك.

٣/ فاتَ المحققين أجمعين التنبيه على بعضِ التضمينات لعدد من الشعراء.

ومن ذلك:

أ-الرفوع، ص ٥٠٢ (القطعة ٣٥٨):

غَنَّى وَكَأْسُ المُدامِ في يَدِهِ «قامَتْ حُرُوبُ الهَوى على ساقِ»

وعلَّقَ: «وكُتب أسفل هذا البيت في الأصل: نصف البيت الأخير مضمن، ولم أهتد إلى ذلك البيت».

ولم يُورد الحبازي ص١٢٠، القطعة ١٣٧، ما كُتِبَ في (ل)، ولم يُشر إلى المقصود بالتضمين هنا.

قُلتُ: عَجزُ البَيتِ تَضمِينٌ لِصَدرِ بَيتٍ لابن قلاقس الإسكندري في ديوانه ١/ ١٢١، وعجزه:

«بين قلوب وبين أحداق»

ب- الحبازي، ص ٣٥٨، الرفوع، ٢٢٤:

لمْ يَبقَ فِيهِ سِوى طَرْفٍ تُشِيرُ بِهِ يَومَ الفِراقِ إلى تَودِيعِ مُرتَحِلِ

قلت: العَجزُ للأُخَيطَل الأحوازيِّ، وصدره: «كأَنَّهُ عاشقٌ قَد مَدَّ بَسطَتَهُ». طبقات الشعراء ٤١٢.

٤/ الرفوع، ١٩٠ (القطعة ٧٧)، وهي خمسة أبيات في اللغز في (طيف) و(هبة):

أَيُّما اسْمَينِ حَبِيبَيْـ ـنِ لِمُشتاقٍ جَوادِ
لا يُخِلُّ العَكْسُ في الوا حِدِ مِنها بِمُرادِي
وَتَرى الآخَرَ بالتَّصـ ـحِيفِ مَركُوبَ العِبادِ
ثُلْثُ هذا ثُلُثا ذا في حِسابٍ واعْتِدادِ
وَهِجا الِاثْنَينِ في طَـ ـهَ، وفي بَعضِ البِلادِ

وفَسَّرَ البَيتَ الأولَ بِأَنَّ (الطيف) ملازمٌ للمشتاق، و(هبة) هي العطاء، وهو ملازم للجواد الكريم، وقال: «لم أهتد إلى تفسير المقصود بالأبيات الثلاثة الأخيرة».

أما الحبازيُّ، ص ٣٤٨، القطعة ٥١٥، فلم يُعلِّق بِشَيءٍ.

قلتُ: عَنى بكلمة (الآخر) في البيت الثالث: طيف، وعند تصحيف

الكلمة تُصبح (طبق)، وقد نَظَرَ إلى قولهِ تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

وأَرادَ بِالبَيتِ الرّابِعِ أنَّ حَرفَ الباء مِن (طبق) - وهو ثُلثُ الكلمةِ - يُساوي الرقم (١٠) في حساب الجمل، وبهذا يعادل حرفي الهاء (الأوَّل والأَخير) من كلمة (هبة)؛ لأن مجموعهما = ١٠، لكل واحد منهما: ٥.

٥/ تفشِّي الأخطاء المطبعيَّة تَفَشِّيًا فاحشًا واضحًا في نَشرةِ د. سلّام، حتّى لم تَخْلُ منها صفحةٌ من صفحاتِهِ؛ وبعضها عند الحبازيِّ، ومنها سقوط قافية البيت الأوَّل ص ٣٩، وقافية القصيدة الواردة ص ١٨١، وفي ضبط بعض الكلمات؛ وقليل عند الرفوع.

٦/ فاتهم أَجمَعينَ الرجوع إلى مقالين كتبهما باحثان عراقيان:

الأوَّل: د. ناظم رشيد، الذي نَشَرَ مَقالًا سنة ١٩٨٢م، عرَضَ فيه لشيءٍ من سيرة الشاعر، وتحدَّث عن موضوعاتِ شعره، ودعا إلى تحقيقِ ديوانِهِ(١٢).

الثاني: الشيخ محمد رضا الشبيبيِّ، في مقالهِ المرقون على الآلة الكاتبة: (ابن المشِدّ)، والمُؤَرَّخ في ٢/ ١١/ ١٩٤١م، وقد اطَّلعتُ عليه في منزله، وفيه تَحدَّثَ عن الشّاعرِ وشِعرهِ، ورَجعَ إلى عددٍ مِنَ المَصادرِ المطبوعة المُتَيَسِّرَةِ لهُ في ذلكَ الوقت، ووَصَفَ مخطوطةً لديوانِ الشّاعر شآميَّة النِّجارِ-كانَ قد وَقَفَ عليها السيِّدُ نصرُ الله الحائريُّ (ت ١١٥٨هـ)- وأوردَ منها مُختاراتٍ مِن شعر الشّاعر.

عاشرًا: تحقيقي للديوان:

كانَ تَحقيقي للدِّيوانِ في رسالة الماجستير، في قسم اللغة العربية في كلية

(١٢) مجلة (الجامعة) الموصليَّة، ع ٧، ١٩٨٢م، ٣٧-٤١، عنوانه «سيف الدين المشد الملقب بسلطان الشعر».

التربية بجامعة بابل التي سجَّلتُها في ١٤/ ٨/ ١٩٩٨م، بإشراف د. عدنان العوّاديّ، وقدَّمتها كاملةً إلى القسم في شباط ٢٠٠٠م، ثُمَّ عُرِضَتْ على لجنة «أمنيَّة» تُعرفُ بالسلامة الفكرية، وتأخَّرت عندها نحو شهرين! ونلتُ الشهادة بتقدير (امتياز) في ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٠م. وقد رَجَعتُ إلى صُورٍ من المخطوطات الثلاث، ورابعة هي النسخة التيموريَّة، ومقال المرحوم الشَّيخ الشبيبيّ في وَصفِ مخطوطةِ السيد نصر الله الحائريِّ، وأَفدتُ منهُ بإيراد ١١ بيتًا جَدِيدًا، وقَدَّمتُ للدِّيوانِ بدراسةٍ موضوعيّةٍ وفنيَّةٍ طويلةٍ متشعِّبة؛ واعتمدتُ على مصادر مخطوطة ومطبوعة أَربَتْ على الثلاثمئة مصدرٍ ومرجعٍ ودوريَّةٍ وقتذاكَ، وجعلتُ مخطوطةَ الإسكوريال أُمًّا في التَّحقِيقِ، حَيثُ القسم الأوَّل، وكان القسم الثاني (ما أَخَلَّتْ بِهِ مَخطُوطَةُ الإسكُوريال وَحَوَتهُ المَخطُوطاتُ الأُخَر)، ثم (الذيل). وقَد ضَمَّ الدِّيوانُ وَقتَذاكَ (٧٦٦) قطعةً في (٣٦٨٣) بيتًا، منها (٣٥) دوبيتًا، وهو التَّحقِيقُ العِلْميُّ السَّلِيمِ للدِّيوانِ(١٣).

ولمْ أَنقطع عن مُتابَعَةِ الدِّيوانِ بَعدَ نَيلي الشَّهادة، فكانَ أَنْ وَقَفتُ على المَخطوطةِ التي ذكرها الشيخُ محمَّد رضا الشَّبيبيُّ، وتَقَعُ في ٢٥٧ صفحة، وتزيدُ على المخطوطات الأربع السّابقة زياداتٍ ذاتَ بالٍ، ونسخة سادسة بِخَطِّ الشَّيخ محمَّد جواد الشَّبيبيّ، وسابعة في مكتبة شستربتي بالرقم ٣٨٦٦، فيها مُختاراتٌ مِن دِيوانِ المُشِدِّ، ضِمن (ديوان سعد الدين بن عربي)، ونسخة ثامنة ضمن الجزء الرابع من كتابِ (السفينة) لابن مبارك

(١٣) نشر أحدُهم مقالًا بعد ١٨ سنة في مجلة (عالم الكتب)، مج ٢٩، ع ٣ و ٤، ١٤٢٨-١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، عرّجَ في أثنائِهِ، ص ١٣٨-١٣٩ على رسالة الرفوع التي قرأ عنها ببليوغرافيًّا ولم يقفْ عليها، وذكر أنها في أكثر من ثلاثة آلاف بيت! واتَّهمني مُفتَئِتًا بِسَرقَتها، وقد رَدَدتُ عليهِ في المجلةِ نفسها، مج ٤١، ع ١ و ٢، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، ص ١٤٨-١٥٠، وأوضحتُ زيفَ ادِّعائِهِ.

شاه المصريِّ (ت ٨٦٢هـ)؛ لكَونِ صاحِبِهِ رَجَعَ إلى مخطوطةٍ بِحَوزَتِهِ(١٤). وقُمْتُ بِتَحوِيل قِسْمٍ من المُستَدرَكِ الذي صَنعتُهُ، وفيهِ قِطَعٌ مَبتُورَةٌ عن أصلها، إلى متن الديوان، بعدَ وُقُوفي على القَصائد كاملةً.

ونتيجة للزيادة في نُسَخِ الديوان ومُلاحقة المصادر، بلغت أبياتُ الديوان (٣٧٨٣) بيتًا، في (٧٨٩) قطعةً؛ وجَعَلتُ (الذَّيل) في قِسمَينِ: ما كانَ للشّاعِرِ في المصادر الأُخَر، والمَنسُوبُ إليهِ وإلى غَيرِهِ، فضلًا عن عشرات الاختلافاتِ في الرِّوايات، وما تَطَلَّبَ ذلك من إِضافاتٍ في قِسمِ الدِّراسَةِ، وهو في طَرِيقِهِ إِلى النَّشرِ.

وبذلكَ يَزيدُ عَملي على نشرة د. سلّام بـ: ٢٣٦٤ بيتًا، وعلى تحقيقِ الرفوع بـ: ٩٦٩ بيتًا، وعلى تحقيق الحبازيّ بـ:٢٥٠ بيتًا، عدا الاختلاف البَيِّن في القراءة والضَّبط وتَراجم الأَعلام وتَفسير المفردات، والدراسة العلمية، وغير ذلك.

وأُؤكِّدُ - في ضَوءِ ما مَرَّ - أَنَّ تلكَ التحقيقات الثلاثة السابقة مُجتَمِعَةً لمْ تَستَوفِ شُرُوطَ التَّحقيقِ العلميِّ الرَّصينِ وضَوابطَهُ، عَلاوةً على إِخلالِها بِعَشَراتِ القِطَع التي وَرَدَتْ في مظانَّ كثيرة ظَفرتُ بها في تحقيقي للديوان، وأَكتفي بِما ذَكَرتُ مِن ملاحظاتي على النشرات الثلاث، بعد أنْ حذفتُ جملةً وافرةً من القضايا والشَّواهد والمَصادر والرَّواياتِ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

* * *

(١٤) يُنظر بحثنا: سيف الدين المُشِدّ (ت ٦٥٦هـ): ثلاثُ نُسَخٍ جَديدةٍ مِن دِيوَانِهِ المُحَقَّقِ، مجلة (مخطوطاتنا) النجفيَّة، العددان العاشر والحادي عشر، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م، ص ٢٤٧-٢٥٢.

المصادر والمراجع

المخطوطةُ:

- إنسانُ العيون في مشاهير سادس القرون: ابن أبي عُذيبة (ت ٨٥٦هـ)، المجمع العلمي العراقي، الرقم ١٠٨٣.
- بَسْطُ الأَعذارِ عن حُبِّ العِذارِ: محمَّد بدر الدين المنهاجيّ (ت بعد ٨٥٠هـ)، المجمع العلمي العراقي، الرقم ٦/ ٨ أدب.
- تأهيلُ الغريب: محمد بن الحسن النَّواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الرقم ١٠٧ - أدب.
- ديوانُ الأدب: شهاب الدين أَحمد بن محمَّد الخفاجيّ (ت ١٠٦٩هـ)، مكتبة المتحف العراقي، الرقم ٥٨٥.
- ديوانُ فخر الدين بن مكانس (ت ٧٩٤هـ)، مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة، الرقم ١٤٤/ أدب.
- دِيوانُ الفُصَحاءِ وتُرجُمانُ البُلَغاءِ وتَذكِرَةُ دُرَّة أبكار أفكار الشعراء: أيبك بن عبد الله الصفديّ (ت بعد ٧٥٢هـ)، المكتبة الوطنية النمساوية.
- السفينة: ابن مبارك شاه المصريُّ (ت ٨٦٢هـ)، مكتبة فيض الله بإستانبول، الرقم ٢٧٨.
- سلوكُ السنن إلى وصف السكن: محمد بن الحسن النَّواجيّ (ت ٨٥٩هـ)، مكتبة كلية الآداب، جامعة بغداد، الرقم ١٢٣.
- اللفظُ الوَجيزُ المُستنبَطُ مِن الكتابِ العَزِيزِ: يوسف بن سيف الدولة بن زماخ الحمداني المهمندار (ت ٧٠٠هـ)، دار الكتب المصرية، الرقم ٢٦٤٥.

المطبوعةُ:

- الأدبُ في العصر الأيوبيِّ: د. محمد زغلول سلّام، منشأة المعارف،

الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- الأعلاقُ الخطيرةُ في ذكر أمراء الشام والجزيرة: ابن شداد (ت ٦٨٤هـ)، عُنِيَ بِنَشرِهِ وتَحقِيقِهِ سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٦م.
- أعيانُ العصر وأعوانُ النصر: خليل بن أيبك الصفديّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت – دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.
- البِدايَةُ والنِّهايَةُ: إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطِّباعةِ والنَّشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- تاريخُ آدابِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ: جُرجي زيدان، مراجعة وتعليق د. شوقي ضيف، دار الهلال، د.ت.
- تاريخُ الأدب العربي: كارل بروكلمان، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.
- تاريخُ الإسلام وَوَفياتُ المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- التذكرةُ السعديةُ في الأَشعارِ العَرَبِيَّةِ: محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيديّ، تحقيق د. عبد الله الجبوريّ، دار الكتب العلميَّةِ، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- تَزيينُ الأَسواقِ في أَخبارِ العُشّاق: داود الأنطاكي، دار حمد ومحيو، بيروت، ١٩٧٢م.
- التَّعريفُ بِمُصطلحاتِ صُبحِ الأَعشى: محمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- تكملةُ المعاجمِ العربيَّةِ: رينهارت دوزي (ت ١٨٨٣م)، نَقَلَهُ إِلى العربية

وعلَّق عليهِ د. محمَّد سليم النعيميّ، بغداد، ١٩٧٨م.
- حُسنُ المحاضرة في تاريخ مِصر والقاهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- حلبةُ الكُميتِ في الأدب والنَّوادرِ المتعلِّقةِ بالخَمريّاتِ: محمَّد بن حسن النواجيّ، المكتبة العلامية، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
- الحماسةُ: أبو تمّام الطائي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة محمد بن سعود الإسلاميَّة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ديوانُ ابن قلاقس الإسكندريّ (ت ٥٦٧هـ)، تحقيق د. سهام الفريح، مراجعة د. محمود مكي، دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢م.
- ديوانُ ابن نُباتة السَّعديّ (ت ٤٠٥هـ)، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطِّباعَةِ، بغداد، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- ديوانُ ابنِ نُباتَة المِصريّ (ت ٧٦٨هـ)، نَشَرَهُ محمد القلقيليّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ديوانُ الصّاحب جمال الدين بن مطروح، جمعه وحقَّقه د. جودة أمين، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ديوانُ الصَّبابَةِ: ابن أبي حجلة، تحقيق وتعليق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧م.
- الذيلُ على الرَّوضَتَينِ: أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، نَشَرَهُ عزت العطار، دار الجيل، بيروت،١٩٧٤م.
- ذيلُ مرآة الزمان: موسى بن محمَّد اليُونينيّ (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق د. عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣م.
- راحةُ الأَرواحِ في الحَشيشِ والرّاحِ: تقيّ الدين البدري الدمشقي (ت ٨٩٤هـ)، تحقيق ودراسة دانيلو مارينو.

- السلوكُ لمعرفة دول الملوك: المقريزيّ (ت ٨٤٥هـ)، نَشَرَهُ محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م.
- سِيَرُ أَعلامِ النُّبلاءِ: محمَّد بن أَحمد الذَّهَبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- شرحُ حماسة أبي تمام: الأعلم الشنتمريّ (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق د. علي المفضل بن حمّودان، دار الفكر، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- شعرُ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، جمع وتحقيق د. سامي مكي العاني، بغداد، ١٩٧١م.
- شفاءُ القلوب في مناقب بني أَيُّوب: أَحمد بن إبراهيم الحنبليّ (ت ٨٧٦هـ)، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.
- صبحُ الأعشى في صناعة الإنشا: أَحمد بن علي القلقشنديّ (ت ٨٢١هـ)، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- طَبَقاتُ الشُّعَراءِ: ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، تحقيق عبد الستار أَحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م.
- العِبَرُ في خَبَرِ مَنْ غَبَرَ: محمد بن أَحمد الذهبيّ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٦هـ.
- عُيُونُ الأَخبارِ: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق منذر محمد سعيد أبو شعر، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- عُيونُ الأنباء في طبقاتِ الأَطِباءِ: موفق الدين بن أبي أُصَيبعة (ت ٦٦٨هـ)، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
- عيونُ التواريخ: محمد بن شاكر الكُتُبيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، بغداد، ١٩٨٠م.

- فِهرِسْتُ المخطوطات المصورة: فؤاد السيد، دار الرياض للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٥٤م.
- فَواتُ الوَفَياتِ والذَّيلُ عليها: محمد بن شاكر الكتبيّ، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٧٣م.
- في نَقد التَّحقِيقِ: عباس هاني الجراخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م.
- في الوطنِ العربيِّ (رحلات): الشيخ حمد الجاسر، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- الكشفُ والتَّنبيهُ على الوصف والتشبيه: خليل بن أيبك الصفدي، حَقَّقَهُ وعلَّقَ عليه هلال ناجي، ليدز، بريطانيا،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- مطالعُ البدور في منازل السرور: علاء الدِّين بن عبد الله الغزوليّ (ت ٨١٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ١٤١٩هـ/ ٢٠٠٠م.
- المُقتَفِي على كتاب الروضتين: القاسم بن محمد بن يوسف البرزاليّ الإشبيليّ الدمشقيّ (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمريّ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- المنهلُ الصافي والمستوفي بعد الوافي: يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، تحقيق د. محمد محمد حسين، الهيئة المصرية العامة للكِتابِ، القاهرة، ١٩٨٥م.
- النُّجومُ الزاهرةُ في حُلى حَضرَةِ القاهرة: ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب المصريَّة، القاهرة،١٩٧٠م.
- النُّجومُ الزاهرةُ في ملوك مِصر والقاهرة: ابن تغري بردي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦م.
- الوافي بِالوَفَياتِ: خليل بن أَيبَك الصَّفديّ، تحقيق مجموعة من المستشرقين والعرب، جمعية المستشرقين الأَلمانِيَّة، فرانز شتاينر، إسطنبول وبيروت.

التباس الخط المغربي والأندلسي في المخطوطات على بعض النسّاخ المشارقة

أ. مأمون محمد سعيد الصاغرجي(*)

إنَّ مما يُصادِفه محققو كتب التراث في المخطوطات العربية من صعوبة في تعرُّف بعض الخطوط، قد يعودُ إلى جهل بعض النُّسَّاخ في رسم الكلمة، وهم ينقلونها من مخطوط إلى آخر، فيقع فيها التصحيف والتحريف، وهنا تكمن الحيرة التي يُلاقيها المحقق في توجيه الكلمة بعد تصحيفها أو تحريفها، فيقف عندَها طويلًا، يتعرَّف كُنهَها، ويُحاول وضعَها في سياقها الصحيح، بما أوتي من علم ومعرفةٍ في أصول اللغة العربية وأساليبها نثرًا وشعرًا؛ ليصل بها إلى الصواب، ويعيدها إلى وضعها الأول الذي أثبته المؤلف في نسخته الأم.

وقد كان لي مع تلك المشكلات وقفات سديدة، هداني الله إليها، إذْ رصدتُ بعضًا منها، في أثناء عمَلي في التحقيق، وكان عَرضُها على القارئ بعبارات مكتوبة لا يفي بالمطلوب في ثمانينيات القرن الماضي، ولا تؤتي أُكُلَها، ولا تؤدِّي الغاية المرجوَّة، وكانت الصور (الفوتوغرافية) تفتقِرُ حينَها

(*) خبير لجنة المخطوطات وإحياء التراث في مجمع اللغة العربية بدمشق، وأمين تحرير مجلته سابقًا.

ورد إلى المجمع بتاريخ ٥/ ٧/ ٢٠٢٣م.

إلى دِقَّة الوسائل الحديثة، وغدت اليوم سهلة هيِّنةً واضحةً على طرَف الثُّمَام، ومهما حاول المحقق وصف الحروف التي يقرؤها في المخطوط بعبارته، تبقَ الصورة المجرَّدة الحديثة أوفرَ حظًّا في الوضوح، وأكثر دقةً في الوصف كالقدرة على تصوير كلمة أو كلمتين أو عبارة أو سطر من المخطوط بجَوْدةٍ عالية، ثم دمجها في المقال[١].

أما اليوم فقد غدا الأمر سهلًا ميسَّرًا، بأن يتصفح الباحث المخطوط على الحاسوب ويأخذ منه ما شاء من الصور، أو يقتطع جزءًا كبيرًا أو صغيرًا من الصفحة التي يقرأ فيها بحسَب حاجته. ولعل هذا التقدم التقني يحقق في هذا المقال هدفين اثنين:

الأول: إمكان عرض بعض تلك المشكلات بيسرٍ وسهولة.

الثاني: تقريب عمل التحقيق ومشاقِّه إلى الأذهان عند كثير من القرّاء.

وقبل أن أعرض ما عندي من تلك المشكلات لا بدّ أن أنوِّه بالخط المغربي وهندسته المتقنةِ التي تفنَّن فيها النسَّاخ المهَرة، وعُنوا برسمه وتزيينه، وأبدعوا في زخرفته وتحسينِه، من مثل البِرْزالي[٢] (ت ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م)، والخطاط أحمد بن قاسم الرفاعي الحسني الرباطي (ت ١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م)، وغيرهما.

امتاز الخط المغربي بمظهره البديع في انحناءاته واستداراته وأشكالهِ المولّدة عن خطوط تأثر بها النُّسّاخ، وبقيت أماراتها واضحة فيه، كالخط الكوفي والأندلسي والإفريقي، فلم يكن كُتَّابه يلتزمون فيه قواعد محددة، بل

(١) انظر مثالًا على هذه الدقة النصَّ المحقق «شرح أبيات الحيدرة اليمني في الممدود والمقصور» للعلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني في مجلة آفاق التراث (العدد ٩٧ الصفحات ١٨٠-١٩٢).

(٢) سيأتي التعريف به بعد قليل.

كانوا يكتبون الحرف الواحد بطرائقَ عدّة، لذا يُنسب الخط المغربي أحيانًا في حالات تطوُّره إلى المدن التي نشأ فيها، كالخط القيرواني والخط الفاسي والخط التِّمْبكتيّ (نسبة إلى تِمْبُكْتو) والخط القرطبي[٣].

ومع ما يتمتَّعُ به الخط المغربي من جمال فائق، وهندسة محكمة، ومع ما يحملهُ من قيم جمالية وحضارية عالية، كان له أثرٌ سيِّئٌ فيمَنْ يجهلُه من المشارقة[٤] الذين لم يتمرَّسوا بقراءته، ولم يعلموا قواعده المعروفة، من مثل إعجام حرف الفاء بنقطة من تحته، وإعجام القاف بنقطة من فوقه، ورسم الطاء فيه شبيهًا بحرف الكاف، وحرف الميم في آخر الكلمةِ المنحني إلى الخلف حتى أشبه حرف العين، وتَرْك رَسْم السُّنَيْنَةِ بعد حرفي الصاد والضاد اللذين يأخذان شكلهما البيضوي هكذا:

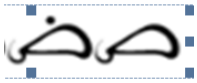

وقد تُرسَمُ فيه نقطة الضاد داخل الحرف، وقد لا تُعجَمُ الحروف في نهاية الكلمات، كالفاء والقاف، والنون والياء، وهكذا دواليك[٥].

وهذا أنموذج من الخطوط المذكورة:

---

(٣) انظر التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه (ص٩٦)، والموسوعة القرآنية لإبراهيم الأبياري (١/ ٣٩٥، ٣٩٧)، ودراسات في تاريخ الخط العربي لصلاح الدين المنجد (ص ٨٢)، والخط المغربي: خصائص وأنواع لمحمد الصادق عبد اللطيف. https://hibastudio.com/ .

(٤) ألمح الشيخ إبراهيم الباعوني الدمشقي (ت ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) إلى صعوبة الخط المغربي على أهل المشرق، وبيَّنَ ذلك التلميح المقَّري في نفح الطيب (٦/ ١٤٥، ١٤٦). وأشار إلى صعوبة الخط المغربي أيضًا لدى الناسخ المشرقي الدكتور إحسان عباس في مقدمته للذخيرة (القسم الثالث ، المجلد الأول ص٧).

(٥) انظر مقدمة كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة (ص١٤٢).

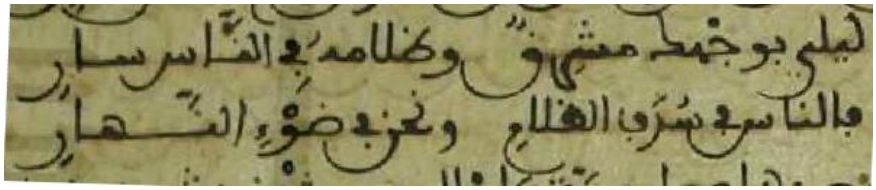

ليلـي بوجهـك مُشـرِقٌ وظلامهُ فـي النـاس سـارِ
فالناسُ في سُـدَفِ الظـلا مِ ونحنُ في ضَوْءِ النهـارِ

وهذا نموذج آخر يظهر فيه إعجام القاف بنقطة من فـوق، وشـبه حـرف الطاء بالكاف:

وهذه قراءتُه:

«ومن اقترب من أبواب السلطان افتَتَن؛ من قُتـل دون مالـه فهـو شـهيد؛ من قُتل دون أهله فهو شهيد؛ من قتل دون دينـه فهـو شـهيد؛ مـن يُـردِ الله بـه خيرًا [يفقِّهْهُ في الدين]».

أنموذج آخر:

﴿مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٦٨-٦٩].

فانعكس ذلك الجهل بالخط المغربي ومشتقاته على المخطوطات المشرقية، التي نُسخت عن تلك الأصول، من مثل تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، فإنّ هذا الكتاب مشرقيُّ المنبت، إلَّا أنَّ فقدان أصوله التي نسَخَها المؤلف وابنُه القاسم(٦) بخطهما، ألجأتِ النسَّاخَ بعدَهما إلى كتابته من نسخة البِرزالي(٧) الذي كتب

(٦) هو أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله ، ابن صاحب التاريخ الكبير تاريخ مدينة دمشق، كان له الفضل في نسخ كتاب والده وتبييضه على ضخامة حجمه (٨٠ مجلدة). (ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م).

(٧) البرزالي هو محمد بن يوسف بن أبي يدَّاس البِرْزالي الأندلسي الإشبيلي، المغربي الأصل - وبرزالة قبيلة بالأندلس -، وكان مقيمًا في دمشق، وهو من العلماء المؤرخين =

التاريخ من خط القاسم بن علي بن الحسن ابنِ مؤلِّف التاريخ المذكور.

١ـ أمثلة على التباس حرف القاف بالفاء، وحرف الميم الأخيرة بالعين:

فمن بعض تلك المشكلات ما جاء في ترجمة «سليمان بن أرقم» من كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر التي كتبها البِرْزاليُّ بخطِّه العبارةُ التالية:

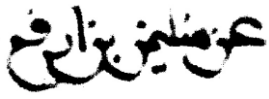

الملاحظ أن الكلمة الأخيرة تُقرأ بحسَب الحرف المشرقي: «أرفع»، والبرزالي أراد بها: «أرقم»، فبالخط المغربي – كما أسلفت – تُعجَم القافُ بنقطةٍ مِن فوقِها. والميم منحنية نحو الخلف، فأشبهت حرف العين، أي: أنَّ حرفَ الميم اشتَبَهَ على كاتب النسخة المشرقية السليمانية بأنه (ع)، فظن أن الاسم (أرفع)، وأنه مُحَرَّفٌ عن (رافع) بتقديم حرفٍ على حرف، فأثبتَ (رافع) بحسَب اجتهاده، وأضرب عن (أرفم) التي قرأها فاء، يعني (أرقم).

= المرموقين، توفي سنة ٦٣٦هـ. وخطه الأندلسي معروفٌ باستقامته ودقته. قال عنه الذهبي: كتب عمن دَبَّ ودرَج، ونسخ الكثير لنفسه وللناس، بخط حلوٍ مغربي. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٥٥-٥٧، والأعلام للزركلي ٧/ ١٥٠.

وهذا أنموذجٌ من خطه في تاريخ دمشق:

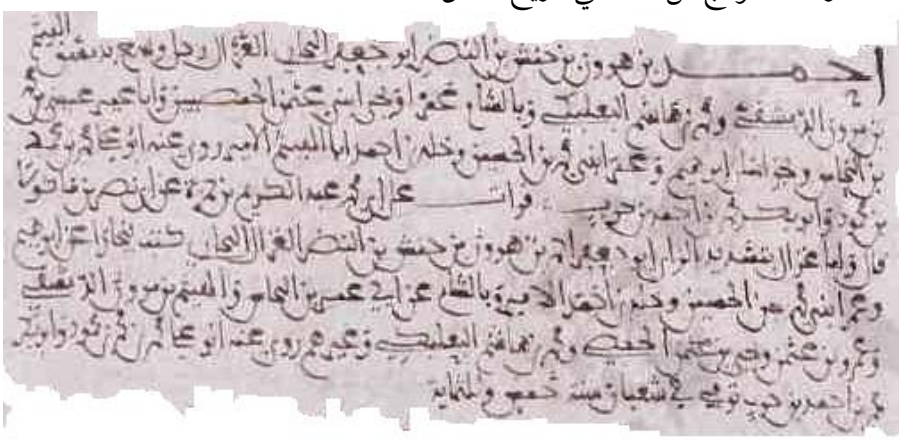

وهكذا كلما مرّ اسم (أرقم) في الترجمة جعله (رافع)، على زعمه أنه محرَّفٌ عن رافع بدل أرفع، ولم يدر أن عمله هذا هو التَّحرِيفُ بعينه؛ إذ أثبته بهذه الصورة:

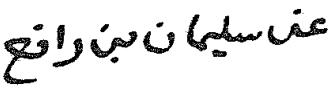

فالصواب إذًا هو: «عن سليمان بن أرقم».

● مثال آخر على اشتباه حرف الميم الموصولة في آخر الكلمة بحرف العين:

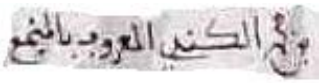

إن الكلمة الأخيرة في هذه الصورة يقرؤها المشارقة «بالمنجع»، وكذا قرأها كاتب النسخة السليمانية من تاريخ مدينة دمشق، وكتبها كذلك، أو رسَمَها رسمًا كما شاهدها:

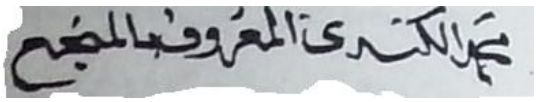

وكذلك قرأها وأثبتها محقِّق تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر ٦/ ٣٧).

علي بن حَميرة، وَعَبد الغافر بن سلامة، ومحمّد بن بَركة، وعَبّاس بن الفَضل الدّبّاج، ومحمد بن عَبد الله بن محمّد الكِنْدي، المعرُوف بالمنجع، وَأبي بَكر الخَضِر بن محمّد بن غويث، وَزَكريّا بن أحمَد البَلْخي، وَأبي بكر الخرائطي، وَأحمَد بن

فالصواب إذًا: «بالمُنَجِّم»[٨].

(٨) وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن أيوب الكِنْدي، أبو عبد الله الرَّهاوي المعروف بالمُنجِّم. حدَّث بدمشق عن: الربيع بن سليمان، ومحمد بن عليّ الصائغ، وصالح بن بشْر، وجماعة؛ وعنه: محمد وأحمد ابنا موسى السَّمْسار، وعبد الوهّاب الكِلابيّ. توفِّي سنة ٣٢٤هـ. انظر ترجمته في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٦٣ (ط المجمع)، ومختصره لابن منظور ٢٢/ ٣١٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٧/ ٥٠٠ رقم (٢٠٠).

● مثال آخر على اشتباه حرف الفاء بحرف القاف:

جاء في كتاب: الرسالة القشيرية المطبوع بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود (١/ ٦٢)، العبارة التالية كما يلي:

وافترش أهل المحبة أقدامهم، وجرَتْ دموعُهم عَلَى خُدودِهم، **وتقطرت في محاريبهم**.

وهذه صورة طبعة الرسالة القشيرية المذكورة:

فقال : يا أحمد ، ولم لا أبكي ، وإذا جنَّ الليل ، ونامت العيون ، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه ، وافترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وتقطرت فى محاريبهم ، وأشرف الجليل ؛ سبحانه وتعالى ؛ فنادى : يا جبريل ، بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى ذكرى ،

وكذلك جاء النص في كتاب إحكام الدلالة على تحرير الرسالة (يعني الرسالة القشيرية) أيضًا بتحقيق عبد الجليل العطا (١/ ١٢٣) وهذه صورته:

فقال : يا أحمد ؛ ولِمَ لا أبكي و أنا أعلم أنه إذا جَنَّ الليل : دخل وستر ، ونامت العيون ، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه ، وافترش أهلُ المحبَّة أقدامَهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وتقطَّرتْ في محاريبهم . أشرف الجليل سبحانه وتعالى : تفضَّل عليهم بنعمه ، وزاد قلوبهم حضوراً وشوقاً إليه ؛

وإذا قرأنا العبارة السابقة في النسخة المغربية من الرسالة القشيرية نجدها كما يلي:

وجرت دموعهم على خدودهم، **وتفطّرتْ أقدامهم في محاريبهم**، وهذه صورتُها:

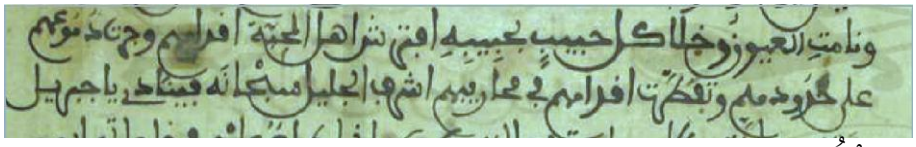

إذْ أُعجِمَتِ الفاءُ بنقطة تحت الحرف، وانقلبتِ الفاء في الطبعتين المذكورتين إلى قاف، وسقطَتْ أو أُسقطَتْ كلمةُ (أقدامهم) من الطبعتين أيضًا.

ولعل كلمة الدموع في النص هي التي أوهمت المحقق، لأن الدموع غالبًا ما تتقطّر على الخدود، فمن لوازمها التقطُّر، فظنَّها قافًا، وأسقط كلمة (أقدامهم) أو سقطت سهوًا لتستقيم العبارة؛ والحقيقة أن التفطُّر - وهو التشقُّق في القدَمَيْن - من صفاتِ مَنْ يُطيل القيام على قدميه ليلًا في الصلاة، جاءَ في حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبيَّ ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطَّرَ قدماه(٩).

فالصوابُ إذًا: وتفطرت أقدامهم في محاريبهم.

٢ـ التباس حرف القاف بحرف الغين:

جاء في ترجمة سليمان بن أبي حثمة في نسخة البرزالي من تاريخ مدينة دمشق (ص٤٨٤) ما نصه:

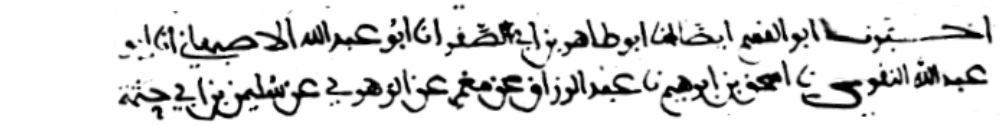

انظر في هذه القطعة إلى آخر السطر الأول، وبداية السطر الثاني، قوله: «أبو عبد الله النفوي»، إذْ نسخها كاتب النسخة السليمانية من التاريخ هكذا:

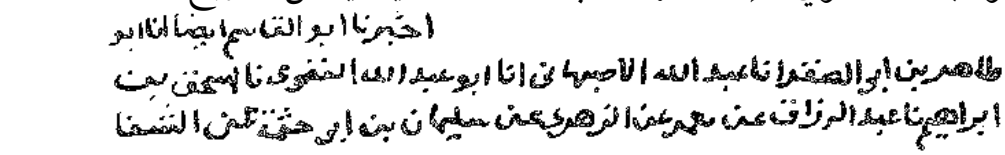

لظنِّه أن حرف القاف المعجم بنقطة من فوقه هو حرف غين؛ فأثبتها «**النغوي**»، ثم جاء من قرأها بعدَهُ كذلك: «**أبو عبد الله النغوي**».

ثم جاء من بعدِهما محقِّق تاريخ مدينة دمشق فظنَّ أنَّ حرف النون مصحَّفٌ عن الباء، فأثبتها هكذا: «**أبو عبد الله البغوي**» (٢٢/ ٢١٨ ط دار الفكر)، وهذه صورته:

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٤٨٣٧.

فقد أَخْبَرَنَا أَبُو القاسم أيضاً، أَنا أَبُو طاهر بن أبي الصقر، أَنا [أبو][٣] عَبْد اللّه الأصبهاني، أَنا أَبُو عَبْد اللّه البغوي[٤]، نا إسحاق بن سُلَيْمَان، نا عَبْد الرَّزّاق، عن مُعْمَر، عن الزهري، عن سُلَيْمَان بن أبي حَثْمَة، عن الشفاء ابنة عَبْد اللّه قالت:

دخل على بيتي عمر بن الخطاب، فوجد عندي رجلين نائمين[٥]، فقال: ما شأن هذين؟ أما شهدا معنا الصلاة؟ قالت: يا أمير المؤمنين صليا مع الناس، وكان ذلك في شهر رمضان، فلم يزالا يصلّيان حتى أصبحا، ثم صلّيا الصبح وناما، فقال عمر: لأن أصلي الصبح في جماعٍ أحبّ إليَّ من أن أصلي ليلة[٦].

أَخْبَرَنَا أَبُو بكر محمَّد بن الحسَين بن المَرْزَقي[٧]، نا أَبُو الحسَين بن المهتدي.

وأَخْبَرَنَا أَبُو القاسم بن السّمرقندي، أَنا أَبُو الحسَين بن النّقّور، قالا: أنا

(١) في الإصابة ٢/١٠٦ من قيام ليلة.
(٢) انظر الإصابة ٢/١٠٦.
(٣) زيادة لازمة عن م، وقد مرّ في الخبر السابق.
(٤) بالأصل وم: النغوي، خطأ، والصواب ما أثبت.

وقد علَّق المحقق كما هو مبيَّن في الحاشية رقم (٤) أنه في الأصل ونسخة أخرى: «النغوي» وهو خطأ، فاستبدل بالنون الباء هكذا «البغوي». ولكن ذلك للأسف اجتهادٌ في غير محلِّه، ومن غير بيِّنة أو قرينة.

والصواب فيه: «**أبو عبد الله النَّقَوِيّ**». وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله النقوي، نسبةً إلى نَقْو بالفتح: قَرْية بصَنْعاء اليَمَن، والمحدِّثُونَ يحرِّكُونَه[١٠]. سمع إسحاق بن إبراهيم الدبَري، وهو صاحب عبد الرزاق مؤلف المصنَّف.

ثم إن المحقِّق أثبت اسمه هكذا: «إسحاق بن سليمان» من غير حُجَّةٍ ولا بيان، واسمه في نسختَيِ المخطوط كما هو مبيَّن: «إسحاق بن إبراهيم»، وهو الدبَري. كما في مصادر ترجمته.

٣ـ التباس حرف الكاف بحرف الطاء:

● جاء في صدر ترجمة أحمد بن محمد بن نَفِيس الملطي من تاريخ

(١٠) انظر ترجمة النقوي في الأنساب للسمعاني ١٢/ ١٣٣، واللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٣٢٣ وتوضيح المشتبه ٩/ ١١٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٣٩ رقم (٤٢٨)، والتاج (ن ق و).

مدينة دمشق بخط البرزالي هكذا:

فظاهر – حسَبَ قراءة المشارقة – أنه حرف الكاف، فقرأه محقق كتاب تاريخ مدينة دمشق في طبعة دار الفكر (٥/ ٤٥٨): الملكي، ثم تبيَّن له أنه مصحف؛ اعتمادًا على مصادر ترجمته، ولو عرف الخط المغربي لقرأه كافًا على الصواب، ولم يحتَجْ إلى التعليق رقم (٥) التالي:

٢٢٤ ـ أَحْمَد بن محمّد بن نَفيس

أَبُو الحسَن الملطي[٥] الإمَام الشاهد

رَوى عن أبي علي الحصائري[٦].

(١) انظر تاريخ بغداد ٥/ ١٠٤ واسمه: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز.
(٢) تاريخ بغداد ٥/ ١٠٣. (٣) بالأصل «سوقة» والمثبت عن تاريخ بغداد.
(٤) بالأصل «عبد الكريم» والمثبت عن تاريخ بغداد.
(٥) بالأصل «الملكي» والمثبت عن مختصر ابن منظور ٣/ ٢٨٧ وبغية الطلب في تاريخ حلب ٣/ ١٠٤١.
(٦) في بغية الطلب: الحضائري تحريف، واسمه: الحسن بن حبيب بن عبد الملك انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٨٣.

وهو أبو الحسين أحمد بن محمد بن نفيس الملَطِي الشاهد، (ت ٤٠٤هـ).

الملَطِي: بفتح الميم واللام، وفي آخرها الطاء المهملة، هذه النسبة إلى مَلَطْيَة، وهي من ثغور الرُّوم مما يلي أذربيجان[١١].

● مثال آخر على اشتباه حرف الطاء أيضًا بحرف الكاف:

في تاريخ مدينة دمشق نسخة البرزالي في المجلدة الثامنة ترجمة أحمد بن مسلمة بن جبلة:

«وبإمراج النظر تطلعت النفس إلى فضول الشهوات».

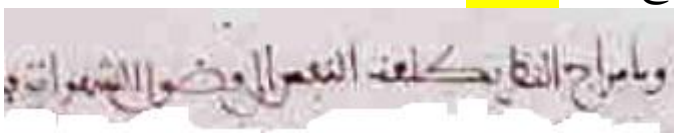

(١١) انظر الأنساب للسمعاني (١٢/ ٤٦٨).

تظهر الطاء واضحة تشبه حرف الكاف، وكذلك قرأها كاتبُ نسخة أحمد الثالث من تاريخ دمشق، فرسمَها «تكلفت» هكذا:

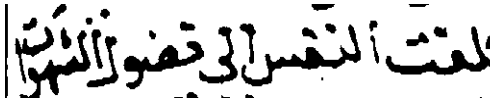

فتُقرأ العبارة على الصواب هكذا:

«بإمْراجِ النظر تطلَّعَتِ النفسُ إلى فضول الشهَوات»

وإمراجُ النظَر: إرسالُه.

٤ـ التباس حرف الميم المُذال بالراء، وحرف القاف بالفاء:

جاء في نسخة البرزالي من تاريخ مدينة دمشق في ترجمة أحمد بن محمد بن هبة الله في المجلدة الثامنة ما نصُّه:

كنية «أبو القاسم» وردت بحذف الألف بعد القاف(١٢)، ونقطة فوق القاف، وحرف السين، ثم الميم المنحنية نحو الخلف على شكل العين في أول المقطع ، فيبدو أن كاتب النسخة السليمانية قرأها على الصواب، وأثبت بدلًا من الميم المنحنية على شكل العين، ميمًا مُذَالة [يعني لها ذيل هكذا] كما في الميم في خط الثُّلث من هذه الكلمة . فانظر إلى صورتها في آخر السطر التالي:

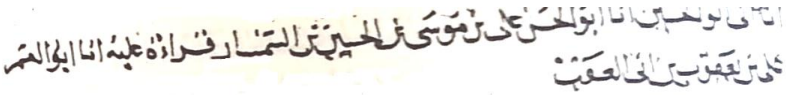

فقرأ كاتب نسخة كامبردج الميم راء، وقرأ القاف غينًا، فصارت عنده:

(١٢) كثيرًا ما تحذف الألف من أسماء الأعلام الأعجمية وغيرها في المخطوطات عامة، من مثل إبراهيم وإسحاق وإسماعيل والقاسم والحارث ومروان، وغيرها، وترسم هكذا: إبرهيم وإسحق وإسمعيل والقسم والحرث ومرون.

أبو الغمر هكذا:

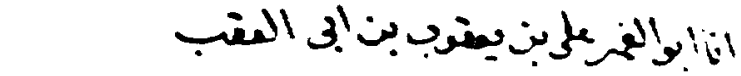

وكذا قرأها محقق تاريخ مدينة دمشق في طبعة دار الفكر (٥/ ٤٦٣)

وهذه صورتها:

أخْبَرَنا أبُو مُحمّد بن الأكفاني، أنا أبي أبُو الحسَين (٤) ، أنا أبُو الحسَن علي بن مُوسَى بن الحسين بن السّمسَار ـ قراءة عليه ـ أنا أبُو الغَمْر عَلي بن يَعقوب بن أبي العَقَب ـ في شهر رَمضان سنة ثلاث وَخمسين وثلاثمائة ـ نا أبُو زُرعة عَبْد الرَّحمٰن بن

وأما كاتب نسخة «مصطفى عاطف»، فزاد قبل الغين ميمًا وقلب الغين عينًا فصارت عنده «أبو المعمر» هكذا:

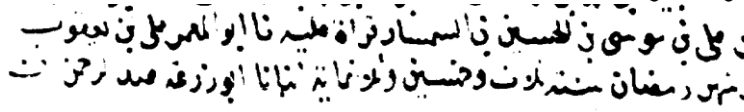

****

وإلى هنا يتبيَّنُ لنا من هذا العرض السريع، أنَّ مهمة المحقق شاقَّة ومسؤولة في إبراز النصوص صحيحة نقيةً من كل شائبة، فعلى ذلك يجب أن يتحلَّى المحقق بالأناة والصبر، والهمة العالية في البحث والتنقير، إلى جانب ما لديه من حِسٍّ معرفي بمصادر الفن الذي يعالجه، من مثل كتب الضبط المعروفة في اللغة شعرًا ونثرًا، وأسماء الرجال والتاريخ والأدب، للوصول إلى الصواب؛ لأنه عندما يكون النصُّ سليمًا مُعافًى كما وضعه مؤلِّفُه يستطيع الباحث والدارس الوقوفَ على الرأي الصحيح، واستخراج الأحكام، والنظر الصائب. ولا يستقيم عملُ المحقِّق إلَّا بإنعام النظر، وبذل الجهد مع السهر، والتسلُّح بأدوات هذا الفن، من لغة سليمة، وعلم بالباب الذي يطرقه، فيضع الكتاب المحقَّق بين يدي الدارسين والباحثين، فتكون

أحكامُهم، ونتائج بحوثهم ودراساتُهم مستندةً إلى نصوص صحيحة منقحة بريئة من كل شائبة.

واللهَ أرجو أن ييسِّر لي، لأضع بين يدي القارئ ما اختزَنتُه في جَعبتي في قادمات الأيام، فأُطلعه على وقفات أخرى في هذا المجال، إنه أكرم مسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

المصادر والمراجع

- إحكام الدلالة على تحرير الرسالة القشيرية: لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق عبد الجليل العطا البكري – دار النعمان للعلوم – الطبعة الأولى (رمضان ١٤٢٠هـ/ كانون الثاني ٢٠٠٠م).
- الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل: تأليف أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤هـ)، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس، المكتبة المكية، دار البشائر الإسلامية، (بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
- الأعلام: قاموس التراجم؛ تأليف خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة (أيار، مايو ٢٠٠٢).
- الأنساب: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ط بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضَى الحسيني الزَّبِيدي، تحقيق جماعة، مطبعة حكومة الكويت، وزارة الإعلام. (١٣٨٥-١٤٢٢هـ/ ١٩٦٥-٢٠٠١م).

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لمؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ا لذهبي، تحقيق بشار عواد معروف، ط دار الغرب الإسلامي، دار صادر (بيروت ٢٠٠٣).
- تاريخ مدينة دمشق: للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المجلدة ٦٣، تحقيق سكينة الشهابي، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ٢٠٠٥ م.
- تاريخ مدينة دمشق: للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، طبعة دار الفكر بيروت (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
- التصاريف، تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرّفت معانيه: تأليف يحيى بن سلَّام (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م)، قدمت له وحققته هند شلبي، (مؤسسة آل البيت الملكية)، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية (١٤٢٩هـ =٢٠٠٨م).
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت – ١٩٩٣م).
- الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة مصورة عن طبعة بولاق (مصر ١٣١١ – ١٣١٣هـ) بعناية دار طوق النجاة.
- دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بداياته إلى نهاية العصر الأموي: تأليف صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد (الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٩).

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس.
- الرسالة القشيرية: لأبي القاسم عبد الكريم القشيري، بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، طبعة دار المعارف ١٩٩٥.
- سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى (٧٤٨هـ)، تحقيق جماعة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى (١٤٠١-١٤٠٩هـ/ ١٩٨١-١٩٨٨م).
- صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ
- اللباب في تهذيب الأنساب: تأليف عز الدين ابن الأثير الجزري، مكتبة المثنى، بغداد، طبعة مصورة في بيروت (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: للإمام محمد بن مكرّم المعروف بابن منظور، طبعة دار الفكر بدمشق (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- الموسوعة القرآنية: جمع وتصنيف إبراهيم الأبياري، (مطابع سجل العرب، مصر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤).
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: تأليف أحمد بن محمد المَقَّري التلمساني شهاب الدين المغربي المالكي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٦٨.

* * *

نظرات في معجم لسان العرب

(القسم السادس)(**)

د. محمد يحيى زين الدين(*)

(أثكل) (ق ١٣/ ١٠)، قول الراجز:

لـو أبصـرَتْ سُـعدى بهـا كَنَـائلي
طويلـــةَ الأَقنـــاءِ والأَثاكِـــلِ

وإنما الصواب في البيت الأول: كتـائلي، بالتـاء: جمـع كتيلـة، وهـي النخلـة التي فاتت اليدَ. والأقناء: واحدها قنو، وهو العِـذْق. والأثاكـل: أراد بهـا العثاكـلَ، فقلب العين همزة، وواحدها عثكال، وهو عذق النخلة بما فيه الشماريخ(١).

(أصل) (ق ١٣/ ١٦)، وأما قول دَهْبَل...

وإنما الصواب: وأما قول أبي دهبل، وهـو وهـب بـن زمعـة الجمحـيّ. والأبيات الثلاثة التي أوردها ابن منظور هي في ديوانه ٥٩.

(*) باحث في اللغة العربية.

ورد إلى المجمع بتاريخ: ٣٠/ ٨/ ٢٠٢٣م.

(**)نُشِرَتِ الأقسام الخمسة الأولى من هذا المقال في مجلة المجمع: مـج٧١ ص٨٢٨- ٨٦٢، مج٧٣ ص٥٣-٨٨، مـج٧٣ ص٣٦٣-٣٩٠، مـج٧٤ ص٣٧١-٤٠٨، مـج ٧٧ ص٣١١-٣٤٦، وهي تتضمن ما وقع في مطبوعتي بولاق (ق) وبيروت من تحريف أو تصحيف.

(١) اللسان (ثكل، عثكل، عطبل، كتل، قنا)، والصحاح (كتـل)، وتهـذيب اللغـة ١٠/ ١٣٦، والمخصص ١١/ ١١٢، وإصلاح المنطق ٣٥٧، وتهذيب إصلاح المنطق ٧٣٩.

(بدل) (ق ١٣/ ٥٢)، قال الشَّوأَل بن نُعيم، أنشده يعقوب في الألفاظ... وإنما هو: الشوّال، بإسقاط الهمز[٢].

(بسل) (ق ١٣/ ٥٧)، قال عوف بن الأحوص بن جعفر:

وإبسالي بنيَّ بغير جُرْمٍ بَعَوناه ولا بِدَمٍ قِراضِ

وفي الصحاح بدم مراق. اهـ.

قوله: قراض، هي رواية ابن سيده[٣]، وإنما الصواب: مراق، كما في الصحاح (بسل)، والبيت من كلمة قافيَّة، وبعدَهُ:

لقِينا من تدرّئكم علينا وقتلِ سَراتنا ذاتَ العَراقي

الإبسال: الإسلام والترك. وبعوناه: اجترمناه. والبعو: الجناية والجرم. والمراق: المصبوب. والتدرُّؤ: الاندفاع والتهجم بالمكروه. والسراة: الأشراف. وذات العراقي: الداهية[٤].

(بهل) (ق ١٣/ ٧٥)، قول الشاعر:

وأبهلوا سَرْحَهُم من غير تَوْدِيةٍ ولا ديار ومات الفَقرُ والعَدَمُ

وإنما الصواب: ذيار، بالذال المعجمة. وهو البعر الرطب يُضمَّد به الإحليل وأخلاف الناقة ذات اللبن إذا أرادوا صرَّها؛ لئلا يؤثر فيه الصِّرار، ولكيلا يرضع الفصيل. وأبهلوا: أهملوا. والسرح: الأنعام. أي: تركوا سرحهم

---

(٢) اللسان (مذر، شول)، والمحكم ٨/ ٨٥، والألفاظ ٨٤، وتهذيب الألفاظ ١١٥. وفي التاج ٢٨/ ٦٧ (ح) «والبيت لشوال بن نعيم. وقيل: الشوأل».

(٣) الأرجح أن تلك الرواية من تحريف النساخ؛ لأن ابن سيده أورد البيت على الصحة في المحكم وفي المخصص في أكثر من موضع كما بينت.

(٤) اللسان (بعا)، وكتاب العين ٢/ ٢٦٥، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٤١، ١٢/ ٤٣٩، وجمهرة اللغة ١/ ٢٨٨، ٣١٧، والمحكم ٢/ ٢٧٠، والمخصص ١٢/ ١٥٠، ١٣/ ٧٩، والألفاظ ٣١٥، وتهذيب الألفاظ ٤٣٣.

بغير راعٍ. والتودية: الخشبة التي تُصَرُّ بها أطباء الناقة وتُشَدُّ على أخلافها إذا صُرَّت؛ لئلَّا يرضعها الفصيل. يصف عام خصب[٥].

(تلل) (ق ١٣/ ٨٣)، قال البُعيث....

وإنما هو البَعيث، بالفتح. وهو خداش بن بشر، شاعر أموي[٦].

(ثقل) (ق ١٣/ ٩١)، وقوله[٧]:

لا خيرَ فيه غير أن لا يَهتدي

وأنه ذو صَولةٍ في المِذوَدِ

وإنما الصواب في البيت الثاني: المزود، بالزاي، وهو ما يجعل فيه الزاد. أي: إنّه ذو صَولة على الطعام يأكله وينهكه ويبالغ فيه، فكأنه إنما يصول على حيوان ما، أو يصول على أكيله لذوده إياهم ومدافعته لهم. يهجوه بذلك[٨].

(ثمل) (ق ١٣/ ٩٧)، قال دكين:

جادَ به من قَلْتِ الثَّميلِ

والبيت مختلُّ الوزن، وإنما الصواب: من قُلُت الثميل، بضم اللام، وهي جمع قِلات، والقلات: جمع قَلْت، وهي الصخرة التي يكون فيها الماء. والثميل: جمع ثَميلة، وهي بقيّة الماء في القلت[٩].

---

(٥) اللسان (ذير).

(٦) النوادر ٢٩، ٧٦، ١٧٦، والشعر والشعراء ١/ ٤٩٧، والاشتقاق ٢٤١، والمؤتلف والمختلف ٧١، ١٥٣، وسمط اللآلي ١/ ٢٩٦.

(٧) ومثله أيضًا ما وقع في المحكم ٦/ ٢١٦.

(٨) اللسان (صول)، ومجالس ثعلب ١/ ٢٤٣.

(٩) اللسان (يرنأ).

(جرل) (ق ١٣/ ١١٤)، قال الكميت:

وما ضرَّها أنَّ كعبًا نوى وفوّزَ من بَعدِهِ جَرْوَلُ

وإنما الصواب: ثوى[١٠]، بالثاء، أو التاء. أي: هلك. وفوّز: مات. وكعب: هو ابن زهير. وجرول: يعني به الحطيئة[١١].

وقول الكميت مأخوذ من قول كعب بن زهير (ديوانه ٥٩):

فَمَنْ للقوافي شانها مَنْ يحوكُها إذا ما ثوى كعبٌ وفَوّزَ جَرْوَلُ

شانها: جاء بها شائنة؛ أي: معيبة.

(جزل) (ق ١٣/ ١١٦)، قال ابن مقبل يصف ناقة:

إذا الملوياتُ بالمُسُوحِ لَقِينها سقتهُنّ كأسًا من ذُعاقٍ وجَوزَلا

وإنما الصواب: ذُعاف، بالفاء، وهو سمٌّ ساعة. والملويات بالمسوح: النوق التي تُطير الأكسية من الشعر من نشاطها. والجوزل: السمّ[١٢]. يصف ناقة قوية على السير تُتعب غيرها من النوق لفرط نشاطها[١٣].

(جمل) (ق ١٣/ ١٣٣)، قال رؤبة:

واعتَلَجتْ جِماله ولُخْمُه

صوابه: ولُخُمُهْ، بضم الخاء. اللُّخْمُ والجَمَل: ضربان من سمك البحر.

---

(١٠) في مطبوعة بولاق: لوى. تحريف. وفي حاشية التاج ٢٨/ ٢٠٠: «الهاشميات ٧٧... والرواية في الهاشميات:

وما ضرَّها أنْ كان في التُّربِ ثاويًا زهيرٌ وأودى ذو القُروح وجرولُ»

وما ذهب إليه محقق التاج (الطناحي) ليس بصواب؛ لأن البيتين من كلمتين مختلفتين، فالأول منهما من المتقارب والآخر من الطويل.

(١١) اللسان (فوز، ثوا)، والصحاح (ثوى)، وديوانه ٢/ ٢٦ وفيه: توى.

(١٢) قوله: الجوزل: السمّ، لم يجئ إلّا في شعر ابن مقبل. الصحاح (جزل).

(١٣) اللسان (ذعف)، والصحاح (جزل)، وتهذيب اللغة ٢/ ٣٢٠، ١٠/ ٦١٤، والمخصص ٨/ ١١٤، وديوان ابن مقبل ٢١٠.

واعتلجت: تصارعت وتقاتلت[١٤].

(جهل) (ق ١٣/ ١٣٨)، أنشد سيبويه(*):

فلم يبقَ إلّا كلُّ صَفواءَ صَفوةٍ بصحراء تِيهٍ بين أرضينِ مَجْهَلِ

صوابه: صغواء صغوة، بالغين المعجمة. الصغواء: التي مال حنكها وأحد منقاريها، أو الصغيرة الرأس. وقوله: صغوة، هو على المبالغة، وإن اختلف البناءان، أو أنها الصغيرة الرأس. وقوله: بين أرضين مجهل، أي: إنّها تخرج من تيه إلى تيه، وهو أشدُّ عليها[١٥].

(حجل) (ق ١٣/ ١٥٢)، قال أدهم بن الزَّعراء...

وإنما هو ابن أبي الزعراء[١٦].

(حجل) (ق ١٣/ ١٥٢)، وقوله أنشده ثعلب:

ورابغةَ ألا أُحجِّلَ قِدْرَنا على لحمِها حين الشتاء لِنَشبعا

وإنما الصواب: ورابعة، بالعين المهملة. وقبله بأبيات:

فإنْ يكُ شابَ الرأسُ منّي فإنّني أَبيتُ على نفسي مناقبَ أربعا

أحجل قدرنا: أسترها وأجعلها في حَجلة، وهي مثل القبة. والبيت لمالك بن حريم الهمداني[١٧].

(حلل) (ق ١٣/ ١٧٣):

---

(١٤) اللسان (لخم)، وكتاب العين ٤/ ٢٧٤، وتهذيب اللغة ٧/ ٤٣٢، ١١/ ١٠٩، والتكملة (جمل)، وديوان رؤبة ١٥٨: وفيه: جماته لم أُعْنَ بذكر خلاف الرواية إلّا بين اللسان وديوان الشاعر.

(*) البيت لم يرد في الكتاب، أو شرحه، ولم يعزُ أحد إنشاده إلى سيبويه قبل ابن منظور فيما نعلم، وعزا ابن سيده في المحكم إنشاده إلى ثعلب. [المجلة].

(١٥) اللسان (صغا)، والمحكم ٤/ ١١٩، ومجالس ثعلب ١/ ٣٠٤.

(١٦) المؤتلف والمختلف ٣٥، وشرح ديوان الحماسة (المرزوقي) ٢/ ٦١٣، ٣/ ١٤٧٥.

(١٧) الأصمعيات ٦٤.

قال الليث: المحلّ: الآخرة والمُرْتَحَل... وأراد

وفي قوله بعد (المرتحل) بياضٌ صوابه: الدنيا(١٨).

(حول) (ق ١٣/ ١٩٩)، وقول النابغة الجعدي أنشده ابن سيده:

أكظّكَ آبائي فحوّلتَ عنهمُ وقلت له يا ابنَ الحيالى تحوّلا

وإنما الصواب: يا ابن الحيا لا تحولا(١٩).

ومثله قوله أيضًا (ديوانه ١١٤):

جهلتَ عليَّ ابن الحيا وظلمتني وجمّعتَ قولًا جاءَ بيتًا مُضَلِّلا

وقوله: ابن الحيا، أراد به سوار بن أوفى، زوج ليلى الأخيلية. ولم يرد البيت الأول في ديوانه.

(حيل) (ق ١٣/ ٢٠٨)، قال ذو الرمة:

بوهنَينِ تَسنوها السَّواري وتلتقي بها الهُوجُ شرقِيّاتُها وشَمالُها

إذا استنصلَ الهَيْفُ السَّفا لَعِبتْ به صَبا الحافَةِ اليمنى جنوب شمالها

وإنما الصواب في البيت الأول: بوَهْبِينَ، بالباء الموحدة. وهو جبل من جبال الدهناء(٢٠).

وقوله في البيت الثاني: جنوب شمالها، لم يُضبَط في المطبوعتين، وإنما هو: جنوبٌ شِمالُها. يعني شمال تلك الريح. يقول: الصبا عن يمينها والجنوب عن شمالها.

وتسنوها: تسقيها. والهوج: واحدها هوجاء، وهي الريح التي تقلع البيوت. والسواري: السحائب التي تمطر بالليل، الواحدة سارية.

(١٨) كتاب العين ٣/ ٢٦، وتهذيب اللغة ٣/ ٤٣٦.

(١٩) المحكم ٤/ ٦.

(٢٠) وهو من المواضع التي تردد ذكرها كثيرًا في شعر ذي الرمة. ديوانه ٣/ ٢١٨٤.

وشرقياتها: ما جاء من الشرق منها؛ يعني الصبا. والهيف: الريح الحارة. والسفا: شوك البُهمى. وقوله به: أي: بالسفا[٢١].

(خطل) (ق ١٣/ ٢٢٢)، وأنشد[٢٢]:

أَعدَّ أَخطالًا له وترمقا

صوابه: ونرمقا، بالنون. وهو اللين. فارسي معرب، وأصله نَرمَه. يعني الصياد. والخَطِل من الثياب: ما خَشُن وغَلُظ وجفا[٢٣].

(خعل) (ق ١٣/ ٢٢٣): ...وأورد نصف هذا البيت الذي نسبه ابن سيده للجوهري ونسبه لتأبط شرًّا...

وإنما الصواب: الذي نسبه ابن سيده للمتنخل الهذلي. المحكم ١/ ٧٤.

(خلل) (ق ١٣/ ٢٣٣)، وقال عَبيد بن الأبرص الأزدي...

وإنما هو: الأسَدي[٢٤].

(خول) (ق ١٣/ ٢٣٩)، وأنشد ابن بري للأعشى:

بأسيافنا حتى تَوَجّهَ خالُها

صوابه: حتى نُوجِّهَ خالَها، بالفتح. وصدره: نقيم لها سوق الضراب

---

(٢١) ديوان ذي الرمة ١/ ٥٠٢ وفيه: إذا ضرّج.

(٢٢) نسب هذا البيت إلى رؤبة في اللسان (نرمق)، وكتاب العين ٥/ ٢٦٥، وتهذيب اللغة ٩/ ٤١٧، والبارع ٥٤٤، والمعرب٣٣٣؛ وهو ليس في ديوانه، وإنما جاء فيه بيت آخر هو:

أَجُرُّ خَزًّا خَطِلًا ونَرْمَقا

ديوانه ١٠٩، والتكملة (نرمق، خطل). وفي البارع ٥٤٤: نرمق. تحريف.

(٢٣) اللسان (نرمق)، وكتاب العين ٤/ ٢١٧، ٥/ ٢٦٥، وتهذيب اللغة ٧/ ٢٣٤، ٩/ ٤١٧، والمعرب ٣٣٣.

(٢٤) طبقات فحول الشعراء ١١٥، والشعر والشعراء ١/ ٢٦٧، والأغاني ٢٢/ ٨١. والبيت الشاهد في ديوانه ١١٢.

ونعتصي. الخال: لواء الجيش[٢٥].

(دبل) (ق ١٣/ ٢٥٠)، قال الشاعر:

طِعـانَ الكمـاة وضـربَ الجيـاد وقـول الحواضـن دِبـلًا دَبـيلا

قال ابن بري: ذكر الأموي أن اسم هذا الشاعر بَشَامة بن الغَدِير النهشلي[٢٦]. وأول القصيدة:

نَأَتـك أُمامـةُ نأيًـا طـويلا وحمّلـك الحـب وِقـرًا ثقـيلا

وإنما الصواب: الآمدي. فهو إنما ينقل عن المؤتلف والمختلف (ص ٨٧)[٢٧]. وقوله: طعان الكماة[٢٨]... ليس في كلمة بشامة بن الغدير[٢٩]؛ وإنما هو لكثير بن الغَريزة[٣٠]. الدبل: الداهية. دعا عليه بالهوان والخزي.

(دلل) (ق ١٣/ ٢٦٣)... أن ابن الأعرابي أنشد لجهم بن شبل[٣١]... وإنما هو ابن سَبَل، بالسين المهملة[٣٢].

(رسل) (ق ١٣/ ٣٠٠)، وقول الأعشى:

---

(٢٥) ديوان الأعشى ٣٤٣. وجاء هذا البيت أيضًا في قطعة أخرى من الديوان (ص ٣٠٧) والرواية ثمة: سوق الجلاد ونغتلي.

(٢٦) في أساس البلاغة (عمل):بشامة بن الغرير. تحريف.

(٢٧) انظر في ذلك أيضًا اللسان (بيروت): فرطح، مزق، سوك، عصا، إلا (٢/ ٥٤٢، ١٠/ ٣٤٣، ٤٤٦، ١٥/ ٦٥، ٤٣٢)، والمؤتلف والمختلف ٤٤، ٢٨٤، ٢٢٩، ١٢٨، ١١٦.

(٢٨) ومثله أيضًا ما ورد في اللسان (ذبل) (ق ١٣/ ٢٧١) وفيه أيضًا: كثير بن الغَرِيرة، براءين. تصحيف. انظر مقال الصديق صلاح كزارة: «تصحيح تحريف في العقد الفريد وتحقيق في اسم الشاعر كثير بن الغريزة النهشلي». مجلة المجمع مج ٦٨ ج ٤ ص ٧٢٦-٧٣٥.

(٢٩) شرح اختيارات المفضل ١/ ٢٧٨-٣٠١، ومختارات شعراء العرب ١٦.

(٣٠) كتاب الجيم ١/ ٢٨٢، والألفاظ ٤٢٥ وفيهما: الحواصن بالحاء المهملة، وتهذيب الألفاظ ٥٧١.

(٣١) ومثله أيضًا ما وقع في اللسان (سبل) (ق ١٣/ ٣٤٤): ابن شِبل.

(٣٢) اللسان (عدد، كلل، ديم، قهم)، وتهذيب اللغة ١/ ٩١، والجيم ١/ ٢٩٨، ٢/ ١٨٠.

غُولَيْن فوق عوّج رِسال

والبيت مختلُّ الرواية، وهو بتمامه على الصحة:

أثّرتْ في جَناجنٍ كإرانِ الـ ميْتِ عُولينَ فوق عُوْجٍ رِسالِ

الجناجن: عظام الصدر. والإران: سرير الميت. وعُوْج: فيها عوَج. وعوج رسال: أي: قوائم طوال(٣٣).

(رعبل) (ق ١٣/ ٣٠٨)، قال آخر(٣٤):

طَها هُذْرُبانٌ قَلَّ تغميضُ عينه على دَبَّةٍ مثل الخَنيفِ المُرَعبَلِ

وإنما الصواب: هِذريان، بالكسر وبالياء المثناة التحتية، ودُبَّة: بالضم. طها: ذهب في الأرض. والهذريان: الرجل الغثُّ الكلام. والدُّبَّةُ: الطريق. والخنيف: أردأ الكتّان. والمرعبل: المقطّع(٣٥).

(رمل) (ق ١٣/ ٣١٤)، وأنشد أبو عبيد:

كأنَّ نَسج العنكبوتِ المُرمَلُ

صوابه: المرمَلِ، بالجر على الجوار. ويروى: المرمِلِ، على الوصفية. والعنكبوت: مؤنثة، وإنما ذكرها لأنه أراد النسج. وهو من أبيات مخفوضة الروي، وبعده ببيت:

سبوبُ كتّان بأيدي الغُزَّلِ

المرمل: الرقيق، وهو من قولهم: رَمَل النسج: إذا رقّقه. والسبوب: جمع سِبّ، وهو شقّة كتّان رقيقة. والبيت للعجاج(٣٦).

---

(٣٣) اللسان (أرن، جنن)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٢٢٨، والمخصص ٦/ ١٣١، وديوان الأعشى ٧.

(٣٤) في التاج ٢/ ٣٩٦: «... وروى هِذريان، وروى هُذرُبان وكلاهما يؤدي المعنى» اهـ. وقوله: «هُذربان»، ليس برواية أخرى، وإنما هو تصحيف لم يتنبه إليه محقق التاج.

(٣٥) اللسان (دبب، طها).

(٣٦) اللسان (عنكب، غزل)، وكتاب العين ٨/ ٢٦٦، وتهذيب اللغة ١٥/ ٢٠٦، والمحكم ٢/ ٢٩٩، والمخصص ١٧/ ١٧، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٩٥، وديوانه ١/ ٢٤٣.

(رمل) (ق ١٣/ ٣١٧)، قال:

في أرضِ سَوْءٍ جَذْبةٍ هَجاهِج

صوابه: جدبة، بالدال المهملة، أي: مجدبة. والهجهج: الأرض الجدبة التي لا نبات فيها، جمع على إرادة المواضِع. والبيت للجُلَاح بن قاسط العامري(٣٧).

(زجل) (ق ١٣/ ٣٢١)، قال الأعشى:

كما استعان بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلٌ

وإنما هي: زجلُ، وصدر البيت: تسمع للحَلْيِ وَسواسًا إذا انصرفت. الوسواس: أصوات الحلي. والعشرق: ضرب من الشجر. وزجل: صوتت فيه الريح(٣٨).

(زلل) (ق١٣/ ٣٢٧):

وإزلزل: كلمة تقال عند الزلزلة. قال ابن جني: ينبغي أن تكون من معناها وقريبًا من لفظها، فلا تكون من حروف الزلزلة، قال: وإنما حكمنا بذلك لأنها لو كانت منها لكانت... فهو [مع] أنه مثال فائت فيه بَلِيّة من جهة أخرى، وذلك أن بنات الأربعة لا تدركها الزيادة من أولها إلّا في الأسماء الجارية على أسمائها نحو مُدَحرج، وليس إزلزل من ذلك، فيجب أن يكون من لفظ الأزل ومعناه، ومثاله فِعلِعل.

وفي العبارة نقص في موضع النّقاط تتمته: إفِعْلِل. وقوله: على أسمائها، صوابه: على أفعالها(٣٩).

---

(٣٧) اللسان (هجج)، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٤٥، [ضبطت هُجاهج في البيت بالضم، بخلاف ما ورد في متن الكتاب]، والمحكم ٤/ ٦٣، والمخصص ١٠/ ١٦٢، والتكملة (رمل).

(٣٨) اللسان (وسس، عشرق)، وكتاب العين ٢/ ٢٨٧، ٧/ ٣٣٥، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٧، والبارع ٦٣٧، وديوان الأعشى ٥٥.

(٣٩) الخصائص ٣/ ٢١٢-٢١٣.

(سبل) (ق١٣/ ٣٤٢)، وقول محمد بن هلال البكري:

وخيلٍ كأسرابِ القطا قد وَزَعْتُها لها سَبَلٌ فيه المنية تلمعُ

وإنما هو مجمِّع بكسر الميم الثانية أو بفتحها، وهو شاعر جاهلي، بدليل قوله في تلك الكلمة:

تقولُ وقد أفردتها من حليلها تَعَستَ كما أتعستَني يا مجمِّعُ

وزعتها: فرقتها. والسَّبَل: المطر، وإنما عنى به الرمح. والحليل: الزوج[٤٠].

(سبحل) (ق ١٣/ ٣٤٤)، قول ذي الرمة[٤١]:

سِبَحْلًا أبا شَرْخين أحيا بناتِهِ مقالِيتُها وهي اللُّبابُ الحبائش

والبيت مختلّ الرواية في العجز، وإنما هو من كلمة سينية، وصوابه: الحبائس، وهي التي تُحبَسُ عندهم من كرمها. والسبحل: الضخم التامّ. وأبو شرخين: أي: نتاجين. والمقلات: التي لا يعيش لها ولد، أو التي تضع واحدًا ثم تُقلِتُ رَحِمُها فلا تحمِل. واللباب: الخالص[٤٢].

(سحبل) (ق١٣/ ٣٥٢)، قال جعفر بن عُلبة الحرثي...

وإنما هو: الحارثي[٤٣].

(سلل) (ق ١٣/ ٣٦٥)، قال[٤٤]:

---

(٤٠) اللسان (تعس، هيم)، والمحكم ١/ ٢٩٥، ومعجم الشعراء ٤٣٧، والمعمرون والوصايا ٤١، وشرح ديوان الحماسة (المرزوقي) ٢/ ٧١٣.

(٤١) ومثله أيضًا ما ورد في اللسان (شرخ) (ق ٣/ ٥٠٨).

(٤٢) اللسان (لبب، حبس)، وكتاب العين ٤/ ١٦٩، ٨/ ٣١٧، وتهذيب اللغة ٧/ ٨٢، ١٥/ ٣٣٧، والمحكم ٣/ ١٥٢، والمخصص ١٣/ ١٧٧، ١٧/ ٣٣، وكتاب الإبل ٩١، وديوان ذي الرمة ٢/ ١١٣٦ وفيه: فهي.

(٤٣) اللسان (غشا)، والمؤتلف والمختلف ١٩، وشرح ديوان الحماسة (المرزوقي) ١/ ٤٤، ٣٥٦، والبيت الشاهد في ص ٤٤ منه.

(٤٤) في التاج ٢٩/ ٢١٦: غديرهم. تصحيف.

كـأنّ عـذيرَهم بجنـوبِ سِـلَّى نَعـامٌ فـاق فـي بَلَـدٍ قِفـارِ

صوابه: قاق، أي: صَوَّتَ وصاح. وعذيرهم: حالهم. أراد كأن عذيرهم عذير نعام، فحذف المضاف. والمعنى: كأن حالهم في هربهم منا حال نعام يبادر في العدو، وهو فزع مذعور(٤٥). والبيت على الأرجح لشقيق بن جزء الباهلي(٤٦).

(سلل) (ق١٣/ ٣٦٥):

قال ابن بري: وسِلّى أيضًا من اسم الحرث بن رِفاعة بن عُذرة بن عديّ ابن عبد شمس، وقيل شميس بن طَرود بن قُدامة بن جَرم بن زَبان بن حُلوان ابن عمرو...

وإنما الصواب: ربّان بن حلوان بن عمران، بالراء وبالباء المشددة(٤٧).

(سهل) (ق ١٣/ ٣٧١)، وقول غَيلان الرَّبَعي يصف حلبة:

وأَسهلُوهنَّ دُقاقَ البَطحا

صوابه: البطحاءْ. والبيت من كلمة مهموزة مقيدة الروي. أراد: أسهلوا بهنّ في دقاق البطحاء، فحذف الحرف وأوصل(٤٨).

---

(٤٥) في شرح أبيات سيبويه: «وذكر عن بعض شيوخنا أنه قال: العذير في هذا البيت: الصوت، وقد رُدَّ عليه». وفي التنبيهات: «وزعم ابن الملتقط أن العذير الصوت، وهذا غلط في غلط». وفي تحقيقات وتنبيهات ٢٣٠ «والعذير: الصوت، كما في تفسير سيبويه للبيت، وكما عند الشنتمري. ولم أجد له سندًا إلّا نصّ الكتاب». قلت: قوله العذير: الصوت، جاء أيضًا في النوادر ١٠٧.

(٤٦) نسب هذا البيت أيضًا إلى النابغة الجعدي (ديوانه ٢٤٢)، وإلى النابغة الذبياني، وأعشى باهلة. مجلة المجمع م ٥٥ ج ٤ ص ٨٢٥. **وانظر**: اللسان (قوق)، والمحكم ٦/ ٢٨٦، والتنبيهات ٣٣٩، ومعجم البلدان (سلى) (٣/ ٢٣٢)، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٠٨، وفرحة الأديب ٧٨.

(٤٧) مختلف القبائل ومؤتلفها ٢٩٨، والإيناس في علم الأنساب ١٥٣، والاشتقاق ٥٣٦، وجمهرة أنساب العرب ٤٥٠.

(٤٨) المحكم ٤/ ١٥٦، والخصائص ٢/ ٢٥٢.

(سول) (ق ١٣/ ٣٧٣)، قال[٤٩]:

سَوْلاء مَسْكٍ فارِضٍ نهيٍّ

صوابه: نهيِّ، وبعده:

من الكباشِ زَمِرٍ خَصِيِّ

والبيتان من مشطور السّريع. السولاء: الضخمة. والمسك: الجلد. والفارض: المسن. والنَّهِيُّ: السمين من الذكور والإناث. والزمر: القليل الصوت. يصف دلوًا[٥٠].

(سيل) (ق ١٣/ ٣٧٤)، قال الأعشى:

باكَرَتْها الأَعراب في سِنَةِ النو م فتجري خِلالَ شَوْكِ السَّيالِ

وإنما الصواب: الأغراب، بالغين المعجمة، وهو حَدُّ الأسنان، وقبله:

وكأنّ الخمرَ العتيقَ من الإسْـ ـفِنطِ ممزوجةً بماءٍ زُلالِ

السيال: شجر له شوك أبيض شبَّهَ بياضَ الأسنان به. والإسفنط: ضرب من الأشربة. فارسي معرب. يقول: كأنها شربت خمرًا، فهي تجري بين أسنانها[٥١].

(صقل) (ق١٣/ ٤٠٥)، وهو مصقلة بن هبيرة من بني ثعلبة بن شيبان. وفي الحاشية: «قوله: شيبان، هكذا في الأصل وفي المحكم: سفيان» اهـ.

---

(٤٩) في اللسان (فرض) (ق ٩/ ٦٨)، والتاج ١٨/ ٤٨١: شولاء. تصحيف. وفي التاج ٢٩/ ٢٤١: «تقدم للمصنف في مادة (فرض) برواية شولاء» كذا. وهي ليست رواية أخرى، وإنما تصحيف لم يتنبه إليه محقق التاج. وكان الأستاذ فراج رحمه الله قد نبّه على الصواب في تلك الرواية في مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ج٢٠ ص٣٣ إلا أنه سها عنه في جُزأَينِ من أجزاء التاج التي تولّى مراجعتها.

(٥٠) اللسان (فرض، نهي)، والمحكم ٤/ ٢٧٨.

(٥١) اللسان (غرب)، وكتاب العين ٧/ ٣٠٠، وتهذيب اللغة ١٣/ ٧٢، والمخصص ٥/ ١٠٤، والألفاظ ٤٦٧، وتهذيب الألفاظ ٦٢٨، وديوان الأعشى ٥.

كذا، والذي في المحكم (٦/ ١٢٧) شيبان، وهو الصواب[٥٢].

(ضأبل) (ق ١٣/ ٤١٣)، قال زياد المِلقَطِي[٥٣]:

تَلمَّسُ أن تُهدي لجارك ضِئْبِلًا وتُلفى لئيمًا للوِعائين صامِلا

وإنما الرواية: للوعاءَيْنِ صامرًا، وهو من أبيات رائية، وقبله:

ركحتَ إليها بعدما كنتَ مجمِعًا على صَرمِها وانسبتَ بالليلِ قائرا

الصامر: البخيل المانع. والضئبل: الداهية. والوعاءان: وعاء الطعام ووعاء الشراب. والركوح: الإنابة والرجوع. والقائر: الذي يمشي على أطراف رجليه؛ لئلّا يُسمَعَ صوتُ مشيه[٥٤].

(ضلل) (ق١٣/ ٤١٦)، قال الشاعر:

أعددتُ للحِدثانِ كلَّ فقيدة أُنُفٍ كلائحةِ المُضلِّ جَرورِ

قوله: فقيدة، تحريف صوابه: نقيذة، وهي الدرع؛ لأن صاحبها إذا لبسها أنقذته من السيوف. وأنف: لم يلبسها غيره. ولائحة المضل: السراب. جعلها تبرق كالسراب لِجِدَّتِها. والبيت ليزيد بن الصَّعِق[٥٥].

(ضلل) (ق ١٣/ ٤١٨)، قال عمرو بن شأس الأسدي:

تذكّرت ليلى لاتَ حين ادّكارِها وقد حُنِي الأضلاعُ ضُلٌّ بتَضلال

قوله: بتضلال، لم يضبط في المطبوعتين، وهو بسكون اللام؛ لأن البيت من كلمة مقيدة الروي[٥٦].

---

(٥٢) انظر: ديوان الأخطل ١١٥ (دار الفكر)، ومعجم الشعراء ٤٣١.

(٥٣) ومثله أيضًا ما وقع في التاج ٢٩/ ٣٤١.

(٥٤) اللسان (قور)، والألفاظ ٤٩، ٣١٣، وتهذيب الألفاظ ٧٠، ٤٢٩.

(٥٥) اللسان والتكملة (نقذ)، وتهذيب اللغة ٩/ ٧٤.

(٥٦) النوادر ٤١، وشعره ص ٩٧: وفيه الأصلاب. وجاء البيت في التاج ٢٩/ ٣٥١ مضبوطًا خطأ بالكسر.

(ضلل) (ق ١٣/ ٤٢٠)، وأنشد الأصمعي لصخر الغيّ[٥٧]:

ألست أيّامَ حَضَرنا الأَعْزَلَهْ

وإنما البيت لصخير، أو صخر بن عمير في كلمة له يخاطب امرأته[٥٨].

اللسان (مغث، ثمل، فجل، قعل، نقثل)، والتكملة (مغث، ثمل، جعل، جعدل، فجل، قعل...)، والأصمعيات٢٣٥.

(طول) (ق ١٣/ ٤٣٩)، قال ذُهل بن قريع، ويقال قارب بن سالم المُرِّيّ...

وإنما هو دَهْلَبُ بنُ قُرَيعٍ، كما في أغلب المصادر[٥٩]، وفي الاشتقاق (٢٥٥)، والمؤتلف والمختلف (١٦٩): أبو دهلب، وهو راجز كان في زمن يزيد بن معاوية. وكنت جمعت ما تبقى من رجزه في أراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٩ ج ٤ ص ٧٩٠[٦٠].

(طول) (ق ١٣/ ٤٤٠)، وأنشد ثعلب في صفة ذئب[٦١]:

وإن أغارَ فلم يحللْ بطائلةٍ في ليلةٍ من جُميرٍ ساوَرَ الفُطُما

---

(٥٧) ومثله أيضًا ما ورد في التاج ٢٩/ ٣٥١. وفي الأصمعيات ٢٣٥: صحير، بالحاء المهملة.

(٥٨) اللسان (مغث، ثمل، فجل، قعل، نقثل)، والتكملة (مغث، ثمل، جعل، جعدل، فجل، قعل...)، والأصمعيات ٢٣٥. وكذا أوردها الأصمعي في الأصمعيات، وفي اللسان (دنا) (بيروت ١٤/ ٢٧٥، بولاق ١٨/ ٣٠١): «قال الأصمعي: هذا الرجز ليس بعتيق، كأنه من رجز خلف الأحمر أو غيره من المولّدين»، ونحوه أيضًا ما ورد في المخصص ١٧/ ١٣.

(٥٩) اللسان (وشح، وخش، قتل، خنن، قطن)، والتكملة (وخش)، والنوادر ١٦٧، وتهذيب إصلاح المنطق ٤١٥، وديوان العجاج ١/ ٢٨٤...

(٦٠) تجد أحيانًا في بعض الكتب المحققة تعليقات عجيبة، فمن ذلك مثلًا ما جاء في مقدمة ديوان أبي دهبل الجمحي (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن – النجف ١٩٧٢): «أبو دهبل القريعي: انفرد بالإشارة إليه الأستاذ عبد العزيز الميمني في هامش كتاب الوحشيات الذي حققه»!

(٦١) ومثله أيضًا ما ورد في التاج ٢٩/ ٣٩٦.

صوابه: فلم يحلى، أو فلم يحلو، وهي لغة لبعض العرب، يجعلون جزم المضارع الناقص بحذف الضمة المقدرة على الألف أو الواو[٦٢].

ونحوه قول الراجز[٦٣]:

متى أرى الصُّبحَ فإنّي أنتشرْ

ويروى: فلم يحلَ[٦٤]. يقال: ما حليت منه بشيء؛ أي: لم أصب منه شيئًا. والجُمير: الليل المظلم. وساور: واثب. والفطم: جمع فطيم، وهي ما قُطع عن الرضاعة من الماشية. والبيت لكعب بن زهير[٦٥].

(ظلل) (ق١٣/ ٤٤٤):

وقال أبو زيد: من بيوت الأعراب المَظَلّة، وهي أعظم ما يكون من بيوت الشعر، ثم الوَسوط نعت المظلة، ثم الخِباء، وهو أصغر بيوت الشعر.

صوابها: الوَسوط بعدَ المظلة[٦٦].

(عجل) (ق١٣/ ٤٥٥)، قال:

عليك سِرداحًا من السِّرداحِ

ذا عِجلةٍ وذا نَصِيٍّ ضاحي

قوله: (السرداح/ ضاحي) هو في الصحاح (عجل)، والمحكم ١/ ١٩٦، وديوان الأدب ١/ ٢٠٠؛ والبيت الثاني في تهذيب اللغة ١/ ٣٧١ وفيه: ضاحي. وفي اللسان (سردح)، والمخصص ١٠/ ١٢٥: السرادح/

(٦٢) اللسان (فطم) – وفيه: حمير، بالحاء المهملة، وهو تصحيف-، وجمهرة اللغة ٢/ ٨٥، والألفاظ ٣٠٤، وفيه: «قال أبو العباس: فلم يحلى، لم يحذف للجزم شيئًا...».

(٦٣) الألفاظ ٣١١، والنوادر ٢٤٩.

(٦٤) تهذيب اللغة ١١/ ٧٧.

(٦٥) ديوانه ٢٢٦ وفيه: ولم يحلَ/ في ظلمة ابن جَمير.

(٦٦) تهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٠.

واضح. السِّرداح: مكان لين ينبت النَّجمة والنَّصيَّ والعِجلة، وهي السَّرادح. والعجلة والنصيّ: ضربان من النبت.

(عدل) (ق ١٣/ ٤٦٣): وروى شمر عن أبي عدنان الكناني أنشده...

وإنما الصواب: عن أبي عدنان أنّ الكنانيّ... وأبو عدنان هو أبو عبد الرحمن عبد الأعلى، ويقال: ورد بن حكيم أحد فصحاء العرب المشهورين، بصري شاعر عالم، له كتاب القِسِيّ. كان من أصحاب الأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والفراء وأبي عمرو السائب. والكناني: لعله العَدَبَّسُ الكِنانيُّ[٦٧].

(عدمل) (ق ١٣/ ٤٦٤)، وأنشد ابن بري لجران العود على أنّ العُدمُول هو الضفدع[٦٨]:

ويا شحون قليلًا من مُسَوَّمةٍ من آجِنٍ رَكَضتْ فيه العَدامِيلُ

قوله: ويا شحون، تحريف صوابه: فناشحون. والنشح: الشرب القليل. وقوله: مسومة: تحريف أيضًا صوابه: مُسوَّفةٍ، وهو من قولهم: رَكِيّة مسوفة؛ أي: يقال: سوف يوجد فيها الماء، أو يساف ماؤها فيعاف. والآجن: الماء المتغير الطعم واللون. يصف إبلًا[٦٩].

(عذل) (ق ١٣/ ٤٦٤)، وأنشد الأصمعي:

لَوّامةٌ لامتْ بلَوْمٍ شِهَبِ

وإنما الرواية: شَهْبِ[٧٠]؛ أي: مثل الشهاب. أراد كأنّ لومها يحرقه.

---

(٦٧) اللسان (عندل)، (بيروت ١١/ ٤٧٩، بولاق ١٤/ ٥٠٧)، وتهذيب اللغة ١/ ٢٥، ٢/ ٢١٣، والفهرست ٦٧، والمزهر ٢/ ٤١١، والبارع ٣٢٨.

(٦٨) في تهذيب اللغة ٣/ ٣٥٢: فناشحوني. وفي ديوان جران العود، وحاشية تهذيب اللغة ٣/ ٣٥٢، وحاشية التاج ٢٩/ ٤٥٥: مسومة. تحريف.

(٦٩) أساس البلاغة (سوف)، وديوان جران العود ٦٠.

(٧٠) ومثله أيضًا ما وقع في تهذيب اللغة ٢/ ٣١٨.

والبيت لرؤبة، وهو من مشطور السريع، وقبله، وهو أول الأبيات:

أَتعتُبَنّي والهوى ذو عَتْبِ

ديوانه ١٥ وفيه: هاجت بلوم سَهب.

(عزل) (ق ١٣/ ٤٦٧)، وقول الأخوص:

يـا بيـتَ عاتِكـةَ الـذي أَتَعَـزَّلُ حَـذَرَ العِـدى وبـه الفـؤادُ مُوكَّـلُ

وإنما الصواب: الأحوص، بالحاء المهملة. أتعزل: أتنحى عنه(٧١).

(عيل) (ق ١٣/ ٥١٧)، وقال أحيحة:

فَهَـلْ مـن كـاهِنٍ أو ذي إلـهٍ إذا مـا كـان مـن ربـي قُفُـول

قوله (ربي) لم ينقط منه في المطبوعتين إلا الياء، وصوابه: ربي؛ بالباء الموحدة. ويروى: من ربٍّ أفول(٧٢).

(غزل) (ق ١٤/ ٤): واستعمل أبو النجم الغزل في الجبل فقال(٧٣):

يَنفِشُ منه الموت ما لا تَغزِلُه

وإنما الصواب: في الخيل. وقوله: (الموت)، كذا، وإنما الرواية: تنفش منه الخيل، وقبله:

ثارَ عَجاجٌ مُسبَطِرٌّ قَسْطَلُهْ

ينفش: يندف(٧٤).

(غزل) (ق١٤/ ٦)، قال سويد بن عمير الهذلي(٧٥):

---

(٧١) الصحاح (عزل)، والمحكم ١/ ٣٢٤، وأساس البلاغة (عزل)، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٧٧، وديوانه ١٦٦.

(٧٢) جمهرة أشعار العرب ٥١٧.

(٧٣) في المحكم ٥/ ٢٦٤: ينفس منه الموت. تصحيف. والبيت في أساس البلاغة (نفش) للعجاج - كذا - وإنما هو لأبي النجم.

(٧٤) اللسان (عدا)، والمحكم ٢/ ٢٢٨، ٥/ ٢٦٤، وأساس البلاغة (نفش)، وديوان أبي النجم ١٦٨.

أَقْـرَرْتَ لمّـا أن رأيـت عَـدِيّنا ونسـيتَ مـا قـدّمت يـومَ غَـزالِ

صوابه: أفَرَرْتَ. العديّ: جماعة القوم يغيرون لقتال ونحوه(٧٦).

(غفل) (ق١٤/ ١٠):

فابـك هـلًّا والليـالي بِغِـرّةٍ تـدورُ وفـي الأيـامِ عنـكَ غُفـولُ

والبيت مختلُّ الوزن وإنما الصواب: فآبكَ هلّا. أي: آبك ما تكره. والبيت لرجل من بني عقيل(٧٧).

(غفل) (ق ١٤/ ١١)، وفي الحديث: أن نَفاذة الأسلمي قال: يا رسول الله إنّي رجلٌ مُغفِلٌ فأين أسمُ إبلي؟

صوابه: نقادة(٧٨) الأسلمي(٧٩)، ويقال: الأسدي. وهو ابن عبيد الله، وقيل: ابن خلف، وقيل: ابن مسعر، وقيل: ابن مالك؛ وكنيته أبو نهية. وهو معدود في أهل الحجاز. سكن البادية، ثم نزل البصرة. وتتمة حديثه: قال: في موضع الجرير من السالفة. فقال: يا رسول الله، اطلب إليّ طَلِبةً، فإني أحب أن أُطلِبَكها،

(٧٥) ومثله أيضًا ما وقع في المحكم ٥/ ٢٦٥.

(٧٦) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٨١٢.

(٧٧) اللسان وأساس البلاغة (أوب)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٠٩، والنوادر ٢٢٠، وشرح ديوان الحماسة ٢/ ١٠٠٢.

(٧٨) في اللسان (وطب، وله)، والعباب (ضيط، علط، فرط، لقط، لغط)، والنهاية في غريب الحديث، والفائق، والاستيعاب، والطبقات: نُقادة، بالضم. وفي تهذيب إصلاح المنطق: نَقادة، بالفتح. وفي اللسان (شيط، ضيط، علط، فرط، لقط) وأراجيز المقلين: نِقادة، بالكسر، وهي: القطعة من الغنم.

(٧٩) في النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٧٥: الأسلمي، وفي الإصابة ٦/ ٢٥٣: الأسدي، ويقال: الأسلمي. وفي المصادر الأخرى: الأسدي. وهو الأرجح. بدليل ما جاء في التاج (ضيط) من أنه ابن عم أبي محمد الفقعسي؛ أو أنه أراد بقوله: الأسلمي: أنه من الذين نزلت فيهم الآية: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧]. وقد وقع مثل هذا الاضطراب (الأسدي والأسلمي) في موضع آخر من الإصابة. انظر: مقدمة ديوان عمرو بن شأس ص١٠.

قال: ابغني ناقة حَلْبانةً رَكْبانةً غير أن لا تُولَّه ذاتُ[٨٠] ولد عن ولدها.

مُغْفِل: صاحب إبل أغفال لا سماتَ عليها. والجرير: حبل مفتول من أدم يكون في أعناق الإبل. وقوله: في موضع الجرير من السالفة؛ أي: في مُقدَّم صفحة العنق. والطلبة: الحاجة. وحلبانة ركبانة: أي: غزيرةً تُحلب، وذلولًا تُركب. زيدت الألف والنون في بنائهما للمبالغة. والتوليه: أن يُفرَّق بين الناقة وولدها[٨١].

(غمل) (ق ١٤/ ٢٠)، قال:

كأنه بالوَهد ذي الهُجُول
والمتنِ والغائطِ والغُمْلول
فَذّ أديم الغَرف بالإزمِيل

وإنما الصواب في البيت الأخير: قدّ، بالقاف، وهو قطع الجلد. الوهد: المطمئن من الأرض والمكان المنخفض كأنه حفرة. والهجل: المطمئن من الأرض نحو الغائط. والغملول: الرابية. والغرف: ضُرُوبٌ تُجمَعُ فإذا دبغ بها الجلد سُمّيَ غرفًا. والإزميل: شَفرة الحذّاء. والأبيات لدكين يصف فرسًا[٨٢].

(غمل) (ق ١٤/ ٢٠)، قال:

كيفَ تراها والحُداة تَقْبِضُ
بالغَمْلِ ليلًا والرِّجال تُنغِضُ

(٨٠) في اللسان (وله): لا تُولِّه ذاتَ.

(٨١) اللسان (حلب، طلب، جرر، وله)، وتهذيب إصلاح المنطق ١٨٣، والنهاية في غريب الحديث ١/ ٢٥٩، ٤٢٢، ٣/ ١٣١، ٣٧٥، ٥/ ٢٢٧، والفائق ٣/ ٦٩، وأراجيز المقلين (مجلة المجمع) م ٥٧ ج ١، ٢ ص١٥٤.

(٨٢) الجيم ٣/ ١٦، والنبات (بيروت) ١٢٠.

وإنما الصواب في البيت الثاني: والرحال تَنغِض[٨٣]، بالحاء المهملة. أي: تتحرك وتضطرب لشدة السير. والقبض: السير السريع. يصف إبلًا تسير سيرًا سريعًا. والغمل: اسم موضع. والرجز لرجل يقال له: ضبٌّ[٨٤].

(غيل) (ق١٤/ ٢٥)، قال المتنخل الهذلي:

كوشمِ المعصمِ المُغتالِ غُلّت نواشِزُه بوسمٍ مُستشاطِ

وإنما الصواب: عُلَّت نواشره. النواشر: العصب. وعلت: وشمت مرة بعد مرّة أخرى. والمغتال: الساعد الريان الممتلئ. والمستشاط: الذي استشيط، أي: غضب وحَمِي[٨٥].

(غيل) (ق ١٤/ ٢٥)، قال آخر:

يتبعنَ هَيْقًا جافِلًا مُضَلّلا
قعُود حنٍّ مستقرًّا أغيَلا

وإنما الصواب في البيت الثاني: مستفزًّا، بالفاء والزّاي. وهو الذي استخفَّه الخوف وطير فؤاده. والجافل: النفور يهرب من كل شيء. والمضلل: الضال. أي: إنه أبعدَ في طلب المرعى والماء. والقَعُود: ما أَمكن أن يُركب. والحنّ: ضرب من الجنّ[٨٦]. والأغيل: الممتلئ العظيم.

---

(٨٣) ومثله أيضًا ما وقع في الصحاح (غمل).

(٨٤) اللسان (قبض)، والتكملة (غمل)، وتهذيب إصلاح المنطق ١٩٣، ومعجم البلدان (الغمل) (٤/ ٢١٣). وضبٌّ: هو ضبّ العدوي على الأرجح. له بيتان آخران على هذا الرويِّ في العباب والتاج (فرض). وكنت رأيت في اللسان (نتن): ضبّ بن نُعْرة، وله بيتان من الرجز على قافية النون.

(٨٥) خلق الإنسان (الأصمعي) ٢٠٧، وخلق الإنسان (ابن أبي ثابت) ٢٢٤، وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٦٦، وفيه: بوشم.

(٨٦) ومثله أيضًا ما ورد في التاج ٣٠/ ١٤٠، وفي الحاشية: «في مطبوع التاج (حن) بالحاء المهملة... وجعلته بالجيم، لأن الجن من النبات زهره ونوره، فالراجز يصف ظليمًا قد عاش في جنة أزهر نبتها وعظم».

والظليم: من مراكب الجن فيما يزعمون[٨٧]. والبيتان لأبي النجم[٨٨].

(غيل) (ق١٤/ ٢٧)[٨٩]:

بغِيلةٍ تنسلُّ نحو الأنيبِ

وإنما الصواب: الأَنبب، بالفتح أو الضم. الأَنبب: أنابيب الرئة، وهي مخارج النّفَس منها. كأنه حذف زوائد أنبوب. والأُنبب: أراد الأنبوب فحذف. أراد الجنس، فكأنه قال: نحو الأنابيب. والغيلة: الشقشقة. اللسان (نبب).

(فيل) (ق ١٤/ ٥٠)، وأنشد لأبي النجم:

يريد عيْنيْ مُصْعَب مُستَفْيِلِ

صوابه: يدير. ومصعب: فحل لم يُذَلّل. ومستفيل؛ أي: قد أشبه الفيل في عظمه. يصف فحل إبل[٩٠].

(فيل) (ق١٤/ ٥١)، قال أُفنون التغلبي:

فالوا عليّ ولم أملك فيالَتهم حتّى انتحيت على الأرساغِ والقُننِ

وإنما الصواب: والثُّنَنِ. الثنة: أعلى الرسغ من باطنه. وفالوا: أخطؤوا في رأيهم[٩١].

(قبل) (ق ١٤/ ٥٦)، قول الأعشى:

أخو الحرب لا ضَرَعٌ واهِن ولم ينتعل بقِبالٍ خَدِمْ

صوابه: خذم، بالذال المعجمة؛ أي: منقطع. والقبال: الزمام. والضرع: الجبان[٩٢].

---

(٨٧) اللسان (غزا) (١٥/ ٥٤ بيروت)، والحيوان ١/ ٣٠٩، ٦/ ٤٦.

(٨٨) المعاني الكبير ١/ ٣٤٤ ومجلة المجمع الأردني ع ٥٢ ص ٢٣٩.

(٨٩) ومثله أيضًا ما وقع في المحكم ٦/ ١٣.

(٩٠) أساس البلاغة (فيل)، والطرائف الأدبية ٦١، وديوان أبي النجم ١٨٥.

(٩١) شرح اختيارات المفضل ٣/ ١١٦١، وكتاب الاختيارين ٢٠٣.

(٩٢) تهذيب اللغة ٩/ ١٦٧، وديوانه ٣٩.

(قبل) (ق١٤/ ٥٨)، قال مرداس بن حصن جاهلي...

وإنما الصواب: حُصَينٍ، بالياء. وهو شاعر من بني عبد الله بن كلاب[٩٣].

(قبل) (ق ١٤/ ٦١)، قول الراجز[٩٤]:

بالرَّيْثِ ما أرويتُها لا بالعَجَلْ

وبالحَيا أرويتُها لا بالقَبَلْ

وإنما الصواب في البيت الثاني: وبالجبا، وهو أن يتقدم الساقي للإبل قبل ورودها بيوم، فيجبي لها الماء في الحوض، ثم يوردها من الغد. وما: زائدة. والقبل: أن تشرب الإبل الماء، وهو يصب على رؤوسها، ولم يكن لها قبل ذلك شيء[٩٥].

(قرمل) (ق١٤/ ٧٣)، قال جرير[٩٦]:

كأنِ الفرزدقَ إذ يعوذ بخالهِ مثلُ الذليل يَعوذُ تحت القرملِ

صوابه: كانَ الفرزدقُ/ مثلَ. القرملة: شجرة على ساق لا تُكنُّ ولا تُظلّ. يُضرَبُ مثلًا لمنِ استعانَ بضعيف لا نصرة له[٩٧].

(قرمل) (ق١٤/ ٧٤)، القرامل ما تشده المرأة في شعرها. قال الراجز:

تخالُ فيهِ القُنَّة القنُونا

أو قَرمليًّا مانعًا دَفونا

وليس هذا موضع الشاهد، فهو يصف السراب في هذين البيتين. وقوله:

---

(٩٣) اللسان (ذرع، لوع، وجه)، والنوادر ٥، والوحشيات ١٢٥.

(٩٤) ومثله أيضًا ما وقع في التاج ٣٠/ ٢١٢.

(٩٥) اللسان (جبا).

(٩٦) ونحوه أيضًا ما ورد في الشعر والشعراء ١/ ٤٧٨.

(٩٧) الصحاح (قرمل)، والنقائض ١/ ٢٢٥، وديوانه ٢/ ٩٤٢.

قَرمليًّا مانعًا[٩٨]: صوابه: قِرمليًّا هابعًا، بالكسر. القرمليّ: فحل ذو سنامين. والهابع: الفحل الذي يستعين بعنقه إذا مشى. والدفون من الإبل: الذاهب على وجهه[٩٩]. والقنة: الجبل الصغير، والجمع: قُنون. وبين البيتين بيت آخر هو:

إذا جرى نُوبِيّةً زَفونا

وقبلهما:

وهَمَّ رَعْنُ الآلِ أن يكونا
بحرًا يَكُبُّ الحوتَ والسّفِينا

النوبية: السوداء[١٠٠]. والزفون: الناقة التي إذا دنا منها حالبها دفعته برجلها. والرعن: أنف يتقدم الجبل كالرعل. ويكبّ: يقلب. شبّهَ الرعنَ إذا قمص في الآل ببعير يمشي[١٠١].

(قسمل) (ق١٤/ ٧٥)[١٠٢]:

وقَسمَلة الأزدي: اسمه معاوية بن عمرو بن مالك أخي هُناءة ونِواء وفَراهيم وجَذيمة الأبرش، والله أعلم.

صوابها: فراهيد[١٠٣].

(قفل) (ق ١٤/ ٨٠)، وأنشدت أم القرمد...[١٠٤]

---

(٩٨) المانع: الناقة التي تمنع لبنها. ولا موضع لها في هذا البيت.

(٩٩) في اللسان (قنن) والقلب والإبدال: ذقونًا. والذقون: الناقة التي تضرب بذقنها، أو التي تهز رأسها في السير.

(١٠٠) في اللسان (سفن): رعل، والرعل كالرعن؛ وفي (قنن): نوتية، بالتاء، تصحيف.

(١٠١) اللسان (سفن، قنن)، والأبيات الخمسة في اللسان (سفن)، والقلب والإبدال ٢١؛ وهي للعجاج، ولم يرد منها في ملحقات ديوانه ٢/ ٣٣٧ إلا قوله: وهم/ بحرا.

(١٠٢) في اللسان (نوي) (ق٢٠/ ٢٢٥): هناة وقراهيد. تحريف.

(١٠٣) اللسان (هنأ)، والاشتقاق ٤٩٩ وفيه: نوى.

(١٠٤) ومثله أيضًا ما ورد في المحكم ٦/ ٢٥٦، والتاج ٣٠/ ٢٦٧.

كذا، وفي التعليقات والنوادر ٧٨٨: أم القريد الزهيرية، من أكثر من روى عنها الهجري في كتابه.

(قهل) (ق١٤/ ٨٩)، ... وقال البيت لرَيسان بن عنترة[١٠٥] المغني.

وإنما هو المَعْنيّ[١٠٦].

(قيل) (ق١٤/ ٩٧)، فأما قول العجاج:

إذا بدا دُهانجٌ ذو أَعدالْ

فقد يكون على الفعل الذي هو قال، كضرّاب وشتّام، وقد يكون على النسب كما قالوا: نَبّال لصاحب النبل.

وليس في البيت أيُّ شاهد، وإنما الشاهد في بيت قبل هذا البيت، وهو قوله:

كأنّ رعنَ الآلِ منه في الآلْ

بين الضُّحى وبين قَيْلِ القَيّالْ

الدهانج: البعير إذا قارب الخطو. والرعن: أنف يتقدم الجبل. والآل: السراب. وقوله: (بين الضحى...) يريد الوقت الذي يشتد فيه توهج الشمس والسراب. شبَّهَ الرعنَ إذا قَمَص في الآل ببعير عليه أعدال يمشي بها[١٠٧].

(قيل) (ق ١٤/ ٩٨)، وأنشد:

يُسقينَ رَفهًا بالنهارِ والليلْ

وفي تحقيقات وتنبيهات ص ٢٦٤: «والرِّفه في ورد الإبل إنما هو بكسر الراء...» اهـ.

---

(١٠٥)في الألفاظ ٢٠٦: ابن عنتر. وفي تهذيب الألفاظ ٣١٣: ابن عنترة. وفي حاشية – التاج ٣٠/ ٣٠٣: «وأما عنترة فلعله محرف عن عَنَزة...».

(١٠٦)الألفاظ ٢٠٩، وتهذيب الألفاظ ٣١٣.

(١٠٧)القلب والإبدال ٢٠، والخصائص ٢/ ٨٣، والأمالي ٢/ ٩١، وسمط اللآلي ٢/ ٧٢٨، وديوان العجاج (الملحقات) ٢/ ٣٢٠، وفي المصدرين الأخيرين: القُيّال.

وما ذهب إليه الأستاذ هارون ليس بصواب، وإنما اقتصر اللسان على الكسر. يقال: رَفه ورِفه، بالفتح والكسر[١٠٨].

(كتل) (ق١٤/ ١٠١)، قال الشاعر:

ولست براحلٍ أبدًا إليهم ولو عالجت من وَتِدٍ كَتالا

صوابه: وبد، وهي شدة العيش. والكتال: المؤونة والثقل[١٠٩].

(كتل) (ق ١٤/ ١٠١)، قال الراجز:

يشرَبُ منها نَهَلاتٌ وثعلْ

وفي مراغٍ جلدُها منه كَتِلْ

وإنما الصواب في البيت الأول: تشربُ منه نهلاتٍ وتَعل. تعِل وتعُل: تشرب الشَّربة الثانية. وكتل: قد تلزق وتلزج. ويروى: وفي مراغِ جلدِها، على الإضافة. وهما من كلمة تروى لابن ميادة ولأبي محمد الفقعسيّ[١١٠].

(كحل) (ق ١٤/ ١٠٥)، قول القُلّاخ المنقري:

إني أنا القَطِران[١١١] أشفي ذا الجَرَبْ

قوله: القلّاخ: صوابه: القُلاخ، بضم القاف وفتح اللام. وقوله: القَطِران، صوابه: القَطْران، بتسكين الطاء. والبيت من مشطور الرجز[١١٢].

---

(١٠٨)انظر أساس البلاغة (رفه)، والمخصص ٧/ ٩٥.

(١٠٩)اللسان (وبد)، وكتاب العين ٥/ ٣٣٨، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٣٦.

(١١٠)تهذيب اللغة ١٠/ ١٣٧، والمحكم ٤/ ٢٧٨، والتكملة (كتل)، والمخصص ١٣/ ٢٨١، والقلب والإبدال ٤، والأمالي ٢/ ٤٢، وسمط اللآلي ٢/ ٦٨٠، وديوان ابن ميادة ٢١٩ ولم يرد فيه البيت الثاني.

(١١١)ومثله أيضًا ما ورد في التاج ٣٠/ ٣٢١، ولم تضبط الطاء في مطبوعة بولاق. وفي التنبيهات ٢٧٠: أشفي الجرب. غلط.

(١١٢)أساس البلاغة (قشش)، وأراجيز المقلين (مجلة المجمع) م٥٩ ج٢ ص٣٩٠ وفيه مصادر البيت.

(كدل) (ق ١٤/ ١٠٥)، قال الأزهري: أهمله الليث، قال ووجدت أنا فيه بيتًا لتأبط شرًّا[١١٣]:

ألا أبلغا سعدَ بن ليثٍ وجُنْدُعًا وكلبًا أنيبوا المَنَّ غير المُكَدَّلِ

كذا أورده الأزهري باللام[١١٤]. وفي التكملة (كدل): «المكدل: المكدر، وأنشد (أي: الأزهري) لتأبط شرًّا، ولم أجده في شعره: ألا أبلغا...» اهـ.

قوله: المكدل، تحريف لم يتنبه إليه الأزهري أو الصغاني، وإنما الرواية: المكدر. وهو من أبيات رائية لأبي جندب الهذلي، وبعد البيت:

وكنتُ إذا جارٌ دعا لِمَضُوفةٍ أُشَمِّرُ حتى يَنصُفَ الساقَ مئزري

المضوفة: الأمر الشديد[١١٥].

(كمل) (ق ١٤/ ١١٩)، وقول حميد[١١٦]:

حتى إذا ما حاجِبُ الشّمس دَمَجْ
تذكَّرَ البِيضَ بكُمْلول فَلَجْ

وإنما الصواب في البيت الثاني: البَيض[١١٧]، بفتح الباء. وكملول: اسم موضع. ولجّ: أسرع في سيره، وإنما ترك التشديد للقافية. يصف ظليمًا أسرع إلى بيضه عند غروب الشمس[١١٨]. قال الصغاني في التكملة (كمل) بعد أن أورد البيتين السابقين: «وليس لحميد الأرقط ولا لحميد بن ثور على

(١١٣)ومثله أيضًا ما ورد في التاج ٣٠/ ٣٢٥، وفي ديوان تأبط شرًّا ص ١٨٠.
(١١٤)تهذيب اللغة ١٠/ ١١٦.
(١١٥)شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٥٧.
(١١٦)لم تضبط البيض في الصحاح (كمل).
(١١٧)ومثله أيضًا ما ورد في التاج ٣٠/ ٣٥٦.
(١١٨)التكملة (كمل)، ومعجم ما استعجم ٤/ ١١٣٥.

هذا الرَّويِّ شيء».

وقول الصغاني: على هذا الروي، أي: الرجز المشطور[١١٩]؛ لأنه أورد في موضعين آخرين من التكملة (سبج، وحج) ثلاثة أبيات من القصيدة الجيمية[١٢٠].

(ليل) (ق ١٤/ ١٣٠)، قال عمرو بن شأس[١٢١]:

وكان مجُودٌ كالجَلاميدِ بعدَما مضى نصفُ ليلٍ بعد ليلٍ مُلَيَّلِ

والصواب: وهن هجود. يصف قطا، وقبله:

بناجيةٍ وجناءَ تستلبُ القطا أفاحيصهُ زجري إذا التففت حَلي

المليّل: الطويل الشديد الظلمة. والوجناء: التامة الخَلْق الشديدة. وأفاحيصه: واحدها أفحوص، وهو الموضع الذي تبيض فيه[١٢٢].

(محل) (ق ١٤/ ١٤٢)، قول جندل الطهوي:

عُوجٌ تَسانَدنَ إلى مُمْحَلِ

وإنما الصواب: مُمَحّلِ، والبيت من مشطور الرَّجَز. المحال: الفَقار. أراد إلى موضع محال الظهر، وهو وسطه[١٢٣].

(محل) (ق ١٤/ ١٤٢)، قال العجاج:

نَمشي كمشي المحِلِ المَبهُورِ

---

(١١٩)ومثله أيضًا ما وقع في ديوان حميد بن ثور ص ٦٤. والبيتان من مشطور الرجز، وليس من الرجز المسدس كباقي الأبيات التي جاءت في ديوان حميد، وهما فيما أرجح من كلمة أخرى، وانظر أيضًا زيادات أخرى في شعر حميد بن ثور. مجلة معهد المخطوطات العربية: المجلد ٤٣ - الجزء الثاني ص ٢١٠-٢١١ لكاتبه.

(١٢٠)لم يحسن محقق التكملة (الأبياري) فهم ما أراد الصغاني، فأورد في الهامش ما نصه: «لحميد بن ثور أرجوزة على هذا الروي هي في ديوانه، ومنها هذا البيت: حتى إذا...».

(١٢١)ومثله أيضًا ما ورد في التاج ٣٠/ ٣٧٦.

(١٢٢)المحكم ١٢/ ٦٠، وشعره ٥٢ وفيه: ونحن قعود في الجلاميد بعدما. لا معنى له.

(١٢٣)التكملة وأساس البلاغة (محل).

صوابه: تمشي، بإسناد الفعل إلى ضمير المؤنث؛ لأنه يصف امرأة. وقبله ببيتين:

فقد سَبَتْني غير ما تَعذيرِ

المحل: الذي قد طُرد حتى أعيا. والمبهور: الذي علاه بُهْر[١٢٤].

(مذل) (ق١٤/ ١٤٤)، وحكى ابن بري عن سيبويه: رجل مَذِلٌ ومَذيل وفَرج وفَرِيج وطَبٌّ وطبيب.

وإنما الصواب: وقَرِح وقَريح. القَرْح: الجرح. والمَذِل: الصغير الجثة[١٢٥].

(مرطل) (ق ١٤/ ١٤٥)، قال صخر بن عميرة...

وإنما هو: صخر بن عمير أو صخير[١٢٦].

(مهل) (ق ١٤/ ١٥٧)، وقال حبيب بن المر قال العبدي...

وإنما هو حبيب بن المرقال العنبري[١٢٧].

(ميل) (ق ١٤/ ١٦١)، قال الأعشى[١٢٨]:

لا مِيل ولا عُزُلُ

---

(١٢٤)اللسان (خبند)، وتهذيب اللغة ٥/ ٩٧، ٧/ ٦٨٤، والتكملة (محل)، وكتاب الجيم ٣/ ٢٤٩، وجمهرة اللغة ٣/ ٣٩٧، وتهذيب الألفاظ ٣١٥، وخلق الإنسان (الأصمعي) ٢١٥، وديوانه ١/ ٣٣٧ وفيه الوحل. وهو الذي يمشي في الطين.

(١٢٥)كتاب سيبويه ٤/ ٤٢٠.

(١٢٦)اللسان (مغث، ثمل، فجل، قعل، نقثل)، والتكملة (مغث، ثمل، جعل، جعدل، فجل، قعل...). وفي الأصمعيات ٢٣٥: صحير. بالحاء المهملة، والظّاهر أنّه تصحيف.

(١٢٧)اللسان (ذأي)، والمؤتلف والمختلف ١٣٦، وأسماء خيل العرب ٩٩.

(١٢٨)قوله: لاميلٌ ولا عزل، جاء أيضًا في شعر عمرو بن شأس (ص ٤١):

ولنا فوارسُ يركبون لنا في الرَّوعِ لا ميلٌ ولا عُزْلُ

وفي الحاشية: «... عبارته في مادة عور، قال الأعشى:

غيرُ ميلٍ ولا عواويرَ في الهيـ ـجا ولا عُزَّلٍ ولا أكفالِ

وليس الصواب ما جاء في الحاشية، وإنما تمام البيت:

نحنُ الفوارسُ يومَ العَينِ ضاحيةً جنبَيْ فُطيمةَ لا مِيْلٌ ولا عُزُلُ

والبيتان من كلمتين مختلفتين. الميل: واحدها أميل، وهو الذي يميل على السرج في جانب ولا يستوي عليه. والعواوير: جمع عُوّار، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار. والأعزل: الذي لا رمح معه. والأكفال: واحدها كِفل، وهو الذي لا يثبت على ظهور الخيل. وضاحية: علانية. وفطيمة: هي فاطمة بنت حبيب بن ثعلبة[١٢٩].

(نبل) (ق ١٤/ ١٦٥)، وأنشد[١٣٠]:

لا تَجْفواني وانبُلاني بكسره

وفي الحاشية: «لا تجفواني هكذا في الأصل وانظر الشاهد فيه».

وإنما الصواب: بكسوة. قال الأزهري: ونبلت فلانًا بكسوة أو طعام أنبله نَبْلًا: إذا ناولته شيئًا بعد شيء[١٣١]. ولعل ابن منظور سها عن نقل هذه العبارة.

(نبل) (ق ١٤/ ١٦٥)، قول أبي النجم[١٣٢]:

واحبِسنَ في الجَعبةِ من نبِالها

وإنما الصواب: واجتسّ، أي: لمس. يصف صائدًا[١٣٣].

---

(١٢٩)اللسان (عزل)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٩٦، وجمهرة اللغة ٣/ ١١٠، ومعجم البلدان (فطيمة) ٤/ ٢٦٨، وديوان الأعشى ١١، ٦٣.

(١٣٠)في كتاب العين ٨/ ٣٢٩: كسرة، بالراء.

(١٣١)تهذيب اللغة ١٥/ ٣٥٨.

(١٣٢)ومثله أيضًا ما وقع في التاج ٣٠/ ٤٤٣.

(١٣٣)النبات (بيروت) ٣٤١، وحول ديوان أبي النجم (مجلة المجمع الأردني العدد ٥٢ ص ٢٢٦).

(نبل) (ق ١٤/ ١٦٥)، وقول اللَّعين[١٣٤]:

ولكنْ حقّها هُرْدَ النِّبال

وإنما الصواب: ولكن خِفتُما صَرَد النبال. وصدره: فما بُقْيا عليَّ تركتُماني. الصرد: النفاذ من الرَّميَّة. أي: خفتما أن تُصيب نبالي. يخاطب جريرًا والفرزدق[١٣٥].

(نبل) (ق١٤/ ١٦٧)، وأنشد ابن بري قول الشاعر:

فقلت له يا با جُعادةَ إنْ تمتْ أدعْك ولا أدفنكَ حتى تنبَّل

وإنما الصواب: حين تنبّل. والرواية:

فقلت له: يا با جُعادةَ إنْ تمتْ تمت سيّئَ الأعمالِ لا تُتَقبّلُ

وقلتُ لهُ: إن تلفظ النفس كارهًا أدعْك ولا أدفنكَ حين تنبَّل

قوله: يا با جعادة: الأصل (يا أبا جعادة)، فحذف الهمزة اضطرارًا. لا تتقبل: أي: لا يُتقبل عملك. تنبَّل: مات. أي: أتركك ميتًا غير مدفون كما تُتْرَك البهائم[١٣٦].

(نتل) (ق ١٤/ ١٦٨)، قال عديّ بن الرِّقاع:

والأصلُ ينبُت فرعُه مُتناتِلًا والكفُّ ليس نباتُها بسواء

صوابه: بنانها. ومتناتلًا: بعضه أطول من بعض[١٣٧].

(ندل) (ق ١٤/ ١٧٧)، وأنشد الفراء للعُجير السلولي:

---

(١٣٤)جاء البيت في أساس البلاغة (بقي) منسوبًا إلى لبيد – كذا –، وإنما هو لِلَّعين المِنقريّ.

(١٣٥)اللسان وأساس البلاغة (صرد، بقي)، وكتاب العين ٧/ ٩٨، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٣٩، والتكملة (صرد)، والمخصص ١٤/ ١٥٤، ومجالس ثعلب ٢/ ٦٥٥، والشعر والشعراء ١/ ٤٩٩، والوحشيات ٦٣.

(١٣٦)الألفاظ ٣٣١، وتهذيب الألفاظ ٤٥٦.

(١٣٧)الشعر والشعراء ٢/ ٦٢٠ وفيه: متأثلًا، وديوان عدي بن الرقاع ١٦٣ وفيه: متناثلًا، تصحيف.

إذا ما مَشَتْ نادى بما في ثيابها ذَكِيُّ الشَّذا والمَنْدَلِيُّ المُطَيَّرُ

وفي الحاشية: «قوله المطير كذا في الأصل والجوهري والأزهري، والذي في المحكم: المطيب».

قوله: المطير، بالراء هو الصواب، اللسان (طير، شذا، ندي)، أمّا ما ورد في المحكم فهو من تحريف النساخ؛ لأنّ ابن سيده قد أورد هذا البيت في ثلاثة أماكن من المخصص بالراء. الشذا: شدة ذكاء الريح الطيبة[١٣٨].

وفي التكملة «وليس البيت لابن الإطنابة، وأنشده ثعلب في أماليه للعجير السلولي، أو للعديل بن الفرخ، وليس للعجير»[١٣٩].

(نذل) (ق ١٤/ ١٧٩)، قول الشاعر:

ويُعرف في جُودِ امرئٍ جُودُ خاله ويَنذُل إن تلقى أخا أمّه نَذْلا

وفي مطبوعة بيروت: «... هكذا في الأصل، والوجه إن تلق، بالجزم، ولعله أشبع الفتحة فتولّدت من ذلك الألف»[١٤٠].

قوله: إن تلقى، صواب محض، وله نظائر كثيرة مثل قول كعب بن زهير[١٤١]:

وإن أغارَ فلم يحلى بطائلةٍ في ظُلمة ابن جُميرٍ ساورَ الفُطُما

وقول قيس بن زهير[١٤٢]:

ألم يأتيكَ والأنباءُ تَنمي بما لاقت لبونُ بني زيادِ

(١٣٨)الصحاح (ندل)، والمحكم ١٠/ ٥٢، ١٠٩، والمخصص ١١/ ١٩٩، ٢٠٤، ١٥/ ١٦٥، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٢٥، والتكملة (شذا)، والتنبيهات ١٥٩، ومعجم البلدان (مندل) ٥/ ٢٠٩، وشعر العجير (مجلة المورد ١٩٧٩) ص٢٢٢.

(١٣٩)لم يرد البيت في مجالس ثعلب أو في شعر العديل (شعراء أمويون).

(١٤٠)لم يعلق محقق التاج (٣٠/ ٤٧٧) على تلك الرواية بشيء.

(١٤١)الألفاظ ٣٠٤، وفي ديوان كعب ٢٢٦ (دار الكتب): ولم يحلَ، فلا شاهد فيه. وفي تهذيب الألفاظ ٤١٩: أغارا ولم يحلا. تحريف.

(١٤٢)الألفاظ ٣٠٤، والنوادر ٢٠٣.

وهي لغة لبعض العرب، يجعلون جزم المضارع الناقص بحذف الضمة المقدرة على الألف أو الواو أو الياء. ظلمة ابن جمير: الليلة التي لا يطلع فيها القمر. وساور: واثب. والفطم: جمع فطيم، وهي ما قطع عن الرضاعة من الماشية. واللبون: ما كان فيها لبن من الشاء والإبل.

(نسل) (ق ١٤/ ١٨٤)، وأنشد ابن بري لعدي بن زيد:

أنسَلَ الدرعانَ غَرْبٌ خَذِمٌ وعَلا الرَّبرَبَ أَزْمٌ لم يُدَنْ

صوابه: الذِّرْعانَ، بالذال المعجمة، واحدها ذَرَع، وهو ولد البقرة الوحشية. والغرب: أول جري الفرس. وخذم: سريع. والأزم: القبض على فأس اللجام. ولم يدن: لم يقصر. يقول: جَرْيُ هذا الفرس وحِدَّتُهُ خلف أولاد البقرة خلفه وقد علا الربرب شدٌّ ليس فيه تقصير[١٤٣].

(نسل) (ق ١٤/ ١٨٤):

ويقال لِلَّبن الذي يسيل من أخضر التّين: النَّسَل، بالنون، ذكره أبو منصور في أثناء كلامه على (بلس) واعتذر عنه أنه أغفله في بابه...

قوله: بلس، لم ينقط في المطبوعتين، وصوابه: بلس، بالباء. على أنني رأيت تلك العبارة في موضعها من مطبوعة تهذيب اللغة (مادة نسل): «النسل: اللبن الذي يخرج من التين الأخضر»[١٤٤].

(نشل) (ق ١٤/ ١٨٥)، والمِنشل والمِنشال: حديدة في رأسها عُقّافة يُنشل بها اللحم من القِدر وربما... مِنشال من المناشِل...

وفي قوله بعد «وربما» بياض، وإنما الصواب: من القدر ويقال: منشال

(١٤٣) اللسان (دون) [وفيه: «جذم»، وهي بمعنى خدم]، وديوانه ١٧٤.

(١٤٤) تهذيب اللغة (نسل) ١٢/ ٤٢٨، وفي مادة (بلس) ١٢/ ٤٤٢ على ما في العبارة من تحريف: «ويقال: اللبن الذي يسيل من خضر التين النسل، وقال أبو منصور: وكنت أغفلت النسيل في بابه فأتيته في هذا الباب».

من المناشل[١٤٥].

(نصل) (ق ١٤/ ١٨٧)، قال ذو الرمة[١٤٦]:

شَرِيح كحُمّاض الثَّماني عَلَـتْ بـه على راجِفِ اللَّحيَيْنِ كالمِعوَلِ النَّصْلِ

صـوابه: شـريج، بـالجيم. أي: خليطـان. والحمّـاض: نبـت أبـيض فيـه حمرة. والثماني: قارات معروفة. والنصل: الذي قد نصـل مـن نصـابه. شـبه الزبد وقد خلطه دم من خشاش الإبل بذلك، وأراد أن خرطومها كأنـه معـول قد نصل عوده[١٤٧].

(نقل) (ق ١٤/ ١٩٩)، قال وزعموا أَنه للخنساء:

تركْتَنـي وَسْـطَ بَنـي عَلَّـةٍ كأَنَّني بعْـدَك فـيهم نَقِيـلْ

والبيت للخنساء[١٤٨].

النَّقِيلُ: الغريب في القوم إن رافَقهم أَو جاوَرهم.

(نمل) (ق ١٤/ ٢٠٣)، قول أبي الورد الجعدي:

ألا لعـنَ الله التـي رَزَمـت بـه فقـد ولَـدت ذا نُمْلـةٍ وغَوائِـل

وإنمـا الصـواب: زرمـت بـه؛ أي: ولدتـه. النملـة: النميمـة. والغوائـل: الدواهي[١٤٩].

---

(١٤٥)كتاب العين ٦/ ٢٦٤.

(١٤٦)ومثله أيضًا ما جاء في قول الطِّرِمّاح (ديوانه ٥٤٥):

سبقتُ بوردها فرّاطَ سِربٍ شرائحَ بين كُدريٍ وجُـونِي

وإنمـا الصـواب: شـرائج، بـالجيم. الفـراط: المتقـدمات إلـى المـاء. والكـدري والجوني: ضربان من القطا.

(١٤٧)ديوان ذي الرمة ١/ ١٥١ وفيه: «عمت به»؛ أي: رمت به.

(١٤٨)أنيس الجلساء في ديوان الخنساء ١٩١ وفيه روايات أخرى.

(١٤٩)اللسان (زرم).

(نهل) (ق ١٤/ ٢٠٥)، وقال عمرة بن طارق[١٥٠]...

صوابه: عَمِيرة[١٥١].

(هدل) (ق ١٤/ ٢١٦)، قال أبو محمد الحذلمي:

يُبادِر الحوضَ إذا الحوضُ شُغِلْ

وإنما الصواب: تبادر الحوض، بالتاء؛ لأنه يصف ناقة، وقبله:

لا عيشَ إلّا كلُّ صهباءَ غُفُلْ

وقوله: إذا الحوض شغل، أيِ: ازدحمت عليه الإبل الواردة. والغفل: التي لا سمة عليها[١٥٢].

(هدل) (ق ١٤/ ٢١٦)، قال الراجز:

يُلقيهِ في طُرْقٍ أتتها من عَلِ

وإنما الصواب: تلقيه، لأنه يصف إبلًا، وقبله بأبيات:

تدني من الجدولِ مثلَ الجدولِ

وهو لأبي النجم[١٥٣].

(هذل) (ق ١٤/ ٢١٨):

وهُذْلول فَرَس عَجْلان بن بَكْرة التيمي، وفي الحاشية: قوله «ابن بكرة» كذا في الأصل والمحكم بالباء، وفي القاموس والتكملة بالنون بدلها، وكتب عليه فيها علامة التصحيح.

---

(١٥٠)في أساس البلاغة (كفح): عمير. تحريف.

(١٥١)اللسان (رحل)، والنقائض ١/ ٤٧، ٢/ ٧٨٠، ٧٨٥، وديوان جرير ١/ ٢٣٧، وأسماء خيل العرب ٩١.

(١٥٢)اللسان (شعع، غفل)، والمحكم ١/ ٢٧، و اللسان (غفل)، وتهذيب إصلاح المنطق ٤٧٥ وفيهما: تناول، وديوان العجاج ٢/ ٣١٦ (الملحقات).

(١٥٣)الطرائف الأدبية ٦٥، وديوانه ١٩٦.

ولعل الصواب عَجْلان بن نُكرة، بالنون[١٥٤].

(هرجل) (ق ١٤/ ٢١٨)، قال جِرَان العَوْد:

حتى إذا مُنِعَتْ والشمسُ حامِيةٌ مَدَّتْ سَوالِفَها الصُّهْبُ الهَراجِيلُ

والصواب: متعت؛ أي: ارتفعت. الهَراجِيلُ من الإِبل: الضِّخام[١٥٥].

(هرقل) (ق ١٤/ ٢١٩)، وأنشد لمزاحم العقيلي:

ترائب جما في أسيلٍ ومُقلةٍ كما شاف دِينارَ الهِرَقْليِّ شائفُ

قوله: ترائب، لم ينقط في المطبوعتين، وإنما الصواب: ترائبَ جمّى. وهي موضع القلادة من الصدر. والأسيل: الأملس المستوي؛ أي: خدّها. وشاف: جلا. والهرقليّ: نسبة إلى هِرَقل، وهو أول من ضرب الدنانير[١٥٦].

(وأل) (ق١٤/ ٢٤٥)، قال في صفة ماء:

أَجْنٍ ومُصفرِّ الجِمامِ مُوئلِ

وهذا البيت أنشده الجوهري[١٥٧]:

أَجنٌ ومُصفرُّ الجِمامِ مُوأَلُ

قال ابن بري: صواب إنشاده كما أنشده أبو عبيد في الغريب المصنف: أجنٍ. وقبله بأبيات:

بمنهلٍ تَجبينهُ عن مَنهَلِ

والبيت من كلمة مخفوضة الرويِّ كما ذكر ابن بري، إلا أنه أغفل نسبة

(١٥٤)كما في الاختيارين ٤٩٨، وأسماء خيل العرب وأنسابها ٩٧، وفي مطبوع التكملة (هذل)، والمحكم ٤/ ٢٠٩: بكرة بالباء الموحدة.

(١٥٥)ديوانه: ٥٩، وتهذيب اللغة ٦/ ٥١٣.

(١٥٦)التعليقات والنوادر ٨٤١، وشعر مزاحم ١٠٦.

(١٥٧)الصحاح (وأل).

البيت، وهو للعجاج[١٥٨]. الجمام: جمع جمة، وهو ما اجتمع من الماء في البئر. والموئل: من الوَأْلة، وهي البعر والأبوال.

(وبل) (ق ١٤/ ٢٤٧)، وأنشد الجوهري في الموبل[١٥٩] العصا الضخمة:

زَعَمت جُؤَيَّةُ أنني عبدٌ لها أسعى بمَوبِلها وأُكسِبُها الخَنا

صوابه: الجنى، بالجيم. وهو الرُّطب. أي: أحطبها الحطب، وألقط لها من جنى الأرض، من كمأتها وسائر ما تُخرج[١٦٠].

(وحل) (ق ١٤/ ٢٤٩)، قال المتنخل الهُذلي:

فأَصْبَحَ العِينُ رُكودًا على الـ أَوْشاذِ أَن يَرْسَخْنَ في المَوْحَلِ

والصواب: الأوشاز، بالزاي، وهي الأمكنة المرتفعة. المَوْحِل: الموضع الذي فيه الوَحَل، وهو يروى بفتح الحاء وكسرها من المصدر والمكان. يقول: وقفتْ بقَرُ الوَحْش على الرَّوابي مَخافة الوَحَل لكثرة الأَمطار[١٦١].

(ورل) (ق ١٤/ ٢٥٠)، قال امرؤ القيس في الجمع على أورال:

قُلوبَ خِزَّانٍ ذوي أورال كما تُرزقُ العِيالُ

والبيتُ مُختَلُّ الرِّوايةِ، وإنّما الصّوابُ:

قلوبَ خِزّانِ ذي أورالٍ قوتًا كما تُرزقُ العيالُ

خزان: جماعة خزز، وهو ولد الأرنب. وذو أورال: هضبة أو مكان[١٦٢].

(وكل) (ق١٤/ ٢٦٢)، والوكال: الضعف. قال أبو الطَّمَحان القَيني:

إذا واكلْتَهُ لم يواكلِ

---

(١٥٨)ديوانه ١/ ٢٤١، ٢٤٥. وفيه: ومنهل وردته / دَفْنٍ.

(١٥٩)في الصحاح (وبل)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٨٧: الخنا. تصحيف.

(١٦٠)المخصص ١١/ ٢٢.

(١٦١)الصحاح (وحل)، وتهذيب الألفاظ ٣٣٦، وشرح أشعار الهذليين ١٢٥٨.

(١٦٢)اللسان (حثل)، وكتاب الإبل ٨١، وديوان امرئ القيس ١٩٢ وفيه: يرزق.

وإنما الصواب: واكَلْنَه، بالنون. أي: الكلاب. والبيت بتمامه:

فأنقـــذَهُ استبســـالُهُ وقِتالُـــه وشـــدٌّ إذا واكَلْنَـــهُ لـــم يواكـــلِ

الشدّ: العدْو. يصف كلابًا وثورًا(١٦٣).

[للبحث صلة]

* * *

(١٦٣)قصائد جاهلية نادرة ٢١٤.

المقالاتُ والآراء

ما الفرق بين تَسَلَّمَ واسْتَلَمَ؟

أ. د. مكي الحسني(*)

- تَسَلَّمَ الشيءَ: قَبَضَه. يقال: تسلَّم راتبه الشهري (مُرتَّبه) .تَسَلَّم رسالةً من صديقه. تَسَلَّم طردًا بريديًّا...

  سَلَّم إليّ المحاسب مُرتَّبي فَتَسلَّمتُه.

- **أمّا استلم استلامًا** (ومنه لجنة الاستلام) فقد فشا فُشُوًّا واسعًا، مع أن تسعة مَراجع في «الأخطاء الشائعة» رأت الاستلام **خاصًّا بحجر الكعبة الأسود**. يقال: استلم الحاجُّ الحجرَ الأسود استلامًا، **أي: لَمَسَهُ إما باليد وإما بالقُبْلَة، وقيل: مَسَحَهُ بالكفّ**؛ لأن استلم مأخوذ من السِّلام (بكسر السين)، وهي الحجارة، مفردها سَلِمَة على وزن كلمة، كما قيل من الكُحْل: الاكْتحال.

قال الفرزدق في مدح زَيْنِ العابدين علي بن الحسين (ر):

يكاد يُمْسِكُهُ عِرفانَ(١) راحتِه ... ركْنُ الحَطيمِ(٢) إذا ما جاء يَستلِمُ

المعنى: يكاد يُمسكه ركنُ الحَطيم لأجل أنه عَرَفَ راحَتَه (عِرفان: مفعول لأجله).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) عِرفان: معرفة.

(٢) رُكْن الحطيم: ركن جدار الكعبة الذي فيه الحجر الأسود.

• تذكّر صديقي الدكتور محمود الحسن بيتًا لأمير الشعراء أحمد شوقي:

وقيـــل: كـــلُّ نبـــيٍّ عنـــدَ رُتْبَتِـــهِ ويـا محمَّـدُ هـذا العـرشُ فاستَلِمِ

قال أحمد الحوفي في شرح البيت:

في هذا البيت صورة تمثِّل النبيَّ قد صعد إلى أعلى أوجٍ، والأنبياء من ورائه، فلما قاربوا العرشَ أُمِروا أن يتوقَّفَ كلٌّ منهم في المكان الملائم لِقَدْرِه، وأُذِن لمحمَّدٍ وَحْدَهُ أن يَدنوَ من العرش ويستلمه. «من كتاب الإسلام في شعر شوقي».

فيكون معنى الاستلام في البيت هو اللَّمس والتقبيل.

* * *

المصادر والمراجع

- معجم أخطاء الكتاب لصلاح الدين الزعبلاوي.
- معجم النفائس الكبير في (اللغة العربية).
- أزاهير الفصحى لعبّاس أبو السّعود.

* * *

الكشكول اللغوي (٦)
النُّور والنّار، والنَّهْر والنَّهار، والمَنار، والأُوار

أ. د. رفعت هزيم(*)

لا تحتاج ألفاظُ «النُّور» و«النّار» و«النَّهر» و«النَّهار» إلى تعريفٍ أو توضيح من حيث دلالاتها؛ لأنّ صغار الطلبة يعرفون أنّ النُّور هو الضوء، وأنّ النّار لهبٌ وحرارةٌ محرقة، وأنّ النَهر مجرى الماء العذب، وأنّ النهار ضياءُ ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

ولكن ما يلفت النظر في هذه الألفاظ الأربعة اشتراكها جميعها في صوتين صامتين هما النون والراء، واشتراك اثنين منها – وهما «النهرُ» و«النهار» – في صوتٍ صامت ثالث هو الهاء، في حين أن الصوت الثالث في «النور» و«النار» صائت – أيْ: حرف علّة– هو الضمّة الطويلة [الواو] في أوّلهما، والفتحة الطويلة [الألف] في الآخر. وإذا كان التماثلُ بيّنًا من حيث البناء وحده في الثنائيّ الثاني، وهو «النهر» و«النهار»، ومن حيث المبنى والمعنى في الثنائيّ الأول، وهو «النور» و«النار» = فإنّ هذه المقالة ستتقصى الصلة الاشتقاقية والدلالية بين الألفاظ الأربعة ولواحقها ونظائرها في اللغات السامية للإجابة عن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل يجمع جذر

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

مشترك ودلالة مشتركة بينها كلها؟

يرى اللغويون المتقدمون أنّ في العربيّة أربعة أفعالٍ للدلالة على «النُّور» وهي: نارَ نُورًا، وأنارَ إنارةً، واستنارَ استنارةً، ونوّرَ تنويرًا، بقال: «نارَ نَوْرًا: أضاءَ،...واستنارَ به: استمدَّ شُعاعَه، ونَوَّرَ الصبحُ: ظهرَ نُورُهُ...، والتنوير: وقتُ إسفار الصبح، وأنارَ المكانَ إنارةً: وضعَ فيه النُّور...»، ويضاف إليها اسمان، «فالمَنارُ والمَنارةُ: موضعُ النُّور، والمنارةُ: الشمعةُ ذاتُ السِّراج، والتي يوضع عليها السراج،... والجمع: مَناوِر على القياس، ومَنائر مهموز على غير قياس».

والدلالة الثانية للجذر الثلاثي (ن و ر) في لفظ «النَّوْر» - بفتح النون -؛ فـ «النَّوْرُ- والجمع أنوار- والنَّوْرةُ: الزَّهرُ الأبيض والأصفر، والنُوّارُ كالنَّوْر، وواحدته نُوّارة».

والدلالة الثالثة له في لفظ «النار»، وقد اكتفى ابن منظور في شرحه بالقول: والنارُ: معروفة أُنثى، وهي من الواو؛ لأنّ تصغيرها: نُوَيْرة،... وقد تُذكَّر، والجمع: أنوُرٌ ونيرانٌ ونِيْرَةٌ ونُورٌ ونِيارٌ وأنيارٌ

أما اللفظ الأول من الجذر الثلاثي (ن ه ر) فهو «النَّهارُ»، وقد صرّح اللغويون في تعريفه بأنه «ضياءٌ... أو انتشار ضوء البصر»، والجمع: أَنْهُرٌ ونُهُرٌ...، وأَنْهَرنا: من النهار،... وأنشد سيبويه:

لستُ بِلَيْليٍّ ولكنّي نَهِرْ أُدْلِجُ الليلَ ولكنْ أبتكِرْ

وجعلَ «نَهِر» في مقابلة «لَيْلِي» كأنه قال: لستُ بليليٍ ولكني نهاريّ، وقالوا: نهارٌ أنهرُ كَلَيْلٍ أَلْيَل، ونهارٌ نَهِرٌ كذلك، كلاهما على المبالغة»[(١)].

واللفظ الثاني في هذا الجذر هو «النَهرُ» بسكون الهاء أو فتحها، «والجمع:

(١) اللسان.

أنهارٌ ونُهُرٌ و نُهور، وهو مَجرى الماء، والفرق بينه وبين «الجدول» و«الساقية» و«القناة» غزارةُ مائه، يُقال: «نَهرَ الماءُ: إذا جرى في الأرض وجعلَ لنفسه نهرًا، وكلُّ كثيرٍ جرى فقد نَهرَ»[٢]، «والنَهَرُ – مُحرّكةً – السَعَةُ، ونَهْرٌ نَهِرٌ: واسعٌ»، والمَنْهَرُ: موضعٌ في النهر يحتفرهُ الماءُ»[٣]، وينشأُ عن سعة المجرى وغزارة المياه وجريانها الضياءُ الدي يراهُ الناظرُ إلى الأنهار.

أما نظائر الجذر nw\yr في اللغات الساميّة فهي الفعل nawâru =أنارَ، والصفات: nawr «نائرٌ، مُنيرٌ» وmunawwiru «مُنوِّرٌ» في الأكادية[٤]، ومنه الاسم nūru بمعنى «النُّور» و«النار» معًا. وnr «النُّور» في الأوغاريتية[٥]، وnwr «النار» في الآرامية التوراتية[٦]. ويدل الجذر nw\yr في السريانية على «النار»، يقال nayyar nÔrâ = أوقد/ أشعلَ النارَ، وبصيغة nÔrtâ = النَّوْرة على الزَّهْر[٧].أما mnârtâ=«المنارة» فدلالاتها كما في العربية، ويرى بروكلمان أن دلالتها على «المئذنة» مأخوذة من العربية[٨]. ولا تستعمل العبرية فعلًا من الجذر nwr، بل تستعمل الأسماء المشتقة منه: nîr + nēr– باليـاء– = المصباح، السراج، وmnÔrâ = المنارة؛ أيِ: الشمعةُ ذاتُ السِّراج[٩]. والظاهر أن الجعزية أخذت الاسمين nûr+ nâr من «النار» و«النُور» في

(٢) اللسان.

(٣) ق. المحيط.

(٤) AHw 672b+768b+805a.

(٥) Gordon, nr 1644.

(٦) . Gesenius 541

(٧) اللباب ٧٢٣.

(٨) Brockelmann 422.

(٩) KBL 645+568+682.

العربية، ثم صاغت من ثانيهما الفعل nawwara = «أنارَ، أضاءَ»، كما أخذت الاسم manârat = المنارة من الآرامية(١٠).

أما الجذر nhr فله في السريانية دلالتان: إحداهما: «النُّور»: في الفعل الثلاثي nhar، يقال: nhar Šrâgâ أضاء السراجُ و nhar ŠamŠâ بزغت الشمسُ وnhar kaukbâ طلعَ الكوكبُ، والرباعي anhar' = أضاءَ وأنارَ، والمتعدي nahhereh = نوّرَهُ، ومنه الاسم nūhrâ = «النُّورُ» و«الضياء»، والصفة nahhîrâ= «النيِّر». والدلالة الأخرى: «النَّهْر» في nahrâ والجمع nahrawâtâ(١١).

وأما العبرية ففيها جذران متطابقان في البناء nhr:، ولكنهما مختلفان في الأصل والدلالة، وأحدهما nâhar= جرى، تدفّقَ، ومنه nâhâr =النّهْرُ، وminhâr= المَنْهَر، والآخر nâhar أيضًا، ولكنه بمعنى أضاءَ وأنارَ، وهو مأخوذ من الآرامية، ومنه nhârâ «النُور»(١٢).

ولا يدل الجذر nhr في الفعل nahara في الجعزية إلا على جريان الماء، وعلى مجراه في الاسمين nahâr= النَهْر وmənhâr = المَنْهَر(١٣).

ولكن «النهر» لا يرد بصيغة nhr في الأكادية، بل يرد بصيغةٍ خالية من الهاء هي nâru(١٤).

وذهب فرنكل إلى أن بعض الألفاظ من الجذرين دخيل في العربية، فزعم أن العرب أخذوا لفظ «المنارة» من السُّريانية بعد أن رأَوها في الكنائس، ولذا حاروا في أصله، فجمعوه على مَناوِر؛ أيْ: من «النُور»،

(١٠) Leslau 351a+ 401b+410a.

(١١) اللباب ٧١٤.

(١٢) KBL 639.

(١٣) Leslau 394a.

(١٤) AHw 748b.

وعلى «مَنائر»؛ أيْ: من «النار». وزعم فرنكل أيضًا أن العرب عرفوا السواقي فقط؛ ولذا أخذوا لفظ «النهر» من لغة سكان حوض الفرات(١٥).غير أن زميليه جويدي I.Guidi ومولر D.H.Müller أكّدا أصالة اللفظين في العربية، زد على ذلك أن لفظ «المنارة» معروف في العربية الجنوبية بصيغتي mnrt في السبئية وmnwrt في المعينية، ويعني في كلتيهما «منار المَذبح»، أما «النَّهْر» فقد ورد بصيغة الجمع nhr'= أنهار» في السبئية(١٦).

ويسمح هذا العرض بالافتراض أن العربية وأخواتها الساميات عرفت اسمًا من جذرٍ ثلاثيّ فاؤهُ نونٌ وعينه واوٌ أو هاءٌ ولامه راء، وصيغه أربع: النُّور والنار والنَّهر والنهار، ومعناه فيها كلها هو النُّور والضياء؛ فالنارُ ضوءٌ ولهب، والنهر مجرى ماء متدفّق يملأ الفضاء بريقًا وضوءًا، وضياءُ النهار يقابل ظلمة نقيضِهِ الليل، ثم صاغت العربيةُ وأخواتها منها الأفعال، وتلا ذلك صوغُ المشتقات، فصاغوا «المَنارة» لتدلّ على موضع النُّور والشمعة ذات السِّراج والمئذنة، فأخذ العثمانيون المعنى الأخير، وصارت صيغته minarat في التركية، وانتقل منها إلى الإسبانية بصيغة minarete، وإلى الفرنسية والإنكليزية بصيغة minaret، وإلى الألمانية بصيغة minarett. وأضاف العرب بعد ذلك دلالة رابعة لـ «منارة الإسكندرية» التي نسبها الطبري والمسعودي وابن كثير وسواهم إلى ذي القرنين، وجعلوها إحدى عجائب الدنيا. والجمع من «المنارة» هو «المَنار» لأعلام الطريق والحُدود بين الأرضين، ومَنارُ الحَرم: أعلامُهُ التي ضربها إبراهيم الخليل على أقطار الحرم ونواحيه وبها تُعرفُ حدودُ الحَرم...، وفي الحديث: «إنّ للإسلام

(١٥) Fraenkel 271+ 285.

(١٦) المعجم السبئي ٩٤+١٠١ + Arbach 69.

صُوَى ومَنارًا»؛ أيْ: علامات وشرائع يُعرفُ بها. وأضافوا في العصر الحديث «المَنْوَر»، وهو كوّةٌ لدخول النُّور إلى المكان(١٧).

واشتقوا من «النّار» الفعلَ: تَنوّرَ النارَ: نظرَ إليها أو أتاها، والفعلَ: نُرتُ البعيرَ: جعلتُ عليه نارًا، وما بهِ نُورةٌ؛ أيْ: وَسمٌ،... قال أبو منصور: ما نارُ هذه الناقة؟؛ أيْ: ما سِمَتُها؟ سُمّيتْ نارًا؛ لأنها بالنار تُوسم. وجمعوا «النار» على أنوار ونيران ونِيْرة ونُور ونِيار.

وصاغوا من «النَّوْر» و«النُّوّار» بمعنى «الزَّهْر» الأفعالَ: نوّرَ الشجرُ والنباتُ، وتنويرُ الشجرة إزهارُها، وأَنْوَرتْ وأنارت: أخرجتْ نَوْرَها.

واشتقوا من «النَّهْر» الأفعال: «نَهرَ الماءُ: إذا جرى في الأرض، وكلُّ كثيرٍ جرى فقد نَهَرَ واستنهرَ،... وفي الحديث: «ما أَنهرَ الدّمَ فَكُلْ»، والإنهارُ: الإسالةُ والصّبُّ بكثرة، واسم المكان «المَنْهر» للموضع يحتفره الماءُ، أو للشَّقّ النافذ في الحصن يجري فيه الماء، كما صاغوا «الناهِر» و«النَهِر» للعنب الأبيض، والناهور السحاب(١٨).

ومن الطريف أن المتقدّمين اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]، «فيجوز أن يعني به السَّعةَ والضياءَ؛ لأنّ الجنّةَ ليس فيها ليلٌ، وأنْ يعني به النهرَ الذي هو مجرى الماء على وضع الواحدِ موضعَ الجميع»(١٩)، كما أجازوا وجهين في تفسير «النار» في قوله تعالى: ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨] «فنقل ابن منظور عن الزجّاج: «مَن في النار هنا نُور الله عزّ وجلّ، ومَن حولها قيل: الملائكة، وقيل: نور الله

(١٧) م. الوسيط.

(١٨) ق. المحيط.

(١٩) اللسان.

أيضًا»، وكذلك فعلوا في دلالة الفعل «أنورَ» في «حديث خزيمة: أنورت الشجرةُ؛ أي: حسنت خضرتُها من الإنارة، وقيل: إنها أطلعت نَوْرَها، وهو زهرُها،... ونوّرت الشجرة وأنارت: أخرجتْ نَوْرَها، وأنارَ النبتُ وأنورَ: ظهرَ وحَسُنَ[٢٠].

فهذا كله بيان واضح لاشتراك الجذرين في المبنى والمعنى، ويظهر أن بعض المتقدمين فطنوا إلى ذلك، ومنهم الراغب الأصفهاني: «وقال بعضهم: النار والنُّور من أصلٍ واحد وكثيرًا ما يتلازمان، فالنارُ مَتاعٌ لِلمُقْوين [أيِ: الفقراء] في الدنيا، والنُّور متاعٌ لهم في الآخرة»[٢١]!

وقد يعترض أحدهم بالقول: ثمة ألفاظ أخرى من الجذور «ن و ر» و«ن ه ر» و«ن ي ر» تبعد دلالاتها كثيرًا عن النور والضياء والنار، ومنها: نارَت المرأةُ، فهي نَوارٌ ونَؤور: نفَرَت من الريبة، و: نَهرَ: زجرَ كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، و: النهار: فرخ القطا، أو ذكر البوم، أو ولد الكروان، أو ذكر الحبارى[٢٢]، و: «النِّيرُ» ذو الدلالتين، إحداهما: عَلَمُ الثوب ولُحمته وهُدبه،... وثوبٌ ذو نيرين: إذا نُسجَ على خيطين،... والطُرّةُ من الطريق تُسمّى النير تشبيهًا بنير الثوب، وهو العلم في الحاشية، ومنه النِّيرةُ وهي الخشبة يُنسج بها، والدلالة الأخرى- وهي شائعة اليوم - نيرُ الفدان، وهو الخشبة التي تكون على عُنق الثور[٢٣]. ويظهر أن هذه الألفاظ من جذورٍ أُخَر، ولبعضها نظائر في الساميّات، ففي السريانية الفعل nwar

(٢٠) اللسان.

(٢١) المفردات ٥٠٨.

(٢٢) ق. المحيط.

(٢٣) اللسان.

«نفَرَ»، ومنه اسم الفاعل nawwâr[٢٤]، وفي الأكادية nîru «نير الثور»[٢٥]، ومنها إلى العربية، وإلى nîrâ في السريانية.

ولا بدّ من إضافة لفظين آخرين إلى الألفاظ الخمسة: «النُّور» و«النّار» و«النَّهر» و«النهار» و«المنار» لصلتهما بها مبنى ومعنى: أحدهما «الأُوار»، وقد ذكر اللغويون أنه «شدّةُ حرّ الشمس ولفح النار ووهجها، ومن كلام الإمام علي (ر): فإنّ طاعة الله حِرْزٌ من أُوار نيرانٍ موقدة »[٢٦]. ومن نظائره في الساميّات urru= «النهار، الصباح» في الأكادية[٢٧]، وr’ = «الضياء» في الأوغاريتية[٢٨]، و Ôr’= «النور، الضياء» في العبرية[٢٩]، وūrâ’= «النور» في السريانية[٣٠]، فهل تكون الهمزةُ في أوّله بدلًا من النون؟

والآخر هو «الوَهَرُ» ودلالته شبيهة بدلالة السابق، فهي «تَوهّجُ وقْع الشمسِ على الأرض حتى ترى له اضطرابًا كالبُخار، يمانية، ولَهَبٌ واهرٌ: ساطع»[٣١]. وقد أورده نولدكه في بحث عن «الإبدال اللغوي بين النون والواو أو الهمزة في فاء الجذر في الساميّات» وقرنه بـ «الأُوار» في العربية وأخواتها، غير أنه استبعد الإبدال في العربية بين الهمزة والنون[٣٢]، ولكن اللغويين العرب ذكروا أمثلةً له، ومنها: «أشرَ الخشبةَ بالمِئشار: نشرها...،

---

(٢٤) Brockelmann 421â.

(٢٥) AHw 793b.

(٢٦) اللسان.

(٢٧) AHw 1433a.

(٢٨) 76.

(٢٩) KBL 23.

(٣٠) اللباب ١٤.

(٣١) اللسان.

(٣٢) Nöldeke 181,189.

والمئشارُ: المِنشار...، ومنه الحديث: فقطعوهم بالمآشير؛ أيْ: بالمناشير»[٣٣]، أما «الوهر» فلعله – كما قالوا – بلهجةٍ يمنيّة.

* * *

المصادر والمراجع

بالعربية:

- القاموس المحيط: الفيروزابادي، ٤ أجزاء، بيروت د.ت.
- اللباب: جبرائيل القرداحي، بيروت ١٨٩١.
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت د.ت.
- المعجم السبئي: أ.بيستون، ج. ريكمانز، م. الغول، و. مولر، بيروت ١٩٨٢.
- المعجم الوسيط: ط٢ القاهرة ١٩٧٢.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت د.ت.

باللغات الأجنبية:

- AHw: von Soden, W.: Akkadisches Handwörterbuch. Wiesbaden 1965.
- Arbach M.: Lexique Madhabien. Aix-En-Provence 1993.
- Brockelmann,k.: Lexicon Syriacum.1928, Neud.Hildesheim 1966.
- Fraenkel , S.: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden 1886 , Neud. 1982.
- Gesenius, H.W.: Hebrew-Chaldee Lexicon to the Old Testament.

(٣٣) اللسان.

Michigan 1979.

- Gordon,C.H.:Ugaritic Textbook ,3 Vol., Roma 1965.
- KBL = L. Koehler & W. Baumgartner: Hebräishes und Aramäisches Lexikon zum Alten Testament. 3 Auflage. Leiden 1967-1995.
- Leslau , W.: Comparative Dictionary of Gecez. Wiesbaden 1987.
- Nöldeke , Th.: Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. 1910 Neud. Amsterdam 1982.

❊ ❊ ❊

التعريفُ والنقد

اللسانيات - مقدمة إلى المقدمات

(Aitchison's Linguistics)[1]

عرض ومراجعة أ. د. أحمد محمّد قدُّور[*]

مقدّمة:

اتخذتِ اللسانيات سبلًا مختلفة في دخولها إلى علوم اللغة عندنا، كالاقتباس، والترجمة، والاستمداد، والتأليف الخالص. ويمكن أن نعدّ مطلع السبعينيات من القرن الماضي بداية للتدافع على موضوع اللسانيات، والإكثار من الترجمات، وابتداع المصطلحات. وقد شكا الكثير من أهل الاختصاص من الترجمات الركيكة التي تؤخذ عادة من مصادر أجنبية عامة، أو قديمة بحسب تاريخ العلم في أوربة. وما زالت الحاجة ماسّة إلى ترجمة المصادر الأصيلة في اللسانيات، ووضعها بين أيدي الباحثين المختصين. ومع أنّ الكثير من هذا القبيل قد أُنجز، يتطلّب التطوّر السريع في نظريات اللسانيات ومدارسها متابعة جدّية لِما يصدر في أرجاء العالم، ولا سيّما أنّ وسائل الاتصال سهّلتِ الحصول على الجديد أولًا بأول.

---

(١) اللسانيات – مقدّمة إلى المقدّمات، تأليف جين إتشسن، ترجمة وتعليق عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، ط. أولى ٢٠١٦م بالقاهرة. ويقع في (٥٠٠) صفحة.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، أستاذ البلاغة والنقد في جامعة حلب.

ورد إلى مجلة المجمع في ٢٧/ ١٠/ ٢٠٢١م

والكتاب الذي بين أيدينا مصدر أصيل، وحديث، فقد صدرت طبعته الإنكليزية الأخيرة عام ٢٠١٠م، وتُرجم إلى العربيّة ٢٠١٦م. والكتاب من تأليف «جين إتشسن» (Jean Aichion) الأستاذة في جامعة أكسفورد ببريطانيا. وتعدّ هذه الطبعة السابعة للكتاب، إذ صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٢م، وما زالت المؤلّفة تتعهّده بالزيادة والتنقيح في طبعاته المتوالية منذ ذلك التاريخ. والكتاب يقدّم معالجات قريبة المتناول، تجمع بين الشمول والإيجاز للمسائل الأساسية لهذا العلم، ولاتجاهات البحث المهمّة التي تعاورت عليه منذ نشأته حتى العقد الأول من القرن الحالي. (ص١٣). ولما كان الكتاب يمثّل مقدمة مثالية لعلم اللسانيات اقترح المترجم الدكتور عبد الكريم محمد جبل عنوانًا فرعيًّا للكتاب استمدّه من مقدّمة المؤلِّفة، وهو (مقدّمة إلى المقدّمات). واللسانيات فرع معرفي سريع التغيّر، وقد تطوّرت بعض مسائله تطوّرًا كبيرًا. وما زال هذا العلم يزداد توسّعًا، وكأنه دوحة ما برحت تنبت أغصانًا جديدة كلّ حين. وترى المؤلفة أنّ كتابها يأخذ بأيدي من يحاولون اقتحام دائرة اللسانيات، تلك الدائرة المحظوظة المقصورة على عدد قليل من الدارسين، ويشرح المفاهيم والمصطلحات الرئيسة في هذا التخصّص. ولذلك امتاز الكتاب بالإكثار من الأمثلة والشروح. «ولما كان علم اللسانيات يمثّل فرعًا معرفيًّا تخصّصيًّا، لم أجد بدًّا منِ استعمال المصطلحات الفنية الجارية في هذا العلم، مع التزامي بشرح كلٍّ من هذه المصطلحات شرحًا يجلّي مفهومه قدر المستطاع». (ص٢١).

ويضمّ الكتاب معظم المسائل المدروسة في اللسانيات النظرية واللسانيات التطبيقية، مع اهتمام بالتغيّر اللغوي والمقارنات، وبالنحو الكلّي الذي سعى إليه تشومسكي الذي أحيا اهتمام الدارسين بالكلّيات

اللغوية (language Universals). فقد كان هذا الموضوع مهملًا إلى حدٍّ ما في بدايات القرن العشرين. (ص٣٧٩-٣٨٠).

أقسام الكتاب:

وجعلت المؤلفة الكتاب في خمسة أقسام، تجري على هذا النحو: القسم الأول عنونته باستهلال، والقسم الثاني سمّته الدوائر الداخلية، وتقصد مسائل الدرس النظري للغة. والقسم الثالث جعلته للدوائر الخارجية، وقصدت أن تعرض هنا مسائل للدرس التطبيقي لِلّغة، كما سيتّضِح لاحقًا. والقسم الرابع كسرته على التغيّرات والمقارنات. والقسم الخامس وَسَمته بـ(نحوَ نحوٍ كلّي). وأعقب ذلك عدد من الملاحق، وأهمّها دراسة أصوات الكلام في اللغة الإنكليزية. والمؤلفة تذهب مع عدد من اللسانيين المحدثين الذين يُخرجون «علم الأصوات» (Phonetics) من دوائر الدرس اللساني، لأنه علم يختصّ بالنطق وفيزيولوجيا الكلام والموجات الصوتية والتجارب المخبرية؛ على حين أنهم يُبقون على العلم الآخر للأصوات ضمن اللسانيات، وهو الفونولوجيا(Phonology)، وهو العلم الصوتي الذي يدرس تشكيل أصوات لغة معيّنة في مقاطع وكلمات.

وتخلو أمثلة المؤلفة من أمثلة عربية، لأنها - كما يبدو - لا تعرف العربية. وقد أكثرت من الأمثلة الإنكليزية، كما أشارت إلى أمثلة أخرى للغات أوربية، وللتركية ولبعض اللغات المنقرضة في أمريكا الشمالية. غير أنّ المترجم المتمكّن الدكتور جبل أضاف في حواشي الكتاب أمثلة عربية، كما أضاف إيضاحات مهمّة، لأنّ هذه الترجمة موجّهة إلى قرّاءٍ عرب. وليس هذا النحو من المؤلفة غريبًا، إذ دأب معظم المؤلفين في اللسانيات الأجنبية على إغفال لغتنا وعلومها؛ فخلت مؤلفاتهم، ما عدا قلّة منها، من

أيّ مثال عربيّ، ولو كان مترجمًا[٢].

وليس في الكتاب مقدّمات واسعة لتاريخ اللسانيات ومدارسها، ما عدا المدرسة التوليدية والتحويلية لتشومسكي التي جُعلت في قسم مستقل، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك آنفًا.

وحسنات هذه الترجمة كثيرة، أهمّها اللغة العلمية الرصينة، والمصطلحات الدقيقة، والشروح والإيضاحات المهمّة. من ذلك أنّ المترجم عرض للأمثلة الإنكليزية بنصّها، وأثبتها في المتن، مع ترجمة موجزة لها حين الحاجة. لأنّ الاجتزاء بالترجمة العربية، كما هو شائع، يفقد الأمثلة الأصلية الغرض التركيبي الذي سيقت لأجله. وزيادة في الالتزام بما تقدّم ترجم الدكتور جبل الأمثلة الأجنبية ترجمة حرفية عربية تعوزها البلاغة، ولكنها صحيحة الصياغة، كما قال (ص١٧)، واعتمد المترجم في المصطلحات كتاب الدكتور رمزي بعلبكي «معجم المصطلحات اللغوية»، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م». وهو من أحسن ما ألّف في بابه. كما اعتمد مصادر معجمية ثنائية اللغة، ومصادر أخرى لغوية بالعربية والإنكليزية حرصًا على طلب الدقّة وتحرّي الصواب.

القسم الأول: استهلال:

وهذا عرض لمضامين الكتاب. ففي القسم الأول: استهلال، تعريف باللسانيات ووظائفها. وترى المؤلفة أنّ اللساني لا يحتاج إلى التحدّث بلغات مختلفة، أي: لا ضرورة لإتقانه لغاتٍ متعدّدةً، بل يحتاج إلى أن يحصّل خبرة واسعة بالأنماط المختلفة للغات الإنسانية؛ وأنه – أيِ:

(٢) وقفت على مثال يتيم تشير فيه المؤلفة إلى كثرة المفردات الدالة على أنواع الإبل في العربية. ص١٨٨، والحاشية رقم(١) من الصفحة نفسها.

اللساني- لا يُملي على الناس كيف يتكلّمون، بل ينهض بمهمّة وصف علمي محايد لكلام الناس من غير تدخّل، أو تقييم؛ وينبغي له أن يصف اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة كلًّا على حدة، وبالمنهج نفسه. وتخلص المؤلفة إلى أنّ علماء اللسانيات يسعَون إلى تأسيس إطار عالمي من القواعد، لكن لا مسوّغ يحتّم أن يكون هذا الإطار مشابهًا لقواعد اللغة اللاتينية، أو لقواعد أيّ لغة أخرى. (ص٣٩). وتقف المؤلفة هنا على خصائص اللغة الإنسانية، كالاعتباطية (Arbitrariness)، أي: عدم وجود علاقة طبيعية بين الأصوات، وما تدلّ عليه أصلًا. وتتميّز اللغة بالإبداعية، مع وجود عدد محدود من الأصوات والقوالب (Patterns) التي تنتظم مكوّناتها المختلفة. وفي الجزء المعنون باتجاهات دراسة اللغة توجز المؤلفة القول في الملامح العامة للاتجاهات الرئيسة لعلم اللسانيات خلال القرنين الماضيين، وتطرح بعض التوقّعات بشأن الاتجاهات المستقبلية المحتملة لهذا العلم. وتعرض بإيجاز للسانيات التاريخية والوصفية، وتشير إلى «دو سوسير» و«ليونارد بلومفيلد»، وتعرّف بجهود «تشومسكي»، وتستشرف آفاق البحث المستقبلية. وتشير أخيرًا إلى اتجاهين في دراسة اللغة: أحدهما يدرس لغة واحدة بعينها، والآخر يدرس اللغة في إطار أوسع، أي: بوصفها ظاهرة إنسانية عامة. (ص٧٠-٩٤).

القسم الثاني: الدوائر الداخلية:

ويضم القسم الثاني من الكتاب (الدوائر الداخلية) بحوثًا في فونولوجيا اللغة الإنكليزية، وتشرح المؤلّفة مفهوم الفونيم (Phoneme)، وهو أصغر وحدة صوتية لها أثر استبدالي في التراكيب، أي: ما يعادل مفهوم الحرف عندنا تقريبًا؛ وكذلك تعرّف بالألفون (Allophone)، وهو صورة نطقية

للفونيم لا تؤثّر في المعنى، ويشبه ذلك عندنا صور النطق المتعدّدة للجيم والشين والنون مثلًا وفق السياقات اللغوية أو التنوّعات الاجتماعية من غير أن يؤثّر ذلك في المعنى. وتتعرّض المؤلّفة لما يدعى بالفونولوجيا العروضية التي تعيّن الإيقاعات ودلالاتها. (ص١٠١-١٢٠)، وتقف في جزءٍ تالٍ عند الكلمات وأجزائها، أيِ: المورفيمات (Morphemes)، وهي أصغر وحدة صرفية ذات دلالة وظيفية، كالأدوات وأجزاء الكلمات وحركات الأبنية عندنا؛ وتشرح مفهوم الألومورفات (Allomorphes) التي تدلّ على صور متنوّعة للمورفيمات، كتعدّد صور الجمع لأسباب صوتية. (ص١٢٣-١٤٠). وتعرض المؤلفة لأقسام الكلام (parts of speech)، وارتباطاتها التركيبية. (ص١٤٠- ١٤٥). ثم تتناول في قسم آخر تحليل الجمل التي تنتظم اللغة، وتستعمل المشجّرات، وقواعد إعادة الصياغة. وتعرض للتداخل بين النحو والصرف والدلالة، وتحلّل أمثلة من الجمل المعقّدة؛ وتخلص إلى أنّ الدرس التركيبي يتداخل مع الدرس الدلالي، وخاصة في الأفعال، لما تحمله من معلومات تركيبية، وأخرى دلالية. (ص١٤٧-١٨٠). وتقف المؤلفة في قسم آخر عند الدلالة، وتشير إلى مهمّة علم الدلالة في دراسة المعنى. وتتناول مسائل معنى الكلمة وارتباطها بالعالم الخارجي، والمجالات الدلالية، والمترادفات والمتقابلات، ومعاني الجمل؛ وترى أنّ علماء «علم الدلالة» (semantics) معنيّون بالبحث في أسباب قابلية بعض الجمل للفهم، واستعصاء أخرى عليه؛ وبالبحث في القدرة التي تمكّن أهل اللغة من إدراك المعاني المتماثلة والغامضة لبعض الجمل على حدّ سواء (ص١٨٣-٢٠٥). ويمثل هذا القسم الجزء المخصّص لدراسة اللغة نفسها، أو ما يدعى باللسانيات النظرية. وتخلو

المسائل المدروسة هنا من مداخل تاريخية؛ إذِ اكتفت المؤلفة غالبًا بتعريفات موجزة لاختصاص الدرس الصوتي الفونولوجي، والدرس المورفولوجي، والدرس التركيبي النحوي، والدرس الدلالي.

القسم الثالث: الدوائر الخارجية:

أما القسم الثالث من الكتاب فهو مخصّص للدوائر الخارجية، أيِ: اللسانيات التطبيقية، واختارت المؤلفة أن تدرس هنا عددًا من فروع هذه اللسانيات الكثيرة؛ فدرستِ استعمال اللغة، أيِ: التداولية (pragmatics)، واللغة والمجتمع، أيِ: اللسانيات الاجتماعية (علم اللغة الاجتماعي) (sociolinguistics)، واللغة والعقل، أيِ: اللسانيات النفسية (psycholinguistics)، واللغة والأسلوب، أيِ: الأسلوبية (stylistics). وتضمّ اللسانيات التطبيقية فضلًا عمّا تقدّم فنّ تعليم اللغات، وصناعة المعجم، والترجمة، وأمراض الكلام، ومختبرات اللغة، واللسانيات الجغرافية، والعصبية، والتربوية، والأجناسية (الإثنولوجية)، والرياضية، والحاسوبية، والبيولوجية، والنوعية (الجينية)، والسيميائية (علم العلامات)، والنصية، وغيرها[٣]. ودرست المؤلفة في قسم استعمال اللغة مسائل تداولية. والتداولية فرع من اللسانيات معنيّ بدراسة جوانب المعنى التي لا يمكن الوقوف عليها عبر التحليل الذي تقدّمه النظريات الدلالية المختلفة. وإجمالًا إنّ التداولية تبحث في الكيفية التي يوظّف بها البشر اللغة، على نحو لا يمكن التنبؤ به عبر المعرفة اللغوية وحدها. ويمكننا القول: إنّ التداولية تتعامل مع المبادئ العامة التي يتّبعها الناس حين يتواصل بعضهم

(٣) مبادئ اللسانيات العامة لأحمد قدور (ط.٢٠٠٦، جامعة حلب)، ص ٢٩-٣٠، وقارن بالقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تأليف ديكرو وسشايفر، ترجمة منذر عيّاشي، جامعة البحرين، ٢٠٠٣م.

مع بعض. (ص٢١٢). وتقف المؤلّفة عند المبادئ التي اقترحها «بول جرايس» (Paul Grice) للدلالة على التعاون الذي يتأسّس عليه السلوك الإنساني في الحوار، وهي مبادئ الكميّة، والنوعية، والمناسبة، وطريقة العرض. ويمكن تلخيص مبادئ جرايس تلخيصًا يجمعها في مبدأ واحد فقط، وهو «كن متعاونًا»، وهو مبدأ يمثّل مَجلًى من مجالِي ميل البشر الفطري إلى مساعدة بعضهم لبعض. وتدرس المؤلفة كذلك الأحداث الكلامية. ففي بعض الأحيان تمثّل الألفاظ التي نتفوّه بها بديلًا كلاميًّا عن بعض الأحداث، ويتجلّى ذلك في الأوامر. ويتجلّى الحدث الكلامي غير المباشر حين يستعمل أحدنا حدثًا كلاميًّا بدلًا من آخر، كأن نستعمل سؤالًا بدلًا من الأمر المباشر. وتدرس المؤلفة تحليل الخطاب، والحوار، والتأدّب حين نبتعد عن انتقاد الآخرين، وفرض أنفسنا عليهم. (ص٢١٢-٢٢٨)، وفي قسم اللغة والمجتمع عرّفت المؤلفة بإيجاز باللسانيات الاجتماعية ومهمّاتها، ولا سيّما دراسة التنوّع اللغوي واللهجات والازدواجية اللغوية، وبيان أثر المجتمع في كلّ ما تقدّم؛ وفرّقت بين اللهجة واللكنة، وبين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، ودرست التنوّع الفونولوجي في الإنكليزية البريطانية، كما درست العلاقة بين اللغة ونوع الجنس (ذكر أو أنثى). ولاحظت أنه في السنوات الأخيرة في بريطانيا لم تعد الفروق كبيرة بين كلام الرجال وكلام النساء، وخاصة الموظّفات منهنّ، بل أخذت في التلاشي. ووقفت عند تعدّد اللغات، واللغات (المزيج أو الخليط) (pidgin) التي قد تتحوّل إلى شكل آخر يدعى بـ (Creoles). وفور تحوّل اللغة من نوع الخليط إلى لغة من نوع (كريول) يجنح نظام هذه الأخيرة إلى التطوّر سريعًا، فتزداد طلاقة الحديث بها، وتغدو التراكيب أكثر تعقيدًا، وتُبتكر مفردات جديدة (ص٢٣١- ٢٦٢). وفي قسم تالٍ تقف المؤلّفة عند مسائلَ منَ

اللسانيات النفسية، وتلخص القول في بعض الجهود المبذولة في ثلاثة موضوعات أساسية، هي: كيفية اكتساب الإنسان لِلّغة، وكيفية فهم الإنسان لها، وكيفية إنتاج الإنسان للكلام. وترى أنه ثار جدال بين علماء اللسانيات حول ما يسمّى «الاحتواء في مقابل المعالجة»، أي: هل يتميّز الأطفال خلقيًّا باحتواء مِخاخِهم على معلومات لغوية، أم أنّهم يمثلون مخلوقاتٍ ذكيةً نجحت في معالجة البيانات اللغوية، وحلّ أُحجياتها؟ وتفصّل الحديث عن لغة الطفل، واختلافها عن لغة البالغين. وتعرض لاضطرابات الكلام، وتشير إلى العلاقة بين اللغة والمخ، وتعيين مراكز اللغة بالمخ على يد الجرّاح الفرنسي «بروكا» (Broca)، والطبيب الألماني «فيرنيك» (Wernick)، وأثر تلف هذه المراكز في مشكلات النطق والفهم، أو ما يُدعى بالحبسة (Aphasia)(٤). وتعدّ حبسة «فقدان الصحة النحوية» أشهرَ أنواع الحبسة؛ وهي تقابل حبسة أخرى أقل منها ذيوعًا، تعرف بـ«حبسة الطلاقة». وعامة يكثر أن يكابد المصابون في الجزء الأمامي من المخ صعوبة في إنتاج الكلام (أيِ: النطق)، وأن يجد المصابون في الجزء الخلفي منه صعوبة في فهم ما يقال لهم. وتبقى تفصيلات أخرى وإرشادات علاجية لدى فرع آخر من اللسانيات التطبيقية، كنا أشرنا إليه فيما تقدّم، وهو اختصاص أمراض الكلام. (ص٢٦٥- ٢٩٠).

الأسلوبية:

وفي جزء تالٍ، وهو الأخير في الدوائر الخارجية تتناول المؤلّفة موضوع الأسلوب وعلم الأسلوب (أيِ: الأسلوبية)؛ وتعرض للتحليل اللغوي لِلّغة الأدبية، ولا سيّما اللغة الشعرية، كما تعرض للمجاز، وتلاحظ

(٤) انظر: أساسيات علم الكلام لبوردن وهاريس، ترجمة محيي الدين حميدي، ص١٠٤- ١١٣، وكان اكتشاف بروكا عام ١٨٦١، واكتشاف فيرنكة عام ١٨٧٤م.

أنّ الاستعارات الجيّدة تتميّز بالجمع بين الجدّة ومناسبة مقتضى الحال، فهي تدهش القارئ، لكنها بعيدة عن الإفراط في الإغراب. وتشير المؤلفة إلى التكرار والقافية والوزن الشعري (Metre). وتقارن بين هيكلية القصيدة، والخبر الصحفي؛ وتعرض لِلغة الإعلانات، وتلاحظ أنّ إحداث التأثير المنشود من الإعلان يتطلّب الاختصار، واستعمال الألفاظ المتجانسة لفظًا، المتباينة معنًى، واستعمال الأفعال في صيغة الطلب. والسياسيون عامة بارعون في إقناع الناس بإعلاناتهم المدروسة تمامًا، التي تجذب الأنظار، وتؤثّر في العقول؛ ولا يدرك الناس ما تنطوي عليه هذه الإعلانات من حيل لغوية وسياسيّة. (ص٢٩٣- ٣١٥).

القسم الرابع: التغيّرات والمقارنات:

وفي القسم الرابع من الكتاب تدرس المؤلفة التغيّرات والمقارنات، وهما موضوعان متفرّعان من المنهجين التاريخي والمقارن. وعُنيتِ المؤلفة بدراسة الطريقة التي تتغيّر بها اللغة، والأسباب التي تقف وراء هذا التغيّر، ومناهج علماء اللسانيات في درس ذلك؛ ولاحظتِ المؤلّفة أنّ اللغات الإنسانية تخضع للتغيّر المستمرّ في أصواتها، وتراكيبها، ومعاني ألفاظها. ولا يفطن أهل اللغة غالبًا إلى هذا التغير التدريجي؛ لأنّ أصوات اللغة وتراكيبها خاصة تعطي انطباعًا ظاهريًّا بأنها ثابتة لم تتغيّر. على حين أنّ نظرة إلى لغة «تشوسر» (Chaucer) (ت نحو ١٤٠٠م)، و«شكسبير» (ت١٦١٦م) تظهر أنّ اللغة الإنكليزية قد تغيّرت تغيّرًا كثيرًا في زمان قصير نسبيًّا؛ وأنّ الإنكليزية المعاصرة شرعت في التبدّل. والمؤلفة تجري هنا مجرى جمهرة اللسانيين الذين يتقبّلون أيّ تغيير يحدث في اللغة، ولا يضعون معايير للصواب والخطأ، إذ تركوا ذلك للمعلّمين. وتبحث المؤلّفة الطريقة التي تتغيّر بها اللغات، وطرق انتشار التغيّر، وأسباب التغيّر

جملة. ويسلّم اللسانيون – كما ترى – بأنّ التغيّر اللغوي لا يقع على نحو عشوائي؛ لعدة أسباب: منها ما نلاحظه من حصول ضروب مماثلة من التغيّر في كلّ أنحاء العالم، بلغاته المختلفة، ومنها أنّ أيًّا من ضروب هذا التغيّر لم يُفضِ إلى فقدان اللغة لقوالبها الأساسية التي تنتظم مكوّناتها المختلفة. ولمّا كان التغيّر اللغوي لا يُنجَزُ سريعًا، بل يستغرق أمدًا طويلًا، أُحتيج إلى دراسة الطريقة التي تغيّرت وَفقها اللغات الإنسانية عبر القرون. ولذلك يوسّع علماء اللسانيات التاريخية مجال معارفهم، بإعادة تشكيل المراحل التي مرّت بها بعض اللغات التي لا توفّر لها وثائق مكتوبة (ص٣٢١-٣٣٨).

اللسانيات المقارنة والتقابلية:

ثمّ تعرض المؤلّفة للمقارنة بين اللغات، وترى أنّ اللسانيات المقارنة فرع من اللسانيات التاريخية. والمنهج المقارن يدرس ظاهرتين لغويتين تنتميان إلى فرع واحد أو أسرة لغوية واحدة، للوقوف على وجوه التشابه، وبيان صلات القرابة. وقد أنتج هذا المنهج تصنيفًا علميًّا للأسر اللغوية في العالم، ووقف على أوجه الشبه بين اللغات عامة. ويكاد يكون البحث عن أوجه التشابه بين اللغات محلّ اهتمام جميع علماء اللسانيات تقريبًا؛ لأنّ البحث عن الكلّيات اللغوية يمثّل واحدًا من أبرز مهمّات الدرس اللساني. وشُغِلَ علماء المقارنات بإعادة تشكيل اللغة الأمّ؛ والتحقّق من أنّ الصورة التي انتهى إليها البحث يمكن أن تمثّل لغةً أمًّا لعدد من اللغات في ضوء معرفتنا بعموم اللغات الإنسانية. وليس من الضرورة أن تكلّل جهود اللسانيين في هذا المجال بالنجاح، لأسباب متعدّدة، منها صعوبة التحقّق من النطق الفعلي للغة الأمّ. ومنها أنّ من الصعوبة وجود لغة تتألّف من بنية موحّدة متجانسة، إذ تتوزّعها تنوّعات لهجية مختلفة تؤثّر في سلامة المنهج،

ونتائجه المرجوّة. والخلاصة أنّ عمليّات إعادة التشكيل هذه لا تتجاوز كونها تخمينات. ولا يمتلك أحدنا الآن تلك الثقة التي امتلكها بعض علماء القرن التاسع عشر حين حاول إعادة هذا التشكيل بالكثير من الحماسة. ويمكن أن يقال عن موضوع الكليّات اللغوية أيضًا ما يشبه ذلك، إذ ثبت أن ثمة صعوباتٍ في تعيين الكلّيات «المطلقة»، أيِ: السمات اللغوية التي تتقاسمها كلّ اللغات. وقدِ انتهى المطاف بالذين حاولوا تَعداد تلك الكليات المطلقة إلى تقرير مقولات مجملة مبهمة. وتعرض المؤلفة لمعايير تصنيف اللغات من الوجهة الصرفية والوجهة النحوية (أي: ما دعته بمعيار ترتيب الكلمات داخل الجمل). وسبق للمؤلفة أن أشارت في مطلع هذا القسم إلى اللسانيات التقابلية (Contrastive)، وهو فرع لساني يهتمّ بمواطن الاختلاف بين اللغات. وينهض بهذا الضرب من الدرس -في المقام الأول- اللسانيون التطبيقيون (Applied linguists)، وهو الوصف الذي يوسم به اللسانيون المعنيّون بتطبيق مبادئ اللسانيات في مجال تعليم اللغة. على أنّ ما ذكرته المؤلّفة ينطبق على الذين يتعاطَون أيّ فرع من فروع اللسانيات التطبيقية كذلك.(ص٣٤١- ٣٦٢).

وخصّصت المؤلفة جزءًا خاصًّا تتبّعت فيه المواقف المختلفة إزاء تغيّر اللغة. وناقشت في هذا الجزء وجهة نظر الذين يقلقهم حال اللغة، أي: أولئك الذين يخشَون منِ انحطاط اللغة الإنكليزية؛ ثمّ ذكرتِ الأسباب التي تفضي إلى ظهور هذا القلق، وأوضحت فكرة اللغة الفصحى (standard language). وترى المؤلفة أنّه لا يخلو زمان من أولئك الذين يقلقهم حال اللغة. فمنذ «صمويل جونسون» (S. Johnson) (ت١٧٨٤م) في القرن الثامن عشر تقرّر أنّ للغات ميلًا طبيعيًّا للتدهور، ولا بدّ من وقف هذا التدهور

«المزعوم». وفي القرن نفسه شكا «روبرت لوث» (R. Lowth) عام ١٧٦٢م من أنّ أفضل الكتّاب قد أذنبوا بالوقوع في أخطاءٍ واضحة تتعلّق بقواعد اللغة. لقد كان «لوث» واحدًا من ذوي النيّات الطيّبة، أقلقهم حال اللغة الإنكليزية، فشرعوا يخترعون من أنفسهم قواعد غريبة لهذه اللغة. وقد تحوّلت بعض هذه القواعد إلى بقايا متحجّرة، في كتب القواعد التي يدرسها التلاميذ بالمدارس. وهناك دوافع مختلفة لتلك المواقف الرافضة لتطوّر اللغة الإنكليزية، منها دوافع دينية. فثمة وجهة نظر ترى أن الله تعالى حين خلق اللغاتِ الإنسانيةَ خلقها على مستوًى واحد منَ المزايا، بيد أنّ بعض هذه اللغات قدِ انحطّ بمرور الزمن عن ذلك المستوى الأول. وترى المؤلفة أنّ مفهوم الفصحى (Standard) يمتاز بقدر من الغموض، وهي عامة لغة المتعلّمين؛ وعلى ذلك شاع قول «هنري وايلد» (ت١٩٤٥م) إنّ اللغة الإنكليزية الفصحى يتكلّمها أناس ذوو قدر متماثل من التعليم والتثقيف في كلّ أنحاء القطر، أي: (إنكلترا). (ص٣٧٠). وتعرض المؤلفة للإنكليزية غير الفصحى، وترى أنها تنوّعات للإنكليزية لها قدر متساوٍ من الصحّة، ولكنها ربّما تتفاوت في مدى مناسبتها لمقامات الكلام المختلفة. ونذكّر بموقف المؤلفة الوصفي من درس اللغة، وعدم الاعتداد بمعايير مفروضة عليها. (ص٣٦٥-٣٧٢).

القسم الخامس: نحوَ نَحْوٍ كلّيٍّ:

وفي القسم الخامس من الكتاب تدرس المؤلفة الاتجاه (نحوَ نحْوٍ كلّي) على أساس أنّ من يفهم نحو لغة من اللغات يستطيع أن يفهم كذلك نحو اللغات الأخرى، إذا كنّا نقصد بالنحو سماتِهِ الأساسيةَ، لا تفاصيلَهُ الدقيقة. وتَتَّبِع المؤلفة جهود اللساني الشهير «ناعوم تشومسكي» (N. Chomsky)

(ولد عام ١٩٢٨ وما يزال حيًّا)[٥]؛ وترى أنّ تشومسكي استهلّ عصر اللسانيات التوليدية التي تُعنَى بالبحث في القواعد الباطنية الأساسية التي تقوم عليها ظاهرة اللغة الإنسانية، ولا تُعنَى بالبحث في المنطوقات الفعلية التي تجري على الألسن في حدّ ذاتها. وقد أحدث كتاب تشومسكي الصغير «البنى النحوية»، الصادر عام ١٩٥٧م ثورة في اللسانيات. وطرح تشومسكي نموذج «النحو التحويلي» لمعالجة بنية اللغة بديلًا من النماذج الأخرى التي طرحها سابقون أو معاصرون له. ويشتمل هذا النحو التحويلي على مستويين للبنية التركيبية: مستوى البنية العميقة، ومستوى البنية السطحية،

(٥) ولد تشومسكي في فيلادلفيا بالولايات المتحدة، كان والده عالمًا باللغة العبرية. درس في جامعة بنسيلفانيا على يد هاريس، واهتم بالرياضيات والمنطق، وبعد حصوله على الدكتوراه انضمّ إلى معهد ماستشوتس للتكنولوجيا، وكان في البداية معلّمًا للغة الألمانية واللغة الفرنسية، ومنذ عام ١٩٦١م صار «أستاذًا» في المعهد نفسه. جمعت بعض أعماله في ستة مجلدات مختصرة، وأهمّها الأبنية النحوية ١٩٥٧م، وإصدارات معاصرة في النظرية اللغوية ١٩٦٤م، وجوانب النظرية النحوية ١٩٦٥م، وموضوعات في نظرية النحو التوليدي ١٩٦٦م، وعلم اللغة الديكارتي ١٩٦٦م، واللغة والعقل ١٩٦٨م. ومنذ النصف الثاني من الستينيات انحاز تشومسكي سياسيًّا بقوّة إلى الحركة المناهضة للحرب في فيتنام وغيرها من حروب أمريكا في لاوس والفيلبين، وفي الخليج، وهاجم الأفكار الصهيونية هجومًا صريحًا في أكثر من موضع، وما يزال ينشط في مجال السياسة الدولية. وأفاد تشومسكي في أحد لقاءاته الصحفيّة أنّه درس الآجرّومية لابن آجرّوم (ت ٧٢٣هـ)، وهي متن نحوي شهير، مع الأستاذ فرانز روزنتال، وأنّه اطلع على النحو في (اللغات الساميّة) التي اهتمّ بها فترة من حياته، كما ذكر أنّه كان مهتمًّا بالنحو العربي والعبري. انظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) - المبادئ والأعلام لميشال زكريا، ص٢٦٠ وما يليها؛ وعلم اللغة في القرن العشرين لجورج مونان، ترجمة نجيب غزاوي، ص١٩٣ وما يليها، ومناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي لبريجيته بارتشت، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، ص ٢٦٣ وما يليها، ومجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتيّة، الجزائر، العدد (٦) لعام ١٩٨٢، ص ٧٢.

تربط بينهما قواعد أو عمليات تحويلية. وقدّم تشومسكي حججًا أقنعت كثيرًا من الدارسين بما اقترحه. ثم قدّم تصوّرَهُ الثانيَ المعدّل بالنظرة النموذجية (Standard Theory). ونجد هنا أنّ كلّ قاعدةٍ تحويلية قدِ انتظمت شقّين: الأول: التحليل التركيبي، والثاني: التغيير التركيبي. ويمكن للقواعد التحويلية الأخيرة أن تتصرّف في مكوّنات الجمل على أنحاءٍ مختلفة، فتحرّك مكوّنات عن مواضعها تارة، وتضيف مكوّنات، أو تحذفها تاراتٍ أخرى. وتشمل النظرية النموذجية للنحو التحويلي أربعًا وعشرين قاعدة. وكلّ قاعدة تستأثر ببنية تركيبية بعينها تطبّق عليها تحريكًا أو حذفًا أو إضافة كما تقدّم. ومن غير الكافي التطرّق إلى بعض الأمثلة، إذ هي معروضة مفصّلة في الكتاب. وتخلص المؤلفة إلى أنّ بعض اللسانيين ممّن أفرطوا في الثقة بأنفسهم ظنوا أننا سوف نستطيع إن عاجلًا أو آجلًا أن نضع (قائمة) كاملة بالقواعد التحويلية في اللغة الإنكليزية، مع تفاصيل وافية بالطريقة التي اشتغلت بها هذه القواعد. ولكنّ هذا الظنّ الطموح لم يتحقّق للأسف قطّ. (ص٣٦٥-٤٠٠).

مشكلات القواعد التحويلية:

وفي قسم جزئي تالٍ تعرض المؤلفة لمشكلات في مواجهة القواعد التحويلية. وقد تمثّلت أوضح المشكلات التي جابهتِ القواعد التحويلية، كما جسّدتها النظرية النموذجية عام ١٩٦٥م، في أنّ هذه القواعد قد بدت، وكأنها عصًا سحرية تستطيع أن تحوّل أيّ بنية عميقة إلى أيّ نوع من البنى السطحية، بأيّ وسيلة كانت. ولا ريب في أنّ هذه المظنّة قد كانت ضربًا من العبث؛ إذ ثمة حاجة إلى وضع قيود على عمل تلك القواعد في بنية اللغة. أهمّها الحفاظ على المعنى. على أنّ هذا القيد أخفق بعد أن ثبت يقينًا أنّ

عددًا من تلك القواعد قد غيّر المعنى. وحاول بعض اللسانيين الآخرين علاج تلك المشكلة بالقول: إنّ هناك حالات استثنائية بعينها هي التي يتغيّر فيها المعنى. وكانت المشكلة الثانية للقواعد التحويلية بعد مشكلة تغيير المعنى أنّ هذه القواعد كانت بالغة الكثرة والتنوّع. أمّا المشكلة الثّالثة فكانت تتجلّى في أنّ بعض القواعد ينطبق على حالات قليلة بعينها، في حين يُفترض في القاعدة، أيّ قاعدة أن تتّسم بقدر كبير منَ الاطّراد، وأن تنتظم عددًا وافرًا منَ الجزئيات لدى تطبيقها، ممّا يسوّغ النظر إليها على أنّها حقًّا «قاعدة». وترتّب على ما سبق اختصار القواعد التحويلية إلى قاعدة تحويلية واحدة فقط، والاستغناء عمّا عداها. (٤٠٣-٤٢١).

وفي قسم فرعي آخَرَ تعزم المؤلفة على العودة إلى الأساسيات ضمن العرض التفصيلي لنظريات «تشومسكي» المتطوّرة؛ فقد تميّز نحو «تشومسكي» الذي اشتغل به في ثمانينيات القرن الماضي الذي أسماه «نظرية العمل والربط النحويين» بمباينته للنظرية النموذجية أشدّ التباين، ومقترحاته التي عرضها في تسعينيات القرن الماضي، وقد أسماها «برنامج الحدّ الأدنى» كانت أشدّ مباينة لهذه النظرية. بل لقد تخلّى «تشومسكي» في أحدث اجتهاداته عن القواعد التحويلية أصلًا. وقد تحوّل «تشومسكي» إلى الاهتمام بمشكلة القدرة على التعلّم اهتمامًا خاصًّا، وافترض أنّ الأطفال يولدون مزوّدين بنحو كلّي(Universal Grammar)، أي: بذخيرة معرفية أساسية بالسمات اللغوية المفتاحية. لكنّ هذه الذخيرة تحتاج إلى تكميل وتعزيز عبر مجموعة من الوسائط (Parmeters)، وهي الوسائط التي لا بدّ أنها ترسّخت بتأثير الخبرات اللغوية المتراكمة للأطفال. وأطلق على التصوّر السابق مصطلح «نموذج المبادئ والوسائط»، وسُمِّي فيما بعد

بنظرية العمل والربط النحويين. ويُعنى «العمل النحوي» بالنظر في الوحدات اللغوية التي كانت الكلمات الرئيسة للمكونات سببًا في ورودها. على حين يُعْنَى «الربط النحوي» بالنظر في تفسير الجمل التي تشتمل على مكوّنات يرتبط بعضها ببعض. وسُمِّيت رؤى تشومسكي السابقة ببرنامج الحدّ الأدنى (Minimalist Program)، لأنها قدِ اشتملت في ظنّه على المعالم الأساسية لبنية اللغة الإنسانية. (ص٤٢٣-٤٤٠). ويذكّرنا ما سبق بمفهوم «العامل» و«التعليق» لدى نحاتنا العباقرة.

وفي آخر هذا القسم من الكتاب يبرز سؤال هو: أين نحن الآن؟ فإذا كان تشومسكي قد عدل عن آرائه هذا العدول الحادّ، فما الذي يفعله اللسانيون الآن؟ لقد تابع كثير من اللسانيين «تشومسكي» متابعة حماسية مخلصة زهاء نصف قرن من الزمان، يدرسون كتبه، ويشتغلون في إطار معطياتها دونما كلل أو ملَل. وقد أحسّ كثير منهم بالخذلان حين عدل عن أفكاره هذا العدول الحادّ. إنّ هناك الآن اتجاهًا نحوَ نحوٍ أبسط ممّا سبق لدى تشومسكي؛ إذ يحاول بعض اللسانيين البرهنة على وجود مَلكة لغوية أقلّ تعقيدًا ممّا افترض بشأنها من قبل، وعلى أنّ هذه الملكة قدِ اندمجت في عمليتي «معالجة اللغة» و«اكتسابها»، وفي عملية التطوّر البيولوجي للإنسان اندماجًا كاملًا، ومناسبًا. ويشهد عصرنا - كما تقول المؤلفة - ظهور عدد من الكتب التي تحمل عنوان: اللسانيات المعرفية (Cognitive Linguistics)، وتحاول هذه الكتب جاهدة البرهنة على أنّ ثمة مبادئ «معرفية» عامة هي التي تدير منظومة اللغة، وتتحكّم فيها. (ص٤٤٢- ٤٤٤).

وتقدّم المؤلفة مجموعة من المصادر تحت عنوان: قراءات إضافية. وتضمّ هذه المجموعة عددًا متنوّعًا من الكتب يتميّز معظمها بالحداثة

النسبية، طبع الكثير منها في أرجاء العالم مطلع القرن الحالي (العقد الأول من القرن تحديدًا)، وترى أنّنا قد نجني قدرًا أكبر من الفائدة إذا بدأنا بالنظر في الكتب المؤلفة حديثًا، ثم رجعنا إلى نظيراتها المؤلفة قديمًا. ورتّبت المؤلفة المصادر المقترحة وفق أقسام الكتاب مع بعض الإيضاح الذي يدلّ على مضمون تلك المصادر. (ص٤٤٥-٤٦٥).

علم الأصوات:

ونصل مع المؤلفة إلى القسم الإضافي، وهو المعنيُّ بعلم الأصوات (Phonetics). وكنا أشرنا في مطلع هذه المراجعة إلى أنّ المؤلفة تبنّت رأيًا لعدد من اللسانيين الذين يُخرجون هذا العلم من دوائر اللسانيات، لأنه علم نطقي وفيزيائي وتجريبي بعيد الصلة باللغة. ولذلك جعلته المؤلفة ملحقًا بالكتاب؛ على حين تناولت في مطلع قسم الدوائر الداخلية ما يتصل بعلم الفونولوجيا (Phonology)، كما تقدّم. وعرضت المؤلفة لدراسة أصوات الكلام من الناحية النطقية فقط، وتركت الناحيتين السمعية والفيزيائية. وليس في هذا العرض أمثلة من لغات أخرى، إذ خصّصته لِلّغة الإنكليزية وحدها. ووقفت المؤلفة هنا على تقسيم الأصوات إلى صوامت - (أي: صحاح) -، وصوائت - (أي: علل وحركات) -، وذكرت معايير درس الصوامت القائمة على موضع النطق (المخرج)، والجهر والهمس، وطريقة النطق (الشدة والرخاوة وما بينهما)؛ ثم ذكرت مصطلحاتٍ صوتيةً شائعةً كمصطلح «الصفيري»[٦]، و«المائع»[٧]، .....

(٦) توصف الأصوات العربية السين والزاي والصاد وحدها بالصفيرية، إشارة الى الصفير الذي يصحب النطق بها، نظرًا لضيق منفذ خروج كلّ منهما. (المترجم).

(٧) يمثّل هذا المصطلح (liquid) صفة لعدد من الصوامت كاللام والميم والراء والنون، لما تتسم به هذه الأصوات من تدفق واتساع في منفذ الخروج، فلا يصحبها احتكاك كبير، ولذلك تُشبّه بالصوائت (المترجم بتصرف).

و«شبه الصائت»[٨]، و«الاستمراري غير الاحتكاكي»[٩]، و«الصوتين الأنفيين»[١٠]. ووقفت كذلك على صوائت اللغة الإنكليزية، وشرحت مواضعها في الفم واللسان، واستعملت الشكل الذي اخترعه دانييل جونز (ت١٩٦٧)، ومثّل عليه الصوائت المعيارية للأصوات العالمية. (ص٤٦٨- ٤٧٩).

خاتمة:

وهكذا استوفتِ المؤلفة الحديث عن معظم ما تختصّ به اللسانيات من نظريات، بطريقة شبه موسوعية. بل يمكن وصف هذا العمل العلمي الرصين بأنه موسوعة صغيرة لعلوم اللسان. وهناك تشابه بين هذا العمل، وعمل آخر هو الموسوعة اللغوية (An Encyclopaedia of Language) التي حرّرها الأستاذ «كولنج» (N. E. Collinge)، وترجمها الدكتوران محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان.[١١] ويبقى عمل الأستاذة إتشسن عملًا متماسكًا قريب

(٨) شبه الصائت وصف يستعمل للدلالة على الواو والياء غير الصائتين، وينطبق في العربية على الواو والياء المتحركتين، وعلى الساكنتين بعد فتح.

(٩) الصوت الاستمراري غير الاحتكاكي(approximant): هو الصوت الذي يقترب فيه عضو من أعضاء النطق من عضو آخر اقترابًا يضيّق المسافة بينهما، ولكن لا يحدث احتكاكًا مسموعًا، ويدعى بالصوت التقريبي، وينطبق هذا على نطق بعض الصوامت والصوائت. (المترجم بتصرّف).

(١٠) الصوتان الأنفيان هما الميم والنون، وهما في العربية كذلك، ويوصفان بأنهما أغنّان، من الغنّة. (nasale).

(١١) الموسوعة اللغوية، تحرير كولنج، ترجمة محيي الدين حميدي، وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٢١هـ. وتقع في ثلاثة أجزاء، ضمت بحوثًا لأساتذة مختصين في فروع اللسانيات. ففي الجزء (المجلد) الأول هناك درس للطبيعة الداخلية للغة، فدُرست الأصوات والفونولوجيا، والقواعد، ومعنى الكلمة، والسياق، والنصّ، والمحادثة، وأصناف اللغات. وفي الجزء الثاني دُرست مجالات اللغة الواسعة كالأمراض اللغوية، واللغويات الأنثروبولوجية، واللغة في المجتمع، وتعليم اللغة، واللغة والتربية، واللغة والأدب. وفي الجزء الثالث دُرست صناعة المعاجم، ولغة الإشارة، وتاريخ اللغويات، واللغة والجغرافية، ولغات العالم.

المتناول، إذ يجمع بين الشمول والإيجاز للمسائل الأساسية لهذا العلم الواسع، ولاتجاهات البحث المهمّة فيه، منذ نشأته في القرن التاسع عشر حتى العقد الأول من قرننا الحالي: الحادي والعشرين. ولا شكّ في مبلغ الفائدة التي يجنيها طلبة اللسانيات خاصة، والمثقفون المتطلعون إلى معرفة اللسانيات عامّةً، من خلال اطّلاعهم على هذا الكتاب. أما جهد المترجم الدكتور عبد الكريم محمد جبل فجدير بالتنويه؛ إذ بذل المستطاع لتقديم الكتاب المترجم بطريقة سهلة مفيدة بعيدة عن التعقيد، وحَرَص في ترجمته لهذا الكتاب على الضوابط العلمية الدقيقة، تعبيرًا ومصطلحًا وشرحًا، فسدّ نقصًا في المكتبة اللسانية المترجمة إلى العربية.

* * *

المصادر والمراجع

أ- **الكتب:**

- أساسيات علم الكلام لبوردن وهاريس، ترجمة محيي الدين حميدي، دار الشرق العربي، حلب وبيروت(د.ت).
- الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام لميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. ثانية ١٩٨٣م.
- علم اللغة في القرن العشرين لجورج مونان، ترجمة نجيب غزواي، وزارة التعليم العالي، دمشق ١٩٨٢م.
- القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، لديكرو وسشايفر، ترجمة منذر عيّاشي، جامعة البحرين ٢٠٠٣م.
- اللسانيات (مقدّمة إلى المقدّمات) لجين إتشسن، ترجمة وتعليق عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط. أولى ٢٠١٦م.

- مبادئ اللسانيات العامة لأحمد محمد قدّور، المطبوعات الجامعيّة بجامعة حلب، ط. أولى ٢٠٠٦م.
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، لبريجيته بارتشت، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط. أولى ٢٠٠٤م.
- الموسوعة اللغوية، تحرير كولنج، ترجمة محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود بالرياض، ط. أولى ١٤٢١هـ.

ب- الدّوريات:

- اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، العدد (٦) لعام ١٩٨٢م.

* * *

المحاضرات والمدارسات(*)

(*) **المدارسة**: هي المقابل العربي لكلمة (سيمِنار seminar) الأجنبية، وتعني بحثاً يقدمه أحد أعضاء المجمع، للتذاكر به ومناقشته في مجلس المجمع.

بين اللّغة واللَّهجة

أ. د. مازن المبارك(*)

اللهجة: اللسان (أيِ: اللغة) كما في تاج العروس. وفي الحديث النبوي: «ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

واللهجة: جَرْس الكلام، ويقال: فلان فصيح اللهجة؛ واللهجة هي لغته التي جُبل عليها واعتادها ونشأ عليها.

والجرْس: الصوت. والجرْس والتجرّس كالتكلّم، وجَرَس وتجرَّس: إذا تكلَّم بشيءٍ وتنغَّم، والجَرَس بالتحريك: الذي يعلَّق في عنق البعير. ا.هـ من التاج.

وكثيرًا ما نجد في كتب اللغة ومعجماتها ما يدلّ عندهم على ترادف الكلمتين، وهما اللغة واللهجة، يقولون: «وهي لغة تميم، أو لغة هذيل» أو «وهي لهجة ربيعة أو بَهراء».

ولم تكن الخلافات الصوتية عند العرب لتؤثر في وحدة اللغة، وإن كانت عندهم تؤثر في درجة الفصاحة. وقد نقل السيوطي في (المزهر) عن ثعلب قوله: «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكسكسة ربيعة، وكشكشة هوزان، وتضجُّع قيس، وعجرفية ضبّة». [المزهر ١/ ٢٨].

(*) ألقى الأستاذ الدكتور مازن المبارك عضو مجمع اللغة العربية بدمشق المحاضرة في قاعة مجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ٥/ ٧/ ٢٠٢٣م.

فالعنعنة: لفظ الهمزة عينًا. (أعن؛ أي: أأن).

والتلتلة: كسر التاء في الفعل المضارع (تِفعلون).

والكسكسة: إبدال كاف المؤنث عند الوقف سينًا (أبوسِ؛ أي: أبوكِ).

والكشكشة: إبدال كاف الخطاب للمؤنث شينًا (عيناشِ بدل عيناك، وجيدشِ بدل جيدُكِ).

والتضجُّع: الإمالة، والعجرفية: الجفاء في الكلام.

وهي أوصاف لأصوات الحروف تظهر في النطق عند التلفّظ بالكلمة.

ولقد عبّر الفراء بما يدلّ على أنهم يعبّرون عن اللهجة باللغة عندما قال: «كانت قريش تسمع في مواسم الحج والأسواق لهجاتٍ كثيرةً، فكانت تنتقي من (اللغات) ما تستحسنه، وتنفي ما تستقبحه من مستبشع (اللغات) وقبيح الألفاظ» [المزهر ١/ ١٣٣].

وأدلّ على ذلك أنّ غير لغويّ منهم سمّى كتابه: «اللغات» كالفرّاء والأصمعي وابن دريد. وليس اختلاف لغة عن لغة عندهم - أي: لهجة عن لهجة - سوى اختلاف صوتي يبدو في الإمالة، أو تخفيف الهمزة، أو إبدال حرف من حرف، أو حركة إعراب بغيرها.

أما المحدَثون فأكثرهم على أن اللغة أعمّ من اللهجة، وأن اللهجة ليست سوى الصفات الصوتية للغةٍ من اللغات في بيئة من البيئات؛ أي: أنهم قصروا معنى اللهجةِ ودلالتها على طريقة النطق؛ أي: على الصوت، وهي الدلالة التي عبَّر عنها المعجم بقوله: «اللهجة: هي الجرْس، أو هي جرس الكلام».

وخلاصة ذلك أنه إذا كانت لدينا لغة واحدة مشتركة في كلماتها ودلالاتها وأساليبها، وكانت تُلفظ بطرق مختلفة في بيئة تلك اللغة، وتتباين حروفها بصفاتها ومخارجها، قلنا: إن في تلك اللغة لهجاتٍ مختلفةً.

وأما إذا اختلطت الكلمات، ودخل في اللغة ما ليس منها، واختلفت الأساليب متنكّرةً لأصول تلك اللغة في أبنيتها وقواعدها، مما ولّد لغة جديدة هجينة في الألفاظ والأساليب، فلم يعد من الجائز أن نسمّيَ هذا الخليط الجديد (لهجةً)؛ لأنه أصبح في الحقيقة (لغةً) لا يقتصر الفرق فيها بين بيئاتها على الصفات الصوتية في النطق، بل تعدّاه وتجاوزه إلى البناء اللغوي كلّه، بأبنيته وصياغتها، وبتراكيبه وغرابتها، ومخالفته لصفات الحروف ومخارجها، بل وبمعاني كثير من الكلمات ودلالاتها. وهذا ما نراه اليوم في الفروق بين اللغة العربية وما يسمَّى خطأً (اللهجات العامّيّة)، لأنها لم تعد (لهجات)، بل هي في الواقع (لغات) هجينة فيها كثير من اللغات الدخيلة التي خالط أصحابُها العربَ في أقطارهم المختلفة، وفيها ما حُرِّف وشوِّه، وما خرج عن أصالته، وما اختلفت دلالته، وما فسد تركيبه.... فكيف نسمّيه لهجة؟! إن اللهجة في مثل الإمالة، أو تخفيف الهمزة، أو تفخيم الحرف، أو ترقيقه، أو غير ذلك من الحركات الصوتية... بل قد تصل إلى الاختلاف في دلالة كلمة من الكلمات بين لهجتين، ولكنها لا تتجاوز ذلك إلى ما نراه اليوم من الاختلافات بين الفصيح وعامّياتنا في الأقطار العربية.

وإذا أردنا توضيح ذلك بالمثل قلنا: إن ممثّلي الدول العربية في الجامعة العربية يتعاقبون على الكلام، ويتحدث كلّ منهم بلهجة قطره العربي، فتسمع لهجة الشاميّ والمغربي والجزائري والعراقي والسعودي واللبناني والأردني والخليجي، فلا يفوت أحدًا منهم ولا منّا كلمة يقولها واحد منهم، لأنهم جميعًا يقرؤون بياناتِهم باللغة العربية الواحدة على اختلاف لهجاتهم. وأما لو تكلم كل منهم بلغة قطره الدارجة التي يعرفها في قطره فلن نفهم الكثير مما يقولونه... ولقد جرّبت هذا بنفسي وخاطبت أهل

تلك الأقطار المختلفة، وأقسم أنني لم أفهم جملًا كثيرة قالها المتكلّم العراقي، ولا جملًا كثيرة جدًا قالها المتكلم التونسي... بل لقد وصل سوء التفاهم بيني وبين الأخ التونسي إلى أن قال لي: «يا أخي دعنا نتكلم الفرنسية لنتفاهم»؛ لأننا عجزنا عن التفاهم بالعامّية أو بالعامّيّتين! وكلنا نعلم أن في دول الخليج لغةً فيها مفردات إنكليزية كثيرة وفارسية وغيرها ينطق بها الناس وكأنها من مفردات لغتهم، وكذلك في العراق وغيرها من الأقطار العربية التي زرتها وسمعت من عاميّاتها كثيرًا مما لم أفهم معناه، أفنقول عن هذه اللغات: إنها لهجات، وهي ليست متباينة بالأصوات أو بلهجة النطق فقط؛ بل إن فيها الكثير من المفردات الدخيلة؟

إن اللهجات العربية في أقطار العرب تكاد تكون لغات غير العربية التي يعرفها العرب. ونحن نقبل اللهجات العربية بمعناها الصحيح المقتصر على الصفات الصوتية؛ لأنها أمر طبيعي لا يؤثر في وحدة اللغة، ولكننا لا نقبل المغالطة الخطيرة التي تجعل من غير العربيّة في ألفاظها وكلماتها ودلالاتها ما تعدّه لهجة، وهو في حقيقته لغة!

وفي ضوء ما سبق، وما تحدّد من مفهوم اللغة وكون اللهجة صفةً مقبولة وطبيعية في كل اللغات، نستطيع أن نتحدث عن العاميّات في بلادنا العربية على أنها أقرب إلى أن تكون (لغة) منها إلى كونها (لهجة) من لهجات لغتنا العربية الواحدة.

وإنه كلّما اشتدّ الشعور والشوق والرغبة إلى وحدة الأمة، يجب أن تشتدّ الرغبة إلى الأخذ بالعناصر الموحِّدة، وإلى نبذ كل ما يباعد أو يفرّق بين أقطار الوطن الواحد وشعوب الأمة الواحدة.

وإن من أهم عوامل توحيد الأمة توحيدَ اللغة؛ لأنها أقوى عوامل الوحدة

القومية، والتقارب الفكريّ، ووحدة الثقافة؛ وتوحيدُ اللغة لا يكون بتعداد اللغات، ولا يضرّه تعداد اللهجات؛ لذلك شوّه أعداء الأمة دلالات الكلمات، وأوهمونا أن عاميّاتنا لهجات، لنُبقِيَها، ولنقبل بها ولنشجّعها ولنكتب بها، ولنصنع لها المعاجم والموسوعات... والحق المبين أن ذلك كله خطأ مبين... وأنهم ألبسوا اللغات العاميّة ثوب اللهجات تمويهًا وتزويرًا وخداعًا!

ولا شك أن إتقان الأجانب اللغة الدارجة؛ أي: ما أتقنوه من لهجات، يجعلهم أكثر قدرة على الاختلاط الاجتماعي، وأكثر قدرة على التخفّي بالزيّ الذي يريدون، والعيش بطمأنينة وأمان، ومداخلة المواطنين في شؤونهم وعلاقاتهم وأفكارهم...

ولست أنسى ما كان يُطلَبُ إليّ، بل يُضغط به عليّ، حين كنت مديرًا لمدرسة تعليم الأجانب اللغة العربية، لأسمح بممارسة تعليم العربية السورية (أي: عاميّة أهل الشام)، وأجعل ذلك مقرّرًا دراسيًّا كغيره من المقرّرات!

لقد كنت أقول للملحقين الثقافيين الأجانب الذين كانوا يتناوبون في إثارة ذلك الموضوع: إننا نعلّم ما يستطيع المتعلّم به أن يقرأ في صحفنا ومجلّاتنا وفي كتب تراثنا وحضارتنا، ولو سافر إلى بلده، وأنتم تريدون أن يتعلّم ما يعيش به في بلدنا لسنتين أو ثلاث، ثم لا يفيد منه شيئًا إذا رجع إلى وطنه! إننا نحب أن يحمل معه لغةً يعيش بها مع العرب في كل أقطارهم وكل عصورهم... واثقين أن من تعلّم العربية أحبّها، ومن أحبَّها أحبّ الناطقين بها، كما يحبّكم منا من تعلّم لغتكم!

إن تمزيق اللغة إلى لغات تفريقٌ للناطقين بها إلى شعوب، وتمزيقُ وطنها إلى أوطان.

إن السماحَ لهذه (الفوضى) اللغوية التي يعيشها الوطن العربي اليوم

واختلاطَ الفصيح بالعاميّ والأجنبي والرقميّ وكل دخيل، لأمر عجيب! إنه يجعلنا ويجعل مجتمعنا الواحد مُجتمَعَينِ على الأقل: أحدهما نجده في جامعاتنا ومدارسنا ومجلّاتنا ومطبوعاتنا، والآخر تلقاه في بيوتنا وشوارعنا وأسواقنا ووسائل اتصالنا، بل في إعلامنا في كثير من الأحيان!

وإن انتشار العاميّات اليوم في الأقطار العربية يباعد بين شعوبها، وكلما نمت العاميّات وسيطرت تباعد العرب وتفرّقت شعوبهم كما تفرّقت الوحدة النقدية فيما بينهم، بين ليرة وجنيه وريال ودرهم ودينار! وكما تفرّقت أنظمة الحكم بين دولهم فأصبحت ملكية وإمارة وسلطنة وجمهورية... ويُخشَى أن تصبح لكل دولة لغتها، إذ لم يبقَ لهم من دليل على وحدتهم إلّا هذا اللسان!!

ومن الجدير بالذكر أن أعداء العرب يفرحهم هذا التفرّق اللساني ويُسرّون به ويسعَون إليه، وقد كتب دبلوماسي بريطاني عمل في البلاد العربية مقالةً في مجلة الأيكونومست الإنكليزية ترجمها إلى العربية الأستاذ عبد الله الرخيص عضو مجلس التنمية في جامعة هارفارد، ونشرها في ٢٩/ ٩/ ٢٠٢٢، وقد جاء فيها: «تُعدّ العربية على الورق من أكثر اللغات انتشارًا في العالم، ويتحدّث بها أكثر من ٤٠٠ مليون مسلم. لكن العرب اليوم يتحدثون عددًا كبيرًا من اللهجات، واللغة العربية تتآكل وتذوب في لهجات هجينة، مما يمهد لانتشار اللغة الإنكليزية، والعربية قد تكون لغة ميتة في غضون قرن من الزمان. والحروب الأهلية في العراق وسورية أجبرت الملايين على ترك التعلّم، وخاصة في بغداد ودمشق اللتين كانتا قلعة حصينة للغة العربية، ولم يستطيعوا أن يحافظوا على لغتهم كما حافظ على لغته كل من اليابان والصين. إن كثيرًا من الخليجيين يتكلمون الإنكليزية، وأكثر الذين يتوظفون في إدارات الدولة في البحرين وغيرها لا يتقنون العربية! والسعودية أصبحت تعلّم الإنكليزية بدءًا من

السنة الأولى في المدارس الابتدائية، وأكثر الأغنياء يسجلون أبناءهم في مدارس تعلم بالإنكليزية.

لقد تسرّبت مجموعات اللهجات العامية إلى الدوائر الحكومية والإعلام ودور النشر، ويزداد نشر كتب بهذه اللهجات، وكذلك الإعلانات. إن ناديا كامل فازت بجائزة كبرى في مصر سنة ٢٠١٩م عن رواية وضعتها باللهجة المصرية الهجينة!

وكذلك أصبحت أكثر وسائل التواصل الاجتماعي بلهجات مكتوبة بحروف أجنبية!».

ولعل من الجدير بالذكر هنا أن بعض زملائنا العرب يرون فيما يسمعون منا وفيما يقرؤون مبالغة في أمرٍ أبسط بل أهون من أن نقف عنده، قائلين: إن كل اللغات فيه الفصيح أو الصحيح والعامّي، وإنهما لغتان تتعايشان، وأنْ لا ضرر في ذلك، ولا خطر على الفصيح من العاميّ!

وأرى أن حسن الظنّ هنا ورطة، بل غفلة، لأن الذين يقولون ذلك أغمضوا عيونهم عن أن الدول التي يتحدثون عنها لا تسمح لعامّيّاتها أن تظهر مكتوبة على الإطلاق، ولا تسمح لإعلامها بنشر شيء حتى في الإعلانات إذا كان مخالفًا للصحيح من لغتهم...

وهل يعلم المسالمون المتسامحون مع العامّيات العربية أن أولئك الذين يتحدثون عنهم من الغربيّين يقفون من عامّيّاتنا موقفًا مضادًّا تمامًا لمواقفهم من لغاتهم؟! إنهم بقدر حرصهم على سلامة فصيحهم يدعون إلى تشجيع عاميّاتنا، وينشئون المعاهد في بلادهم لتعليمها كمعهد تعليم الأمازيغية في باريز، ومعهد شملان في لبنان، وغيرهما، وأنهم يستثمرون غفلتنا ويستغلّون طلابنا وموفدينا والدارسين عندهم ويشجعونهم على

وضع المؤلفات في هذه العامّيّات وصولًا إلى نقلها من (لهجات) إلى كونها (لغات) ذات قواعد وأصول، وإنهم يوزعون الدارسين من العرب ليكتب كلّ منهم عن لغة منطقة يعرفها، لتكون مؤلفاتهم مراجع للمستشرقين والدارسين منهم، ولتكون للعرب بعد زمان لغات تتوزع على أقطارهم كما توزّعت لغة أوربا القديمة على أقطارها، فكانت لغاتٌ لا يجمعها جامعة!!

وإن لم يكن ذلك كذلك، فهل يمكن الاعتقاد أن الرسائل التي وضعها الدارسون العرب تفيدنا أو تفيد العلم كما تفيد أعداءنا من باحثين ودارسين ومستشرقين ومتجسّسين؟ ماذا يفيد العلم من جهود السادة الذين وضعوا الكتب الآتية؟! ولكن كيف نلوم أمثال هؤلاء الكتّاب، وهم يرون في دوَلِهم من ينشر معاجم بالعامية، ومنهم من يضع للعامّية موسوعة تجمعها وتفسّرها وتسهّل انتشارها... وتعلّمها لمن لا يعرفها؟

وهذه أسماء رسائل جامعية حصل مؤلّفوها على درجات الماجستير أو الدكتوراه أو كلتيهما، أعرضها لبيان مدى الجهود المبذولة في خدمة المخطّطين لتمزيق العرب بحجّة الدراسة العلمية للّغة! ولنرى كيف يضع أصحاب العقول الاستعمارية أو المعادية للعرب برامجهم، ويسخّرون العلم بمعاهده وجامعاته والمستشرقين والأساتذة المشرفين على الرسائل الجامعية عندهم لتنفيذ مخطّطاتهم. إن هذه الرسائل لن توضع في المكتبات على أنها كتب للعلم فحسب، ولكنها قبل ذلك ترسل إلى الجهات الاستخبارية لتحليلها وتدريب العملاء عليها، وبذلك يفيدون منها علميًّا بنشرها ومزاحمة العربية بها، وسياسيًّا بتدريب جواسيسهم على إتقان الحديث بها للاندماج في المجتمعات المتكلّمة بها:

١- لقد أخرجت شركات النفط، كشركة البترول العربية، وشركة

آرامكو، وشركة نفط الكويت، وغيرها عددًا من الكتب والرسائل باللهجات المحلّية لحاجة موظفيها، كما ادّعت.

٢- وضع العشرات من أبناء العرب رسائلهم التي نالوا بها درجات الماجستير أو الدكتوراه، أو كلتيهما في موضوعات تخدم غايات لم تعد خافية على أحد، وكلّها أخذت من أعمارهم وجهودهم ما يفيد أعداء العرب أضعاف ما أفادوا به العلم، إن كانوا أفادوه بشيء!

١ - دكتوراه من جامعة لندن عنوانها «لهجة القاهرة» د. إبراهيم أنيس.

٢ و٣ -ماجستير ثم دكتوراه، إحداهما «لهجة الكرنك»، والثانية «لهجة عدن» د. تمام حسّان.

٤ و٥ - ماجستير ثم دكتوراه من جامعة لندن، إحداهما «لهجة الجعفرية»، والثانية «لهجة النوبة» د. عبد الرحمن أيوب.

٦ - دكتوراه من جامعة لندن عنوانها «دراسة نحوية للهجة اللبنانية» د. كمال بشر.

٧ - دكتوراه من ألمانيا عنوانها «لهجة الفلاحين في محافظة الشرقية» د. فهمي أبو الفضل.

٨ - دكتوراه بعنوان «من لهجات الجزيرة العربية في السودان» د. عبد الحميد طلب.

٩ - ماجستير بعنوان «لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط» د. عبد العزيز مطر.

١٠ - رسالة من جامعة لندن بعنوان «لهجة الرياض» د. سعيد بدوي.

١١ - رسالة من جامعة لندن بعنوان «لهجة غامد وزهران» د. عبد الله الندوي.

١٢ - أبحاث عن لهجة حائل، دكتوراه من لندن د. بيتر عبود.

١٣ – رسائل في العربية العامّية. محمد عياد الطنطاوي، مدرّس في جامعات روسيا.

١٤ – اللغة العربية العامّية في مصر والشام، لميخائيل صباغ، مدرّس في باريز.

١٥ – لهجة كفر عبدا في لبنان، لميخائيل فغالي، مدرّس في جامعة بوردو بفرنسا.

وشارك في هذه (المجهودات العلمية!) مستشرقون وعلماءُ من أمم الغرب والشرق، فوضعوا كتبًا في اللهجات العربيّة، منها:

- كتاب عنوانه «دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية» لجونستون.
- وكتب عن لهجات مصر وعامّيتها كل من الإيطالي نالليno، والروسي نفرونسكي، والألماني ليتمان، والإنكليزي ميتشل، والأمريكي هاريل.
- وكتب الإيطالي كانتينو «لهجة تدمر» و«لهجة دمشق» و«لهجة حوران».
- وكتب ماكس مولر «لهجة القدس».
- وكتب مايستر «لهجة بغداد».
- وكتب الروسي نيقولافتش برازين «لهجات الجزيرة وما بين النهرين».
- وكتب صاموئيل ماتسون «دروس في اللهجة العامية ببيروت».
- وكتب فيشر الألماني «لهجة المغرب الأقصى».
- وكتب لويس جاك برنار «لهجة الجزائر».
- وكتب هانز شتومه «النحو والصرف في اللهجة التونسية» و«في اللهجة الطرابلسية والمغربية، وحضرموت».
- ووضع برجستراسر «الأطلس اللغوي للهجات السورية وفلسطين»

وذلك ليبيّن الحدود الجغرافية فيما بينها، ثم ينظر في الفروق التي تميّز كل لهجة، أي: كلّ منطقة، وليرى بعد ذلك: هل بقيت مدينة أو قرية لم تشملها الدراسات، ولم يقفوا عليها؟!

إنه عمل منهجيّ منظّم، يقومون به منذ عشرات العقود من السنين، ويسخّرون له علماءهم وجامعاتهم ومراكزهم الثقافية، ومَن استطاعوا خداعه أو إقناعه من الدارسين والطلاب العرب المبعوثين للدراسة والحصول على الشهادات العليا = ليصبّ كل ذلك بنتائجه في قنوات التوجيه السياسي عامةً، من أجل شعاراتهم وقنصليّاتهم وموظفيها، وقنوات المخابرات التجسّسية خاصةً لتوجيه من أتقنوا تلك اللهجات إلى مناطقها في بلاد العرب.

ولا شكّ أن الدّاعين إلى التكلّم بالعاميّة وباللّغات القطرية المحلّية، والمروّجين لها، إنما يقفون في وجه الشعور الذي تخلقه اللغة الواحدة في نفوس الناطقين بها من وحدة أو تطلّع إلى وحدة في الفكر وفي الثقافة وفي المصير المشترك، إنهم يصدّون عن استقطاب اللغة العربية الموحَّدة؛ لأنها الموحِّدة لشعوبها الناطقة بها.

لمَّا كان للغة الواحدة أثرها في وحدة الناطقين بها لسانيًّا وفكريًّا ووطنيًّا وقوميًّا وسياسيًّا، مما يجعلهم على تباعد أقطارهم كلًّا متراصًّا باسم (أمّة)، ووحدةً موحَّدة باسم دولة، وكان العرب يملكون هذا المؤهِّل لمثل هذه الوحدة الثقافية والفكرية والقومية من الخليج إلى المحيط = فقد كان على أعدائهم أن يسدّدوا السهامَ، سهام الغدر والمكر إلى الرَّابطة الجامعة لهم والموحِّدة لأقطارهم، والتي هي اللغة التي سعى الأعداء إلى أن يملكوا مثلها لتوحّدهم؛ فلما عجزوا عن إيجاد لغة (الإسبرنتو) لجؤوا إلى وحدة النقد بدل

وحدة اللسان، فاتخذوا من (اليورو) جامعًا يمثّل حضارتهم ونزعتهم المادّية... إنهم لم ينقموا على العرب إلّا أنهم إذا أدركوا حقيقة ما يوحّدهم لم يقف في وجه تقدّمهم لقيادة العالم حضاريًّا، ولتقدّمهم عالميًّا قوّة!

إنهم راحوا يوجهون سهامهم إلى كلّ ما يؤدي إلى وحدة العرب، ولمّا كانت اللغة من أقوى تلك الوسائل، كانت موضعَ طعنهم، فراشوا لها سهامًا لا عدَّ لها؛ منها ما يوهم بصعوبة قواعدها النحوية والإملائية، ومنها ما يحرّف دلالات الكثير من كلماتها، ونشر ذلك في جميع وسائل الإعلام، ومن أبرزها على المستوى الحكومي والشعبي إنشاء المدارس والمعاهد والمراكز الثقافية التي تعلّم اللغات ومنها العربيّة التي مزَّقوها بحسب لهجات أقطارها إلى مغربيّة ومشرقيّة، ثم مزَّقوا كلًّا منها بحسب أقطارها، ثم مزَّقوا الوطنيّة أو القطريّة إلى لهجات مدنها وقراها. ووضعوا لذلك البرامج التعليميّة، وأوهموا العالَم أنهم يقومون بدراسة الألسن في العالم دراسة علميّة، ويدرسون الأصوات دراسة مَخبريَّة... وخَدَعَ ذلك الكثيرين من المربّين والجامعيّين، وطغت على الدراسات اللغوية في جامعات الوطن العربي البرامج والمناهج التي تعنى بما تتصف به اللغات الإنسانية عامَّة على ما كان يدرّس في تلك الجامعات من صفات اللغة العربية وخصائصها وأسرارها تحت اسم «فقه اللغة» حتى ضاع هذا الاسم اليوم في معظم جامعاتنا ومعاهدنا العربية، إن لم أقل: فيها كلّها!

ونحن لا نرى مانعًا من أن تُدرَس اللغات كلها فيما يسمَّى (علم اللغة)، وهو يشمل كلّ ما تشترك فيه اللغات؛ لأنه علم اللغة العام الذي لا يخصّ لسانًا دون الآخر، وفيه إذا شاء علم اللغة المقارن، ولكن هذا كلّه لا يمكن أن يكون بدلًا عن علم «فقه اللغة» الخاصّ باللغة العربيّة. وكذلك بدعة

(اللسانيات والصوتيات)، وهي كلّها لا تغني عن «فقه اللغة» الذي يدخل دارسُه حرمَ اللغة العربية، والذي تاه اليوم وسط تلك المسمَّيات»!

وأبلغ الخطر في كل ما نرى أن أصحابه والقائمين به يلبسون ثياب العلماء، ويختفون وراء البحث العلمي كأسلافهم الذين صرفوا السنين من أعمارهم والكثير من جهودهم ليعدّوا الرسائل الجامعية لنيل درجات الماجستير والدكتوراه وفيما يحقق آمال الأعداء وطموحاتهم! وأنا لا أتَّهم أحدًا منهم، فالله أعلم بالسرائر، ولكني أتّهمهم بالغفلة... وأحكم على نتائج أعمالهم وما حقّقته وتحقّقه من فوائد علمية للغتهم العربية، ومن فوائد عملية لأعدائها وأعداء شعوبهم العربية ووحدتها.

ولقد كان من وسائل مزاحمة العربيّة وزحزحتها عن مواقعها في دور سيادتها في الوطن العربي، أن يضايقوها بكثرة الضرائر من محليّات عاميّات، ومن ضرائر أجنبيّات! ومما جدّ من وسائل أخرى ولغات شتّى، لا نسب لها، بعضها ملقّح بالإنكليزية أو بالأجنبيّة عمومًا، وبعضها تستبدل به الأرقام... حتى أصبحت وسائل الاتصال على الآلات الهاتفيّة الذكيّة غارقة في فوضى لغوية عجيبة!.

وإذا تركنا هذا الجانب المكشوف للسّامعين جميعًا، ووقفنا عند ما هو أبعد من ذلك، وعند ما يخطّط لنا وللغتنا في المجالات الرسمية، والإدارات الحكومية، والجامعات الأجنبيّة التي يتلهّف أبناؤنا للالتحاق بها، ونيل شرف الحصول على الشهادات والإجازات الجامعية منها = تبيّن لنا الوجه الحقيقي للمراد من خلط السُّمِّ بالدَّسم، وتسخير العلم لتمزيق الأمم!، وأدركنا أنها سياسة مخطَّط لها، ذات برامج وخطوات، تطبق في داخل أوطاننا وخارجها، وعرفنا كيف يُسخّر العلم لخدمة أهداف لا إنسانية ولا أخلاقية ولا علميّة؟!

فما زال أعداؤنا يسعَون جادّين في محاربة لساننا، وما زالوا حريصين أشدّ الحرص على ألسنتهم ألَّا تنحرف، وعلى لغاتهم ألّا تشوّه أو تزاحَم؛ فكل قوانينهم ولا سيما في ألمانيا وفرنسا تحرّم استعمال كلمة دخيلة على لغتهم، وتمنع المساس بسيادتها. وانظر إلى الفرق بيننا نحن العرب وبينهم في المواقف من اللغة القومية لكلٍ منّا:

١- إذا حدَّثت ألمانيًّا في الشارع عن الطريق مثلًا، وسألته بالفرنسية أو الإنكليزية فإنه لا يجيبك ولا يلتفت إليك!؛ وإذا سأل إنكليزيّ عربيًّا في بلادنا سؤالًا بعربيّةٍ مكسَّرة، بادر العربي إلى إجابته بإنكليزيّته الركيكة مفتخرًا بمعرفتها!

٢- لا يُسمح أن يظهر لافتة أو إعلان عامٌّ بغير لغتهم، وشوارعُنا وأسواقنا ممتلئة بغير لغتنا!

٣- حدّث د. عمر شخاشيرو - وقد كان رئيسًا لقسم اللغة الفرنسية في كلية الآداب بجامعة دمشق -: أنه حين نوقش في رسالته التي نال بها الدكتوراه في باريز، طلب أحد المناقشين أن يُؤجَّل منح الدرجة ثلاثة أشهر؛ لأن إحدى الحركات على أحد الحروف كتبت على عكس الجهة التي تصحّ فيها، على حين أن مناقشي الرسائل الجامعية عندنا يعدّد كل منهم عددًا غير قليل من الأخطاء اللغوية أو النحوية، ثم يتخرّج الطالب بدرجة جيدة!

٤- إنك في بلادهم تشعر بسيادة لغتهم شعورًا تعجب منه لشدّة ما يملأ عليهم نفوسهم، وأين ذلك في أقطارنا العربية التي يتحدّث أكثر القائمين فيها على الفنادق والأماكن السياحية بغير العربيّة تطوّعًا وتفاخرًا، وتمتلئ شوارعنا بالإعلانات واللافتات بغير لغتنا؟!

٥- إننا نسمع بعض ممثّلي الدول العربية يتحدثون في المحافل الدولية بغير العربيَّة، ولا تجد مثل ذلك عند ممثّلي دولهم أيًّا كانت منزلتهم، علمًا أن العربية إحدى اللغات المسموح باستخدامها في تلك المحافل. ولكن الفرق فرق في الشعور بالاعتزاز والكرامة والانتماء عندهم، وبما يخالف ذلك عند ممثّلينا!

وإنه لمن المؤسف أن تسمع من بعض العرب مَنْ يقول: «إن الفصحى كانت سببًا من أسباب هزيمة العرب»!، ومن يقول: «حروف العربيّة متنوّعة باهظة التكاليف فلنهجرها إلى الحرف اللاتيني»، ومن يقول: «العامية ألصق بالشارع، وأرحب للتعبير عن أحاسيس النفس».

ولا شك أن هؤلاء القائلين بذلك وأمثاله عَمُوا عن أسباب نهضة الغربيّين وصمّوا عن سماع أقوال حكمائهم! ألم يسمعوا علماء الغرب وفلاسفته؟

فلقد قال فخته: «اللغة تجعل الأمة الناطقة بها وحدةً متراصّة؛ لأنها الحقيقة الوحيدة التي تربط عالم الأجساد وعالم الأرواح».

وقال: «اللغة القومية وطن روحيّ يُؤوي من حُرم وطنَه على الأرض».

وأما قادة الثورة الفرنسية فقد أذاعوا في بياناتهم نداءً قالوا فيه: «أيها الفرنسيون: أتقنوا اللغة الواحدة، وحاربوا اللهجات المحليّة».

إنهم جميعًا يربطون اللغة بفكر الناطق وبروحه، ولا يرَون فيها مجرّد أصوات تعبّر عن أغراض! إن الذين يصرفون العناية في دراسة اللغة إلى الأصوات يجب ألّا ينسوا أن الصوت لا قيمة له إن لم يكن تعبيرًا عن الفكر، وأن اللغة فكرٌ يوجّه السلوك، بل إننا نتحدث إلى أنفسنا حين نفكّر!، وأن وحدة اللغة تؤدي إلى وحدة الفكر، وهذه تؤدي إلى وحدة السلوك والمواقف.

إن العربية الفصيحة هي الدليل الوحيد اليوم على وحدة أمّتنا، وهي رمز

هذه الوحدة التي لا تعرف السدود ولا الحدود، ولا تفرّق بين أقطارها باللهجات المحليّة.

لذلك كان علينا جميعًا أن نسعى إلى بقاء العربية الصحيحة السليمة المعبّرة عن الوحدة، لأنها واحدة موحَّدة وموحِّدة = سائدة في كل مجالات حياتنا الثقافية والاجتماعية والتواصلية والإعلامية.

نحن اليوم أمام واقع يفرض علينا أن نتفاعل بجدّ ونشاط مع التقنيات التعبيرية الجديدة، ورَفْدَها بما تحتاجه من إجراءات أو آليات النهوض والمتابعة، سواءٌ أكان ذلك في الوسائل التقنية الذكية الجديدة أم في الإسراع بوضع المصطلحات التي تُورَّد إلينا يوميًّا بكميات كبيرة. إننا في عصر التقنيات، والعصر الرّقْميّ، وعصر الترجمة الآلية... ونحن ندّعي أن العربية لغة مطواع؛ تساعد بذاتيَّتها أو بخصائصها الذاتية وطرق التوليد والاشتقاق فيها على النماء والاستمرار.

لغتنا أسُّ ثقافتنا، وجزء من هويّتنا، ويجب أن تكون من أولويّاتنا المحافظة عليها؛ لأنها تمثّل الأمن القومي للوطن العربي كلّه، وسيادتها هي سيادته، وهي اليوم أمام معارك لا تنتهي من ضعف في التفاعل مع الواقع اللساني العالمي وما بلغه من رقْميات وتقنيات وآليات... ونحن نجتمع ساعة لنقرّ مصطلحًا، ثم لا يعيش، وللنهوض بالفصحى، ثم تنتشر العاميَّة؛ وللتعريب، ثم تمتلئ شوارعنا بالأجنبي.

إنه لا بدّ من وضع سياسة لغويّة تحفظ للعربيّة فقهها ومنزلتها، وتسخّر في دراستها المناهج والوسائل الحديثة، ولا تجعل من دراسات اللغات الأخرى ما يطغى على دراسة العربية... فلكلٍّ مكانه ومنهجه، ولا بدَّ أن تبقى الأولويّة للغة الأمّة الجامعة لشعوبها، والمعبّرة عن شخصيتها، والمرآة لثقافتها.

ولو أنصف المسؤولون اليوم لحاربوا العاميّات، ولاستبدلوا بالإمبراطورية العربية السياسية التي كانت للعرب في التاريخ ثم ضاعت، إمبراطوريةً لغوية جامعة للأمة، هي إمبراطوريّة اللغة العربية الفصحى التي تجمع شمل العرب من المحيط إلى الخليج. والفصحى هي التي تمثّل وحدة العرب حاضرًا نعيشه، وماضيًا نعتزّ به، وأملًا مستقبَلًا نتطلَّع إليه.

ولا نعني بها لغة الشنفرى أو الحطيئة، ولكننا نعني النطق بحروف عربيّة، وبلغة لا تعلو على لغة الصحافة المألوفة، إنها اللغة التي نسمعها في نشرات الأخبار من عواصم البلاد العربيّة، والتي بدأ بعض المذيعين بإفسادها بضَياع أصواتها، إذ يسرعون في النطق ظانّين أن السرعة تدلّ على طلاقة ألسنتهم، على حين أنها تدلّ على جهل المتحدّث بحقوق الحروف وبموسيقا اللغة الساحرة!، وبحقوق السّامعين في تَذوُّقِ السَّمع وحُسن الفهم.

* * *

في تلقي المنهج الوصفي
وتوظيفه في النحو العربي

الدكتور محمد عبدو فلفل(*)

أَثَّرَ كما هو معروف في حركة الدرس اللغوي العربي الحديث عاملان: داخليٌّ، يتمثل بالحرص على تيسير النحو العربي بعد ما اسْتُشْعِر إثر الانتشار العام للتعليم من صعوبات في تعليم النحو العربي وتعلُّمه؛ وخارجيٌّ يتمثل بالاطلاع على ما أَخَذَ يشيع في الغرب من مناهجَ وأصولٍ جديدة في دراسة اللغة ممثلة باللسانيات الحديثة.

وغني عن التوضيح أن مناهج الدرس اللساني في الغرب منذ نشأتها إلى يوم الناس هذا تعددت، وتطورت تطورًا سريعًا يصعب إن لم يتعذر على المرء أن يلم بكل تفاصيلها، ولكن المؤكد الذي يعنينا فيما نحن فيه أمران: أولهما أن تعدد هذه المناهج وتباينها يتيحان «للدارسين إمكانات منهجية متعددة لتناول الظواهر اللغوية وتصنيفها واستخلاص سماتها»(١)؛ وثانيهما أن هذا التعدد

(*) جامعة حماة – حماة – سورية.

ألقى الدكتور محمد عبدو فلفل المحاضرة في قاعة مجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٢٣م.

(١) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط٣، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨، ص ٢٦.

وذاك التباين خير دليل على أن واحدًا من هذه المناهج غير قادر وحده على الإجابة عن كافة الأسئلة المتعلقة بالظاهرة اللغوية على مختلف مستوياتها الصوتية والمعجمية والصرفية والتركيبية...، لذا كان لهذه المناهج المتباينة والمتتالية تداعياتٌ واضحة في الدرس اللغوي العربي الحديث، وذلك ابتداء بالمنهج التاريخي المقارن ومرورًا باللسانيات المُضيَّقة مُمَثلةً بالوصفية، والتوليدية، وانتهاء إلى اللسانيات الموسَّعة مُمَثَّلةً بنحو النص، أو المنهج الوظيفي، أو التداولي، أو غيرها من مناهج اللسانيات الحديثة.

ويمكن إجمالُ تداعيات هذه المناهج في درسنا اللغوي الحديث كما هو معروف بأربعة محاور: **أولها**: التعريفُ بالمنهج اللساني وجهازه المفاهيمي والأصولي، وبيانُ مسوِّغاتِ دراسة اللغة بموجبه، و**ثانيها**: تلمُّسُ معالم التفكير بمقولات هذا المنهج في التراث العربي، وهو ما بات يعرف بلسانيات التراث، و**ثالثها**: تقويم وتقييم ما جاء في تراثنا اللغوي، ولاسيما تفكيره النحوي في ضوء مقولات هذا المنهج اللساني الحديث أو ذاك، و**رابعها**: دراسة العربية، أو إحدى مُدَوَّناتها في ضوء ذلك. ويمكن أيضًا أن نلحظ هذه المحاورَ في أصداء المنهج الوصفي في درسنا اللغوي الحديث، شأنُه في ذلك شأنُ سائر المناهج اللسانية. وما يعنينا فيما نحن فيه أن دراسة العربية من وجهة وصفية «باتت جزءًا واضحًا لا خلاف فيه من تاريخ الدرس اللساني العربي، والثابت أن أول من حمل على عاتقه واجب أدائه هم الوصفيون العرب المؤسسون، ثم تعددت المحاولات ممن تتلمذ لهم من الوصفيين الأتباع»[٢].

(٢) انظر: راشد عبد الله منصور، الوصفية في اللسانيات العربية الحديثة، دراسة في التلقي والتوظيف، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، ٢٠٢٠، ص٢١٠.

ومن الوصفيين الأتباع محمد صلاح الدين مصطفى بكر[٣] الذي يرى أن المنهج الوصفي أهم المناهج اللغوية الحديثة، فهو - كما يقول - المنهج الذي يحاول أن يخلِّص العلوم اللغوية من الوجهة التاريخية، ومن الوجهة المعيارية[٤]. ولبكر إسهامان في هذه البابة: أولهما على الشابكة، وهو بعنوان: (الوصفيّة في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة)، وثانيهما كتابه: (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم). والكتاب كما يوضح صاحبه محاولة لتجديد نحو العربية، وهي مسبوقة - كما يقول صاحبها - بمحاولات جادة كمحاولة إبراهيم مصطفى الموسومة بـ(إحياء النحو)، والتي تراءت لبكر محاولة نظرية، فسعى هو في عمله هذا إلى دراسة تطبيقية لنحو العربية تعتمد في المقام الأول أسس ومنطلقات المنهج الوصفي[٥]، مما يجعل هذا العمل بحق تجليًا عمليًّا من تجليات تجديد الدرس النحوي للعربية بهَدْيٍ من معطيات اللسانيات الغربية الحديثة.

وقد أوجز بكر القول فيما فعله في الأجزاء الأربعة[٦] التي يتكون منها

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١٩١.

(٤) انظر: محمد صلاح الدين مصطفى بكر، الوصفيّة في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة، ص٢، بحث على الشابكة.

(٥) انظر: محمد صلاح الدين مصطفى بكر، النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، ط، مؤسسة الصباح الكويت، ١٩٨٥، ١/ ٥.

(٦) جدير بالذكر أن البحث اعتمد في إعداده على الجزء الأول الذي تعود إليه جل المقبوسات، وعلى الجزء الثاني، وأعتقد اعتقادًا قريبًا من اليقين أن في ذلك ما يفي بالإجابة عن الأسئلة التي ندب البحث نفسه للإجابة عنها. على أن ذلك لا ينفي البتة أن عمل بكر هذا بحاجة إلى دراسة عامة وشاملة تناقشه منهجًا وأصولًا وأفكارًا جزئية، كما تناقش الرجل في آرائه في كل مسألة من مسائل العربية التي تناولها في هذا العمل، ذلك أنه عمل ذو طبيعة اجتهادية نقدية تحفز على المزيد من القول فيه.

كتابه هذا، فقال: «للباحث محاولة في مجال النحو الوصفي التطبيقي سماها: (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم) درس في هذه المحاولة أبواب النحو على المنهج الوصفي في أربعة أجزاء: درس في الجزء الأول المقدمات النحوية، وعرض رأيه في الصفحات الأولى من الكتاب، وطريقته في دراسة الأبواب، ومعنى النحو الوصفي، ومميزاته عن المنهج التقليدي، وعرض رأيه في الإعراب والإعرابين التقديري والمحلي، وأدخل المعربات إعرابًا تقديريًّا في المبنيات بجامع عدم ظهور الحركة في كلٍّ، وشرح معنى الإعراب المحلي، وأنه يمكن الاستغناء عنه... وفي الأجزاء الثلاثة الأخيرة، درس أبواب الجملة الاسمية في الثاني، وأبواب الجملة الفعلية في الثالث، ثم المشتقات وبقية الأبواب في الجزء الرابع، وسمّى أبواب المشتقات بالجمل الوصفية باعتبار أن المشتق هو الذي يؤدي وظيفة الفعل، وإن كان الإعراب لهذه الأبواب لم يخرج كثيرًا عن الطريقة التقليدية»(٧).

إذن درَسَ بكرٌ في كتابه هذا ذي الأجزاء الأربعة نحوَ العربية بهدي من المنهج الوصفي. فلماذا اعتمد المنطلقاتِ النظريةَ والأسس المنهجية لهذا المنهج في تصوره لنحو العربية؟ وما هذه المنطلقات أو تلك الأسس؟ وما طبيعة علاقتها المرجعية بالمنهج الوصفي الغربي؟ بل ما مدى صلاحية هذه المنطلقات أو تلك الأسس كما تراءت عند المؤلف لوضع نحو للعربية مصفًّى من الشوائب التي علقت به؟ وهل تقيَّد المؤلف في عمله هذا بهذه المنطلقات أو الأسس الوصفية التي سعى إلى بناء نحو العربية عليها؟ وهل وُفِّق في وضع نحو يقوم على وعي منهجي وإجرائي يدرك ضرورة الفصل

(٧) انظر: محمد صلاح الدين بكر، الوصفيّة في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة، ص ٢٥. وانظر: النحو الوصفي، ١/ ٤٤٨.

بين دراسةِ النحوِ لأغراض تعليمية، ودراسته لأغراض علمية؟ تلك هي الأسئلة الأهم التي سيقوم هذا البحث على محاولة الإجابة عنها[٨].

لماذا الوصفية دون غيرها؟

نص صلاح الدين بكر على أنه درس في (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم) أبواب النحو العربي على المنهج الوصفي[٩]، وسوَّغ اعتماده لهذا المنهج في تصوره للنحو بقوله: «يُطْلَق المنهج الوصفي على الدراسات النحوية الحديثة التي تحاول أن تخلص النحو العربي مما علق به من الشوائب التي أُدْخِلَتْ عليه خلال عهوده التاريخية الطويلة، ومحاولة وصف النص الموجود وصفًا واقعيًّا دون تدخل بمحاولة فرض قواعد قاعدية، أو تأويل أو تعليل، في محاولة لإخراج النص عن ظاهره ليتمشى مع القواعد التقليدية»[١٠]؛ ويضيف بكر موضحًا طبيعة عمله، فيقول: «في هذا البحث حاولنا أن نتخطى المناهج التقليدية (المعيارية) تلك المناهج التي جعلت النص خاضعًا للقاعدة، إلى منهج جديد هو المنهج الوصفي، أو الشكلي الذي يعتمد على النص، ويجعل له الكلمة الأولى والأخيرة»[١١]، ويؤكد في مكان آخر عمله بالمنهج الوصفي قائلًا: «لا نوافق النحاة على فكرة الأصل والفرع، وغيرها من الأفكار التي قد تتناسب مع المنهج المعياري دون الوصفي الذي أخذنا أنفسنا به»[١٢].

---

(٨) على الشابكة ذكر لرسالة ماجستير بعنوان (أثر المنهج الوصفي في تجديد النحو العربي، كتاب «النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم» نموذجًا) لأكرم محمد عقاب محمد، جامعة الفيوم، كلية دار العلوم، ٢٠٠٩، ولم يتسنَّ لي الاطلاع عليها.

(٩) انظر، النحو الوصفي، ١/ ٢٥.

(١٠) المصدر السابق، ١/ ١١، وانظر ١/ ١٩ منه.

(١١) المصدر نفسه، ١/ ٤٤٥.

(١٢) المصدر نفسه، ١/ ١٩٩، وانظر: ١/ ٢٣٠، ٢/ ٤٢٢.

و في معرض تأصيل بكر للمنهج الوصفي اقتصر على بيان[١٣] أن سوسير هو مؤسس هذا المنهج، واللافت في هذا التأصيل الارتجالية والقصور والابتسار، أو الافتقار إلى العمق والشمول الذي افتقر إليه الكثير من النماذج اللسانية الرائجة في الثقافة العربية الحديثة كما يقول مصطفى غلفان[١٤]، أما الارتجالية فيعكسها ويدلل عليها بوضوح عدم تعويل بكر في توضيحه للمنهج الوصفي على مادة مرجعية موثقة، فقد خلت حواشيه في ذلك من مصادر اللسانيات الحديثة[١٥]، وأما القصور الملحوظ في تأصيل بكر للمنهج الوصفي فيتجلى في اقتصاره على نسبة الوصفية إلى سوسير، وذلك مع ما هو معلوم من أن الوصفية في الغرب تنوعت تنوعًا يسمح بالقول بأنها وصفيات متنوعة ومتباينة[١٦] تباينًا لا يسمح بجمعها في نسق واحد، وأبرزها وصفيات سوسير، و سابير، وبلومفيلد، وهاريس. وإذا كنا نتفهم قصور هذا التأصيل المرجعي العائد إلى سبعينيات أو ثمانينيات القرن العشرين، فإننا لا نستطيع ألّا نرى قصورًا معرفيًّا مخلًّا فيما يقوله بكر في

(١٣) انظر: المصدر نفسه، ص٢٠، و الوصفيّة في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة، ص٣.

(١٤) في هذا الصدد يقول مصطفى غلفان في كتابه اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ط١، دار ورد الأردنية، ٢٠١٣، ص٧: «إن كمًّا هائلًا مما يكتب باللغة العربية... بعيد في مضمونه كل البعد عن روح التحليل اللساني بمفهومه العلمي الدقيق، ويبدو أن المشكل الذي تعاني منه الدراسات اللغوية العربية هو افتقادها الأساسَ المنهجيَّ الذي يفترض أن يستمد من النظرية اللسانية العامة نفسها، فكتاباتنا اللسانية الحديثة في الكثير من نماذجها الرائجة في الثقافة العربية الحديثة تفتقد لما يربطها بجوهر المنطلقات النظرية والمنهجية المتبعة في الخطاب اللساني بمعناه الصحيح». وانظر أيضًا: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس المنهجية، ص١٧٧-١٧٨.

(١٥) انظر: النحو الوصفي، ١/ ١٩-٢٥.

(١٦) انظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة...، ص١٧٨.

مطلع الألفية الثالثة من أن اللسانيات الحديثة استقرت على ما سُمِّيَ بالمنهج الوصفي. ولعل ما يوضح مدى هذا القصور وذاك الإخلال قول بكر أيضًا في السياق الزمني نفسه: إنّ المنهج الوصفي هو السائد الآن في الدراسات اللغوية في أوروبا وأميركا(١٧). علمًا أن تباشير أفول شمس المنهج الوصفي في الغرب كما هو معروف أخذت بالظهور في خمسينيات القرن الماضي! ولا شك أن في ذلك مفارقةً تؤيد ما يلاحظه المعنيون من تقصير الدرس اللساني العربي الحديث عامة عن مواكبة مستجدات البحث اللساني في الغرب(١٨). والسؤال الذي تعنينا الإجابة عنه الآن هو: ما هي المنطلقات النظرية، أو الأسس المنهجية للوصفية في تصور بكر لنحو العربية؟ وهل تصلح هذه التصورات لتصنيف نحو عربي شامل وميسَّر؟

منطلقات الوصفية وأسسها المنهجية عند بكر.

عرض بكر غير مرة للمنطلقات النظرية للمنهج الوصفي ولأسسه المنهجية التي سوغت له أن يعتمده أساسًا لتصور نحو العربية، فهو يعتمد «**الكتابة النحوية الوصفية الجديدة التي تعتمد على وصف النص الموجود فعلًا دون التدخل فيما وراء النص، ودون محاولة فرض قواعد، أو قوالب نحوية على هذه النصوص**»(١٩). والمتتبع للمنطلقات النظرية للوصفية، ولأسسها المنهجية كما تراءت لدى بكر يجدها ممثلة بالوحدات الثلاث التي

(١٧) قال ذلك في ص١-٢ من بحثه الموسوم بـ(الوصفيّة في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة) الذي أعده عام ٢٠٠١.

(١٨) انظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص١٢٤، وحافظ إسماعيلي علوي، «نحن واللسانيات، بحث في إشكالات التلقي» [مبحث في كتاب] اللسان العربي وإشكالية التلقي ط١، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ٢٠٠٧، ص١١٣.

(١٩) النحو الوصفي، ١/ ٥، وانظر: ١/ ٧.

يجب أن تتوافر في المدونة اللغوية المعتمدة في وضع القواعد النحوية، وهي وحدة الزمان، ووحدة المكان، ووحدة الجنس اللغوي أو المستوى اللغوي، كما تتمثل بالاقتصار على وصف النص وصفًا محكومًا بظاهره بعيدًا عن إخضاعه للتأويل أو التعليل، أو الحكم عليه بالصواب أو الخطأ. هذه هي مرتكزات المنهج الوصفي كما تراءت لبكر في عمله هذا. واللافت أن الرجل كثيرًا ما يقدم هذه المقولات نظريًّا على الأقل، وكأنها خلقت مبرأة من كل عيب، مع أنها أخضعت كما بات معروفًا في الدرسين العربي والغربي لغير قليل من النقد أو النقض، بل لعل بكرًا نفسه شارك بغير قصد في هذا النقد أو النقض عندما نبه على عدم كفاية المنهج الوصفي دائمًا لمعالجته لما هو فيه معالجة تطبيقية، فها هو يختم الجزء الأول من كتابه قائلًا: «بيَّنّا من خلال ذلك العرض السريع أنه على الرغم من رسم نظرية المنهج الوصفي رسمًا دقيقًا إلا أنه عند التطبيق لم تنجح تمامًا تلك النظريات اللغوية»[٢٠]. ومن معالم إقرار بكر غير المباشر بعدم كفاية المنهج الوصفي تمامًا في وضع النحو الذي ارتضاه للعربية مخالفته عمليًّا للمقولات الأساسية التي أقام عليها تصوره لهذا المنهج، وهو ما نحاول توضيحه فيما يلي:

الوحدات الثلاث أهم أسس الوصفية:

يتناول المنهج الوصفي كما هو معروف بالدرس العلمي الظواهر اللغوية بعد تحديد مجالها وزمانها وبيئتها، فلا بد من تحديد المجال، كأن يكون لغة فصحى، أو لهجة، أو مستوى معينًا من مستويات الاستعمال اللغوي، كالشعر أو الإعلام، ولا بد من تحديد المرحلة الزمنية للظاهرة اللغوية المدروسة، لأن الوصفية تفترض اللغة في حالة سكون في هذه المرحلة، كما تحرص

(٢٠) النحو الوصفي، ١/ ٤٤٥.

على وحدة مكان الظاهرة اللغوية المدروسة، ووحدة بيئتها أو ميدان استعمالها، لابد إذن من أن تتوافر في المدونة اللغوية هذه الضوابط الثلاثة إذا ما أردنا أن ندرسها دراسة وصفية[٢١]، وقد عرفت هذه الضوابط الوصفية بالوحدات الثلاث كما نجد عند بكر[٢٢] الذي أبدى حرصه على العمل بمؤدى هذه الوحدات قائلًا: «حاولنا في كتابنا هذا أن نتوخى قدر الإمكان ضوابط المنهج الوصفي، فقد حاولنا الاستشهاد بالنص القرآني ما أمكننا، وأظن أن ذلك يمثل الوحدات الثلاث التي نادى بها المنهج الوصفي: وحدة الزمان والمكان والنص»[٢٣]؛ ثم أضاف أنه لم يلجأ إلى غير القرآن إلا عندما لم يكن في حوزته نص منه، فقال: «ولم نلجأ إلى الشعر أو الأمثلة المتخيلة إلا حينما لم تسعفنا القريحة...بما يمكن أن يكون دليلًا على ما نقول من القرآن الكريم»[٢٤] والجدير بالذكر أنه اغتفر[٢٥] لأسباب وجيهة عدم تقيد أئمة العربية بهذه الوحدات لدى وضعهم قواعد النحو العربي، والراجح أن موقفه من هذه الوحدات خلافًا لما يوهم به كلامه السابق لا يختلف كثيرًا عن موقف أئمة العربية منها. وهذا ما نحاول أن نوضحه في مناقشة بكر – رحمه الله – فيما بيَّنَه من أن تعويله على النص القرآني في نحوه الوصفي هذا إنما كان مراعاة علمية للوحدات الثلاث التي يقوم عليها المنهج الوصفي كما تراءى له. وفي معرض ذلك يمكن القول:

---

(٢١) انظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص٢٣-٢٤، ومصطفى الغلفان، اللسانيات العربية الحديثة...، ص١٨٠، ١٩٤.

(٢٢) انظر لبيانه المقصود بكل منها عنده: النحو الوصفي، ١/ ٢٢-٢٣.

(٢٣) المصدر السابق، ١/ ٢٤.

(٢٤) المصدر نفسه، ١/ ٢٥.

(٢٥) انظر: الوصفيّة في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة، ص ٩-١٠.

أولًا: إن بكرًا قدم هذه الوحدات وكأنها مسلمات غير قابلة للنقد أو النقض، علمًا أن الأمر ليس كذلك. فمن الضروري أحيانًا أن نميِّز بين الفروض العلمية المنهجية التي قد تستهوينا نظريًّا للوهلة الأولى في دراسة الظاهرة اللغوية، وبين الواقع اللغوي الذي قد لا يُسْلِسُ قياده لهذه الفروض. ولعل مقولة الوحدات الثلاث هذه بحاجة إلى أن ننظر إليها في الحالة العربية على الأقل في ضوء هذا التمييز، فأساس هذه الوحدات، ولاسيما وحدة الزمان هو مقولة التزامن، ولهذا اختزل بعض المعنيين العرب والغربيين الوصفية بهذه المقولة[٢٦] التي تقوم على افتراض سكون اللغة، وهو افتراض لا تسمح ديمومة التطور اللغوي بالوقوف عليه في مسيرة اللغة التاريخية، لذلك تعرضت هذه المقولة الوصفية الأساسية لنقد ربما وصل إلى حد النقض. وفي هذا الصدد يقول توشيهيكو إيزوتسو: «لعله من الخير أن نلاحظ أن المعجم اللغوي في هذا المعنى الخاص، أي: كونه سطحًا ساكنًا هو شيء متكلَّف أو مصطنع بالمعنى الدقيق للكلمة، إنه حالة ساكنة أنتجها اصطناعًا إيقافنا بضربة واحدة جريانَ التاريخ لكل كلمات اللغات في مرحلة محددة من الزمان، والمقطع العرْضي الناتج يعطينا الانطباع بأنه ساكن ومتوقف، أما في الحقيقة فهو يبدو كذلك ظاهريًّا فقط...»[٢٧]. وفي السياق نفسه يقول غراتشيا غابوتشيان: «قضية التزامن والتطور التاريخي تعتبر في الواقع قضية طرائق عمل، وليست قضية طبيعة اللغة...إننا ننظر في هذه الحالة إلى التزامن لا على أنه سكون، بل على أنه

(٢٦) انظر: راشد عبد الله منصور، الوصفية في اللسانيات العربية الحديثة، ٨٩-٩١، ١٠٦، ١٣٧.

(٢٧) توشيهيكو إيزوتسو، بين الله والإنسان في القرآن، تر.عيسى علي العاكوب، ط، دار نينوى - دمشق، ٢٠١٧، ص٦٥-٦٦.

ديناميكية وظيفية»[٢٨]؛ أما جان جاك لوسركل فيرى تعذر فصل التاريخي عن التزامني في الواقع اللغوي، فـ«ليس هناك ما يمكن أن نُسمِّيَه بواقع اللغة المستقر، فالواقع التزامني الراهن دائمًا يرث تاريخ اللغة، ويتخلله الجانب التاريخي، وهو يخضع لعملية تغيير مستمر»[٢٩]؛ لذا ينتهي لوسركل إلى أن «الفصل بين التزامني والتاريخي كما يتمثل في المفهوم البنيوي للحالة اللغوية لم يعد مفهومًا متماسكًا»[٣٠]. فالواقع التزامني المزعوم للغة إذن ليس شيئًا منبتًّا عن التاريخي، بل هو ناجم عنه، أو حصيلة له، لذا لا يمكن الاعتماد عليه وحده في فهم الظاهرة اللغوية القومية، أو الكشف عن أسرارها، وبيان آلية عملها، والتواصل مع محمولاتها الفكرية كالحالة العربية، وهذا ما يوحي بعدم كفاية اعتماد المدونة القرآنية وحدها في وضع نحو للعربية، وهو ما نحاول توضيحه أكثر فيما يلي.

ثانيًا: إن المدونة اللغوية التزامنية المعتمدة في الدرس الوصفي متمثلة فيما استعملته من اللغة إنما هي ممثلةٌ لهذه اللغة في حقبة ما، ولكنها لا تمثلها تمام التمثيل، مما يسمح أن يقال: إنّ هذه المدونة مهما علا شأنها، واتسع أمرها ليست قادرة وحدها من الوجهة الوظيفية التعليمية التي راعاها بكر في نحوه الوصفي كما سنرى على تقديم قواعد وأحكام تمكن الملم بها من التواصل مع مختلف المدونات الأخرى للعربية. وهذا ما يجعلنا نميل إلى اعتقاد عدم صلاحية الدرس الوصفي للدرس التعليمي للغات القومية عامة، وللغة العربية

(٢٨) غراتشيا غابو تشيان، نظرية أدوات التنكير والتعريف وقضايا النحو العربي، تر. جعفر دك الباب، ط، دمشق ١٩٨٠، ص٩٩.

(٢٩) جان جاك لوسركل، عنف اللغة، تر. محمد بدوي، ط٢ – بيروت، ٢٠٠٦، ص٣٢٧.

(٣٠) المصدر السابق، ص٣٥٦.

خاصة، وذلك ببساطة لأن التعليمي محكوم أبدًا بضوابط ومعايير لها سلطانها المرحلي على الأقل، بمعنى أن المسعى التعليمي في درس أية لغة يفترض ثباتها ثباتًا تكتيكيًّا، والمنهج الوصفي كما بدا في التلقي العربي على الأقل «ينبذ الموقف المعياري الذي ينطلق من الخطأ والصواب، وذلك لأن الوصفية تفرق بين ما هو علمي، وما هو تعليمي، فالدرس اللغوي العلمي يتوسل بالمنهج الوصفي أساسًا، أما الدرس اللغوي التعليمي فهو الذي يحتكم دومًا إلى قواعد الخطأ والصواب»[٣١]. يضاف إلى ما تقدم أن اللسانيات الحديثة تسعى كما هو معروف إلى دراسة ما هو مشترك بين اللغات البشرية عامة، وهي لاشك بمختلف مناهجها مفيدة في وضع أنحاء اللغات القومية الخاصة، ولكنها لا تصلح مجتمعة أو منفردة لأن تكون أساسًا للأنحاء التعليمية للغات القومية، أو بديلًا عن هذه الأنحاء. ولعل ذلك من حيث المبدأ يسوغ النظر بعين الشك في صلاحية منهج لساني وحيد، كالمنهج الوصفي لوضع نحو لغة قومية، كما يسوغ الشك أيضًا في كفاية مدونة لغوية واحدة لوضع نحوٍ للغة قومية، يُمَكِّنُ من التواصل مع مختلف مدوناتها الأخرى. وبهذا التحفظ يحسن النظر إلى ما نجده عند بكر في كتابه (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم)؛ ذلك أن بين معطيات المدونة اللغوية العربية من قراءات قرآنية وظواهر لهجية، وشعر وخطابة وأمثال من التكامل، وعدم استغناء أحدها عن الآخر أو بأحدها عن الآخر ما يجعل انفراد واحدة من هذه المدونات في وصف العربية أو وضع ضوابطها أمرًا يفضي إلى القصور في هذا الوصف. وخير دليل على ذلك أن المعنيين بالقرآن الكريم تفسيرًا وتحليلًا صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا عولوا تعويلًا

(٣١) انظر: أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص٢٣-٢٤.

شديدًا على الشعر المحتج به[٣٢]، وعلى اللهجات العربية التي ألقت كما هو معروف بظلالها واضحة على القراءات التي «تمثل لهجات متعددة»[٣٣]، مما يجعل المرء لا يوافق بكرًا – رحمه الله – فيما ارتآه من أن التعويل على النص القرآني يمكن أن يحقق العمل بالوحدات الثلاث التي يقوم عليها المنهج الذي بدا الدكتور بكر حريصًا على اعتماد مقولاته فيما رامه من نحو وصفي للغة العربية. على أن ما يجعل الشك في سلامة اعتماد بكر ما أمكنه الأمر النصَّ القرآني وحده في وضع نحو وصفي للعربية شكًّا مشروعًا أيضًا هو أن القرآن الكريم على ما يتسم به من إعجاز لغوي وإحاطة، وعلى ما له على العربية من فضل الإبقاء على قيد الحياة إلى يوم الناس هذا = لم يأت على كل ما فيها، وهو ما سنحاول فيما يلي بيانه، وبيان تبعاته في منهج بكر في عمله الذي بين أيدينا.

ثالثًا: إن من المسلم به أن المرجو من وضع نحو للعربية كان و ما يزال في جوهره–كما يفهم من كلام بكر نفسه على ما سنرى– هو الحفاظ على العربية، وتيسير تعلمها وتعليمها، وخدمة القرآن الكريم والتواصل معه ومع سائر مكونات المدونة اللغوية العربية من شعر ونثر وأمثال وخطب، مما يعني أن وضع نحو يحقق هذا الغرض لا يفي به الاعتماد على القرآن وحده، ذلك أنه على جلاله وإعجازه لم يأت على كل الأحكام النحوية، أو الإمكانات الاشتقاقية للغة الضاد كما يقول الشيخان محمد عبد الخالق عضيمة[٣٤]،

(٣٢) انظر: عبدو الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ط، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٩، ص٤٩.

(٣٣) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط٤، القاهرة، ١٩٨٢، ص٣١.

(٣٤) يقول محمد عبد الخالق عضيمة في كتابه دراسات لأساليب القرآن الكريم، ط، دار الحديث، القاهرة، ١/ ١٢–١٣: «ولست أقول بأن القرآن قد تضمن كل الأحكام النحوية، فالأساليب التي لم يرد نظيرها في القرآن لا يلتفت إليها، ولا يعمل بها، وإنما أقول: ما جاء =

ومحمد محمد أبو موسى[٣٥]. والجدير بالذكر أن بكرًا تنبه على ما توصل إليه الشيخان، ولكن تنبهه هذا لم ينفِ عن منهجه المحروص فيه على العمل بالوحدات الثلاث اضطرابًا مخلًّا بالمحافظة على العمل بهذه الوحدات؛ فالملاحظ أن بكرًا تنبه ونبه في (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم) على القضايا النحوية الموجودة في العربية، وغير الموجودة في القرآن[٣٦]، وسمح لنفسه بالقيام بما يُعَدُّ نسفًا لمقولة الوحدات الثلاث التي تراءت له أساس المنهج الوصفي الذي لاذ به ليخلص النحو العربي مما ابتلي به، ذلك أن الرجل كان يعتمد في وصف ما لم يجد له شاهدًا في القرآن على شعر غير محروص على وحدة بيئته وزمانه، فمع كثرة اعتراضه[٣٧] على اعتماد النحاة أحيانًا على الشعر وحده في بناء القاعدة؛ لما فيه من ضرورات تحمل الشاعر على مخالفة ضوابط اللغة، نجده يعتمد أحيانًا على الشعر وحده في بناء الحكم[٣٨]، كما يعتمد في ذلك على الحديث النبوي أحيانًا[٣٩]، بل على أمثلة يصنعها بهدي من معرفته بضوابط العربية وقواعدها[٤٠]، وبعد ذلك كله عليك

= في القرآن كان حجة قاطعة، وما لم يقع في القرآن نلتمسه في كلام العرب».

(٣٥) يقول محمد محمد أبو موسى في كتابه خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط٥، مكتبة وهبة - القاهرة، ٢٠٠٠، ص٧: «لو وقف علماؤنا عند القرآن وتركوا الشعر لضاع منهم الكثير، لأن كثيرا من صيغ العربية واشتقاقاتها لم يقع في القرآن، فالشعر هو الدائرة الأوسع التي إذا حفظناها نكون قد أقمنا حول كتاب الله ثوابت من المعارف المؤسَّسة على أصول من المنهج الصحيح، تظل بين يدي الذكر الحكيم تهيئ لسماعه وفهمه، وتذوق بلاغته وأسرار بيانه».

(٣٦) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٢٩١، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٧١.

(٣٧) انظر: النحو الوصفي، ٢/ ٢٣٨، ٣٣٩.

(٣٨) من هذا القبيل مثلًا اعتماده - كما فعل النحاة - على بيتين أحدهما للمتنبي في إجازة تعريف اسم (لا) العامل عمل (ليس). انظر: النحو الوصفي، ٢/ ٢٦٩.

(٣٩) انظر: النحو الوصفي، ٢/ ٣١٠، ٣١٥، ٣٢٢-٣٢٣، ٣٣٧، ٤٠٣.

(٤٠) انظر: النحو الوصفي، ٢/ ٦٣-٦٤، ٨٢.

أن تقنع بأنه إنما اعتمد المدونة اللغوية القرآنية في نحوه الوصفي لما تحققه من استجابة لمقولة وصفية تتمثل بالوحدات الثلاث. والراجح أن ذلك اصطناع لمنهج علمي لتسَويغ ما دافعه الحقيقي أسباب أيديولوجية قومية ودينية، وهو ما يشي به قول بكر - رحمه الله -: «كان جل اعتمادنا في النصوص على القرآن ذلك أنه يمثل القمة اللغوية في البلاغة والفصاحة، وهو المصدر الذي يجمع كلَّ الأمة العربية، ويوحِّد بينها، ثم هو بعد ذلك الغاية التي من أجلها ألفت كل علوم العربية»(٤١).

وأما الأمر الثاني الذي يؤكد ويوضح أيضًا أن الدافع الأيديولوجي (العقدي والقومي) هو السبب الحقيقي لاعتماد بكر النص القرآني في وضع نحو وصفي للعربية فهو دعوته إلى تنويع وتوسيع مصادر النصوص المعتمدة في وضع النحو العربي، لكي تتجاوز ما عُرِفَ لدى النحاة بعصور الاحتجاج، فالآن وبعد أن استقرت اللغة وتحددت تمامًا منذ عهد بعيد كما يقول بكر: «لا بأس أن يكون الاستشهاد غيرَ محدد بعصر معين، لأن النصوص الجيدة الفصيحة لا تختلف في نظرنا في عصرٍ عنها في عصر آخر، فهل يعتبر أبو الطيب المتنبي غير عربي، أو غير معتد بفصاحته لأنه خرج من عصور الاستشهاد؟! وكذلك غيره من عظماء الشعراء والكتاب الذين ارتقَوا بأساليب العربية لا لشيء إلا لأنهم وُجِدوا في فترة متأخرة عن الفترة التي حددها اللغويون؟!»(٤٢).

وما أرجو من القارئ الكريم أن يكون على بينة منه هو أن الاعتراض على اقتصار بكر ما أمكن في عمله هذا على النص القرآني ليس اعتراضًا على النص ذاته، وليس اعتراضًا على حضور الغرض القومي أو الديني في

(٤١) المصدر نفسه، ١/ ٤٤٦.

(٤٢) المصدر نفسه، ١/ ٤٤٥.

وضع نحو العربية، بل اعتراض على جناية هذا الغرض على الحقيقة العلمية، وعلى سلامة المنهج المتبع. ولعله من المسلم به لدى المعنيين أن تداخل أو تماهي اللغوي بالقومي والديني في الحالة العربية كان له وما يزال في أحيان غير قليلة تبعاتٌ غير علمية في درس العربية ونحوها، والعملُ الذي بين أيدينا مثال على هذه التبعات غير الحميدة، وفي مقدمة ذلك التناقض المنهجي، وربط المسبَّبات بغير أسبابها الحقيقية، فهذا العمل كما لاحظنا وكما سنلاحظ ذو أهداف دينية وقومية وتعليمية مع أنه متدثر بعباءة الوصفية التي غالبًا ما يفتتح التعريف بها في التلقي العربي على الأقل بأنها اللسانيات التي تدرس اللغة دراسة علمية في ذاتها ولذاتها[٤٣]!

يضاف إلى ما تقدم أن المستهدف بوضع قواعد النحو العربي ليس المسلمين فقط، بل الناطقون بالعربية في أصقاع الأرض قاطبة على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم العقدية والفكرية، وفي تنوع وتكامل مصادر الاستدلال على القاعدة بين القرآن الكريم وغيره من مصادر الاستشهاد النحوي مراعاة لخصوصيات مختلف هذه الفئات، إضافة إلى ما في هذا التنويع من تأكيد عملي لحقيقة مفادها أن العربية لغة حية، لغة تفكير وتعبير واختراع وإبداع، لا لغة طقوس دينية فقط كما يزعم بعض المعنيين بالدرس اللغوي في الغرب.

(٤٣) غالبًا ما تنسب هذه المقولة إلى سوسير، ويردها بعضهم إلى فرانز بوب. انظر: جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، تر. بدر الدين القاسم، ط١، دمشق، ١٩٧٢، ص١٨٣، وانظر: فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر. محمد الشاوش وزميله، إشراف صالح القرمادي، ط، الدار العربية للكتاب - تونس، ١٩٨٥، ص٣١. ويشكك المعنيون في الغرب بنسبة هذه المقولة إلى سوسير. انظر: أريفيه ميشال، البحث عن سوسير، تر. محمد خير البقاعي، ط١، دار الكتاب الجديد - بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٧.

صراع المناهج واختلاف الرؤى والغايات:

شاعت في الدرس اللغوي العربي الحديث المقارنة بين منهجين[٤٤] في درس العربية، غالبًا ما يكون أحدهما المقابل النقيض للآخر، وهما المنهج الوصفي والمنهج المعياري، وأهم ما قام عليه الأول مخالفًا للثاني أنه – أيِ: الوصفي – يقتصر على وصف الظاهرة اللغوية، ويعزف عن إخضاعها للتقدير والتأويل[٤٥]، وعن حكم القيمة، أوعن معيار الخطأ والصواب، مما يشي بما ذكرناه قبلًا، وبما سنلاحظه عند بكر بعد قليل من أن المنهج الوصفي ليس منهجًا تعليميًّا، أو لنقل: إنه لم يكن للغرض التعليمي حضور ملحوظ في تحديد منطلقاته وأسسه المنهجية، وذلك كله بخلاف المنهج المعياري الذي قام كما هو معروف على تلك الأمور التي نبذتها الوصفية، أو تخلت عنها.

واللافت أن بكرًا في نحوه الوصفي هذا شأنه شأن الوصفيين العرب عامة لحظَ الفارق النوعي بين هذين المنهجين، وحرص على بيان أهم المنطلقات النظرية والأسس المنهجية لكل منهما، وعلى العمل ما أمكن بمقولات المنهج الوصفي الذي يكتفي كما يقول بكر نفسه: «بوصف النصوص اللغوية وصفًا واقعيًّا... دون تدخّل من الباحث بفرض اجتهادات من ذاته أو فرض قوالب معيارية موضوعة سلفًا من خلال ملاحظات سابقة لا تصدق على ما هو أمام الباحث. والمنهج الوصفي... لا يتوقف ليسأل: هل يجوز أن يقال كذا، أولا يقال؟ بل هو يهتمّ بالموجود فعلًا دون إلقاء أية أهمية

(٤٤) انظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ط – دارالمعرفة الجامعية – الإسكندرية، ١٩٩٦، ص٢١٨، ومحمد عيد، أصول النحو العربي، ط٤، عالم الكتب – القاهرة، ١٩٨٩، ص٦٢-٦٣.

(٤٥) انظر: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ط، مؤسسة الصباح – الكويت، د.ت، ص٥٢.

للمقبول أو المردود. كما أن المنهج الوصفي أيضًا لا يتدخّل ليفرض قوالب معينة لا تتفق مع طبيعته، ودون محاولة - أيضًا - لتقدير صيغ لإكمال نصّ، أو تأويل لنصّ يتفق مع قواعد مستنبطة سلفًا من نصوص أخرى مخالفة للنصوص الموجودة أمام الباحث، كما أنه أيضًا لا يلجأ إلى مظاهر التعليل أو إخراج النص عن ظاهره»(٤٦). فهذا المنهج عند بكر «لا يتدخل في النص بتأويل أو تعليل، ولكنه يصفه كما هو»(٤٧). هذه هي أهم النقاط التي تحدد المنهج الوصفي كما تراءى لبكر، فعمل على تبنيه في وضعه لنحو العربية، بل إن بكرًا لينص على أن «نقط تحديد المنهج الوصفي هي نفس نقط تحديد المنهج المعياري إلا أنها ستكون بالتقابل، أي: بالتضاد تقريبًا»(٤٨).

وكل ذلك يوهم أن الرجل يفضل النحو الوصفي على النحو المعياري، وأنه يسعى إلى التخلي عن النحو المعياري وتبعاته فيما وضعه من نحو وصفي للعربية؛ والواقع أن الأمر ليس كذلك، فلدى الرجل نظريًّا وعمليًّا ما يناقض ذلك، وهو ما يمكن أن يفهم من قوله: «لقد تبنى النحويون منهجًا معياريًّا، يراعي فكرة الأصل والفرع، وكل ما توصلوا إليه من نتائج يتلاءم مع هذا المنهج تمامًا، وليس بالضرورة متوافقًا مع المنهج الوصفي الذي أخذنا به في كتابنا هذا، وفكرة الخطأ والصواب ليست صادقة على إطلاقها، أو خاطئة على إطلاقها عندنا أو عندهم، فالأمر أمر منهج فقط... أو أن أفكارنا صادقة في منهجنا، وأفكارهم صادقة في منهجهم.... نتيجة لمنهجنا فإننا لم نأخذ بكل ما قاله النحاة، بل أخذنا بعضه، ولم نأخذ بعضه، بل

(٤٦) الوصفيّة في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة، ص٢-٣.

(٤٧) النحو الوصفي، ١/ ١٩.

(٤٨) النحو الوصفي، ١/ ٢١.

وأحيانًا أتينا بأفكار متعارضة، وأخرى متكاملة...إن اختلافنا معهم لا يعني صحة رأينا، وأيضًا لا يعني خطأه بقدر ما يعكس رأينا حسب منهجنا في هذه القضية، وكل القضايا التي ستعالج على أساس من هذا المنهج»[٤٩].

فبكر كما يفهم من هذا الكلام خلافًا لما يفهم مما قبله لا يردُّ منهجًا قديمًا بآخر حديث بقدر ما يحرص على تعايشهما، أو الإفادة مما يراه مناسبًا في كليهما على ما بينهما من التناقض في المبادئ والاختلاف في الأهداف والأولويات، وهو ما يوحي به قوله: «قبل الخوض في الحديث عن الاستتار ومناقشة النحاة فيه أعترف بادئ ذي بدء أننا لا نسجل الخطأ في جانبهم، والصواب في جانب المحدثين، وإنما فقط نعبِّر عن وجهة نظرنا، وهي وجهة نظر تلائم المنهج الوصفي الذي ارتضيناه، ووجهة نظرهم هي الأخرى تلائم المنهج المعياري الذي ارتضَوه، فأفكار كل منهج لها ما يبررها، ولها دوافعها ومبرراتها»[٥٠]. ويعلق بكر على موقف المنهجين من إحدى مسائل العربية قائلًا: «أرجعنا الاختلاف إلى اختلاف المنهجين فقط دون الوصف بالصحة لرأي والخطأ لرأي آخر»[٥١]، «هي على كل حال نظرة توافق منهجهم، ولا توافق منهجنا، وليس الأمر خطأ في جانبهم وصحة في جانبنا»[٥٢]. وكل ذلك يوهم بأن بكرًا يتمثل في تبنيه للمنهج الوصفي مقولة أن منهجي الوصفيَّ هذا صواب يحتمل الخطأ، وأن منهجكم أيها المعياريون خطأ يحتمل الصواب، فلكم دينكم ولي ديني، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك، بل هو تناقض أو اضطراب منهجي، فالرجل قد يُخطِّئُ صراحة منهج النحاة مقارنًا بالمنهج

(٤٩) المصدر نفسه، ١/ ٢٤٦-٢٤٧.
(٥٠) المصدر نفسه، ١/ ٣٠٠.
(٥١) المصدر نفسه، ١/ ٣٤٤.
(٥٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٦٢.

المعياري[٥٣]، والقضية كما تتراءى للمرء قضية خلط منهجي، أو صراع بين منهجين، مبعثه الحرص على تحقيق أهداف باصطناع منهج، ليست هذه الأهداف من أهدافه أو من أولوياته؛ ذلك أن المقولات التي نسبها الرجل إلى المنهج المعياري حاضرة في نحوه الوصفي حضورًا يسمح أن نقول بأنه نحو (معصفي)؛ أي: وصفي معياري، أو بأن وصفيته وصفية هجينة أو معدَّلة بوعي عالي الصوت تارة وخافتِه تارة أخرى، وهذا ما سنحاول تلمس معالمه فيما يلي من خلال الحديث عن موقف بكر من التعليل و التأويل والمعيار وحكم القيمة وغير ذلك من القضايا التي تمثل نزوعًا تعليميًّا معياريًّا فيما سماه صاحبه نحوًا وصفيًّا.

نحو وصفي لم يتخلَّ عن التعليل:

من المعروف في التلقي العربي للمنهج الوصفي أن الهدف الأهم لهذا المنهج «هو أن يقرر الحقائق اللغوية حسبما تدل عليها الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية»[٥٤]، «فاللسانيات الوصفية تدرس بنية لغوية ما دراسة علمية موضوعية بعيدًا عن التعسف والافتراض والتأويل، لذا تتميز الوصفية بأنها لا تأخذ بالمقولات أو الأقيسة المنطقية أو التعليلات»[٥٥]. ولذا أعرض شيخ الوصفيين العرب تمام حسان عن التعليل، واعتذر لمخالفته لهذا الأصل أحيانًا[٥٦]، علمًا أن واقع الحال عنده كما سنلاحظ، وفي الدرس

(٥٣) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢٢٥، ٢٤٢.

(٥٤) عبدو الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص٤٦.

(٥٥) انظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص٢٣-٢٤.

(٥٦) يحرص تمام حسان على النأي بنفسه عن التعليل ما أمكن، ومن معالم ذلك ما في حديثه عن التزام العربية تقديم الفاعل وتأخير المفعول عندما يكونان مبنيين عاريين من قرينة إعرابية تُمَيِّزُ أحدهما من الآخر، وفي ذلك «مع أنني أنفر من التصدّي لتعليل =

الوصفي الغربي أيضًا لم يكن على هذه الدرجة من التشدد أو الحسم في الموقف من التعليل؛ فسوسير مثلًا يتحدث في محاضراته عن أسباب التغيرات اللغوية، وأن البحث عن هذه الأسباب من أكثر المسائل الألسنية صعوبة، وأن قانون الجهد الأقل يمكنه أن يفسر عددًا من حالات التغير الصوتي(٥٧)، أما وصفيُّو مدرسة براغ في ثلاثينيات القرن الماضي فقد تجاوزوا «الوصف إلى التفسير، أي: أنهم لم يكتفُوا بالحديث عن ماهية اللغة، بل تحدثوا عن السبب وراء اتخاذ اللغات أشكالها التي نجدها عليها»(٥٨)، وظهر أيضًا كما هو معروف في أواخر الخمسينيات في الغرب اتجاهٌ جديد لا يقف عند وصف الظواهر، وإنما يسعى إلى تفسيرها على أساس من المنهج العلمي(٥٩)، والمعروف كما يقول الفاسي الفهري رادًّا على تمام حسان: «أن النظرية العلمية يجب أن ترقى إلى مستوى تفسيري، ولا تكتفي بالملاحظة الخارجية في جميع الأحوال، بل تبحث في الكيف وما وراء الكيف»(٦٠). ومع ذلك نرى بكرًا في تسعينيات القرن الماضي، وفي مطلع القرن الحادي والعشرين يتمسك بما هو شائع عن المنهج الوصفي من العزوف عن تعليل الظواهر اللغوية؛ فقد نص

= الظواهر اللغوية أجدني مدفوعًا هنا إلى ملاحظة أنَّ عدم وجود قرينة العلامة الإعرابية في المبنيات قد جنح بها إلى قرينة الرتبة عوضًا من العلامة الإعرابية» تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ط، دار الثقافة – الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص ٢٠٨.

(٥٧) انظر: فرديناند ده سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر. يوسف غازي، ومجيد نصر، ط دار نعمان للثقافة، جونيه- لبنان، ص١٧٩-١٨٠.

(٥٨) انظر: جفري سامسون، مدارس اللسانيات: التسابق والتطور، تر. محمد زياد كبة، ط، جامعة الملك سعود – الرياض، ١٤١٧هـ، ص١٠٦.

(٥٩) انظر: عبدو الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص٤٣.

(٦٠) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ط٣، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٣، ٥٧-٥٨.

غير مرة على أن التعليل ليس مما يُعنى[٦١] به هذا المنهج، كما نصَّ على عمله بذلك قائلًا: «منهجنا لا يعتمد على النقاش والتأويل بقدر ما ينبني على الشكل والوصف المجردين عن أيِّ سبب أو تعليلات»[٦٢]. ومع ذلك نجده يعلل بعض ما هو بصدد مناقشته من معطيات العربية معتذرًا حينًا من هذا التناقض بين التنظير والتطبيق، وغيرَ معتذر أحيانًا، ومن القبيل الأول ما في حديثه عن اجتماع القسم والشرط حيث قال: «على الرغم من أننا نؤمن بأن التبرير والتعليل ليس من دواعي المنهج الوصفي، إلا أن ذلك لا يمنعنا من أن نحاول أن نكتشف الغرض من ورود الجواب لواحد منهما دون الآخر»[٦٣]؛ ويعتذر بكر لعنايته ببيان أسباب بناء الكلم وإعرابه فيقول: «على الرغم من أن النحو الوصفي ليس من منهجه الوقوف على الأسباب الكامنة وراء فكرة الإعراب والبناء؛ لأنه ليس من الملائم لطبيعته البحث عن مثل هذه الأسباب، فإننا سنمر مرًّا سريعًا على فكرة البناء والسبب الذي ذكره النحويون لبناء الأسماء»[٦٤].

ومن القبيل الثاني، وهو كثير عند بكر تعليله استعمال القرآن أحيانًا لـ(ما) دالة على العاقل وغيره قائلًا: «وقد تستعمل (ما) للعاقل على غير بابها... ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٩]، وهكذا نرى أن التعبير بـ(ما) دون (من)؛ وذلك لأن المخلوقات التي تسبِّح الله جميعها تفوق البشر أضعافًا مضاعفة، فغلبت على البشر، ثم إن ذلك أدعى للكمال والتعظيم حيث يقف غير العاقل في درجة واحدة مع العاقل في

(٦١) انظر: النحو الوصفي، ١/ ١٩، ٢٢.

(٦٢) المصدر نفسه، ١/ ١٣٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ١/ ٢٠٢.

(٦٤) المصدر نفسه، ١/ ١٢٨.

تعظيم وتمجيد الله جل وعلا»[٦٥]. وفي معرض حديثه عن اتصال الضمائر وانفصالها، وتقديم الضمائر بعضها على بعض، يفسر ذلك بكر بنزوع اللغة إلى السهولة والتيسير على المتكلم والمخاطب، فيقول: «وهي كلها ترجع إلى التزام اللغة السهولة في التعبير والتيسير على كلٍّ من المتكلم والمخاطب في النطق وفي السمع»[٦٦]. ويبين بكر حكم جمع المركب المزجي جمع مذكر سالمًا معللًا هذا الحكم، فيقول: «أفضل الآراء أن يُجْمَع المركبُ المزجي جمعَ مذكر سالمًا، فيقال في سيبويه: سيبويهون... لأنه ما دام قد توفر عند جمعه جمعَ مذكر سالمًا عدم اللبس والخفة جاز جمعه مباشرة»[٦٧]. «ففي هذه الشواهد ونظائرها الكثيرة[٦٨] يتضح أن صاحب النحو الوصفي لم يحجم في دراسته للعربية عن تعليل أحكامها وظواهرها. ومن معالم ذلك العامة موقفه من نظرية العامل، فهو على عدم التزامه بالعلاقة التلازمية الوجودية بين أركان هذه النظرية الثلاثة لم يتخلَّ عنها[٦٩]. فإقراره بما هو معروف من أن العلامة الإعرابية أساس لنظرية العامل ممارسةٌ عملية منه لتعليل غائيٍّ تارة كما يفهم من تأكيده أن الإعراب موجود لبيان المعنى، وممارسة أيضًا لتعليل فاعليٍّ كما يفهم مثلًا من ربطه[٧٠] العِلِّيِّ الفاعليِّ لوجود الجزم في الفعل بوجود أدواته. وكل ذلك يوضح ويؤكد أن التعليل لم يغب عن فكر مَنْ تمثَّل المنهج الوصفي، ونص على أن هذا المنهج لا يُعنى بالتعليل في درسه للغة.

(٦٥) المصدر نفسه، ١/ ٣٥٣.

(٦٦) المصدر نفسه، ١/ ٢٩٧.

(٦٧) المصدر نفسه، ١/ ١١٢.

(٦٨) انظر مثلًا: المصدر نفسه، ١/ ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٩-١٢٥، ١٥٠، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٣-٢١٤، ٢٢٠، ٢٨٩-٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢/ ٧٠-٧١، ٧٩، ٨٠، ٩٠.

(٦٩) المصدر نفسه، ١/ ٩.

(٧٠) انظر: المصدر نفسه، ١/ ١٨٦-١٨٧.

والجدير بالذكر أن المرء لا يَعيبُ على صاحب النحو الوصفي تعليله لما هو بصدد مناقشته من مسائل العربية، فالتعليل سلوك بحثيٌّ لم يستطع التخلّيَ عنه عند التحقيق تمام حسان شيخ الوصفيين العرب نفسه(٧١). وما يؤخذ على بكر في هذا الكتاب كما يمكن أن يؤخذ على حسان أيضًا هو التناقض بين التنظير والتطبيق، وهو تناقض يمكن تلطيفه أو تخفيفه أو تفهمه بأنه إعراض عن التعليلات الذهنية المنطقية البعيدة عن طبيعة اللغة، والمفتعلة أو المتكلفة التي ابتُلِيَ بها النحو العربي، والتي هي ليست علة لما عُلِّلَ بها، وعلى أنه حرص على التعليل المتفق وطبيعة اللغة بنية ووظيفة وممارسة، وفي مقدمة ذلك أمن اللبس، والتعليل بالخفة والثقل. على أن ما يحسن التذكير به هو أن هذا التباين أو التناقض بين التنظير والتطبيق عند بكر في نحوه الوصفي هذا لم يقتصر على موقفه من التعليل فقط، بل يمكن أن نلحظه أيضًا في حضور ممارسات تأويلية في درس يتدثر بعباءة المنهج الوصفي.

نحو وصفي لم يتخلَّ عن التأويل:

أساس مفهوم التأويل في النحو العربي هو حمل الكلام على خلاف ظاهره، وذلك لأسباب دلالية، أو عقدية، أو صناعية غايتها رد النصوص التي

(٧١) يحسن ألا تخدعنا لعبة المصطلحات، فحقيقة نظرية تضافر القرائن التي عرفت حديثًا بتمام حسان، تقوم في جانب منها على التعليل أو التفسير، فهي تفسر كما نعرف ترخُّصَ اللغة بإحدى القرائن بالتعويل على قرينة أخرى، بل إن حسان نفسه ليعد من إنجازاته في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) أنه فسر بهذه النظرية بعض ما يعتبر من ظواهر الشذوذ في التركيب اللغوي، علمًا أن مصطلح التفسير في هذا السياق إنما يقصد به التعليل، وقد سبق أن استعمله سيبويه بهذا المعنى، وهو ما وُضِّحَ من قبل. انظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ط، دار الثقافة - الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص٩، ومحمد فلفل، الشاذ عند أعلام النحاة، ط١، مكتبة الرشد - الرياض، ٢٠٠٥، ص٥.

لم تستوعبها القاعدة إلى بيت طاعتها[٧٢]، لذا كان من الطبيعي أن يُعْرِض الوصفي العربي[٧٣] عن التأويل في دراسته للظاهرة اللغوية؛ لأن الوصفية تعتمد «على وصف ما هو موجود فعلًا، أي: وصف النصوص اللغوية كما هي دون فرض نظريات أو قواعد عليها، ومحاولة إدخال هذه النصوص تحت هذه القواعد»[٧٤] كما يقول بكر الذي يؤكد أن المنهج الوصفي «لا يتدخل في النص بتأويل أو تعليل، ولكنه يصفه كما هو»[٧٥]. وقد كان لعمل بكر بمقولة الحمل على الظاهر هذه أثر في آرائه أو اختياراته في معالجة مسائل العربية، وذلك على نحو يُظْهِرُ توسع الرجل كما سنلاحظ في استثمار مقولة الحمل على الظاهر، والعزوف عن التأويل نظريًّا على الأقل، على أن ما يعنينا فيما نحن فيه من الحديث عن موقفه من التأويل أن إيمانه بالحمل على ظاهر الواقعة اللغوية وتوسعه في العمل بمؤدى هذه المقولة فيما اتخذه من آراءٍ ومواقف لم يحولا كليًّا دون حمله التركيب أحيانًا على خلاف الظاهر، مما يعد ضربًا من ضروب التأويل. ومن هذا القبيل قوله بتقديم الخبر وتأخير المبتدأ في نحو (قائم زيد)[٧٦]، وإقراره أحيانًا بالإعراب التقديري، كقوله: «على الرغم من أننا أنكرنا فكرة المحل الإعرابي للضمائر عامة....فإننا سنجاري النحاة في فكرتهم عن الإعراب المقدر الذي أثبتوه للضمير بصفة عامة، وللضمير العائد

(٧٢) انظر: محمد فلفل، المعنى في النحو العربي، ط١، الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق، ٢٠٢١، ص٦٧ وما بعدها.

(٧٣) انظر: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص٥٢، ومحمد عيد، أصول النحو العربي، ص ١٨١-١٨٤.

(٧٤) النحو الوصفي، ١/ ٧، وانظر: ١/ ١٣٠.

(٧٥) المصدر نفسه، ١/ ١١٩، و انظر: ١/ ٣٩٣.

(٧٦) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٤٢، ٨٨.

(أي: من جملة الصلة إلى الاسم الموصول) هنا بصفة خاصة»[٧٧]؛ وإنَّ فكرة الحذف في اللفظ ونية الإضافة في المعنى «فكرة جائزة ما دامت القرينة تشير إلى المحذوف، وإن كل صيغة مهما كانت جوهريتها في التركيب يجوز حذفها ما دامت القرينة موجودة واللبس مأمونًا»[٧٨]؛ ولو كان المحذوف أحد طرفَيِ الإسناد اللذين لا يقوم للجملة عنده قائمة بدونها، إذ: «لا يحذف (كما يقول) محتوى عنصري الإسناد أو أحدهما، لأنهما طرفا الموقف اللغوي، والموقف اللغوي لا يفهم إلا بوجود طرفيه، فعلينا إذن أن نفرق بين حذف العنصر الكلامي (اللفظ)، وذلك جائز، وحذف أحد طرفَيِ الموقف اللغوي، وذلك غير جائز، لأننا عند حذف أحد طرفَيِ الموقف اللغوي نتحدث عن فراغ، ونحكم على لا شيء إذا كان الحذف للمسند إليه، أو أن هناك متحدَّثًا عنه دون أن نعرف مضمون ذلك الحديث عند حذف المسند، وحينئذٍ فلا قيمة للمسند إليه»[٧٩]؛ فبكر يقر بأن الإسناد أسُّ الجملة، وأن أحد طرفيه قد يحذف اللفظ المعبر به عنه لدلالة قرينة على معناه، على أن سقوط هذا اللفظ كما يقول لا يعني الاستغناء عن محتواه، ولكن يعني الاستغناء عن لفظه الذي لا داعي إلى تقديره عنده البتة؛ فالرجل يقول بالجملة الوحيدة الركن أو الوحيدة الطرف[٨٠]، ويستعين للإقناع بآرائه هذه استعانة غير موفقة[٨١] بحديث صاحبي (معنى المعنى) عن المثلث الدلالي[٨٢] القاضي بأن المعنى الذي يثيره الدال (اللفظ)

(٧٧) المصدر نفسه، ١/ ٣٧٣-٣٧٤.

(٧٨) انظر: أوغدن ورتشاردز، معنى المعنى، تر. كيان أحمد حازم يحيى، ط. دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت ٢٠١٦، ص٧٠.

(٧٩) النحو الوصفي، ٢/ ٩٤.

(٨٠) انظر: النحو الوصفي، ٢/ ١٠٥.

(٨١) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ١٠٤-١٠٥.

(٨٢) انظر: أوغدن ورتشاردز، معنى المعنى، تر. كيان أحمد حازم يحيى، ص٧٠.

في الذهن لا يطابق بالضرورة المرجعَ أو المُحال إليه في عالم الواقع؛ وعدم وجاهة استعانة بكر بمقولة المثلث الدلالي للتدليل على صحة قوله بعدم الحاجة إلى تقدير لفظ الركن المحذوف مع إرادة معناه = تتجلى في أن أوغدن ورتشاردز يتحدثان في فكرة المثلث الدلالي عن المعنى الإفرادي للعلامة اللغوية، وأنهما لا يريدان بحديثهما هذا ألبتة إسقاط الدال (اللفظ) من الحسبان، إذ لا يمكن التخلي عن أي ضلع من أضلاع المثلث الممثلة للعلامة اللغوية في تصورهما هذا، أما بكر فيتحدث هنا عن الإسناد، والإسناد مفهوم تركيبي يقتضي بالضرورة لفظين يمثلان المسند والمسند إليه، وسقوط لفظ أحدهما لدلالة القرينة على معناه لا يعني ألبتة عدم الحاجة إلى تقدير لفظه عند تحليل التركيب، لأن المعاني مفردة أو مركبة نفكر بها في أذهاننا مقترنة بحواملها اللفظية، وهذا الاقتران هو شرط وجودها الذهني، وهو ما يؤيده تحليل بكر نفسه للتراكيب التي حذف منها أحد ركني الجملة، ففي حديثه مثلًا عن حذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران: ١٩٧] يقول: «قوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ خبرٌ عن المبتدأ المفهوم من السياق، أي ذلك، أو هذا متاع قليل»(٨٣). ويقدر بكر الخبر المحذوف في قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، فيقول: «أي: وظلها دائم، فحذف الخبر دائم، لدلالة الأول عليه، في قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾»(٨٤). وعلى هذا النحو يقدر بكر(٨٥) المحذوف من ركنَيِ الجملة لدلالة السياق عليه، بل ربما قال بتقدير الفعل وفاعله معًا. ومن هذا القبيل قوله بما قيل من أن (مسحًا) في قوله تعالى:

(٨٣) النحو الوصفي، ٢/ ٩٨.

(٨٤) المصدر نفسه، ٢/ ١٠٤.

(٨٥) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٩٨-١٠٤.

﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] مفعول مطلق لفعل محذوف، وذلك في حديثه عن خبر الفعل الناقص (طفق) حيث قال: «وقد ورد ما يدل على الخبر مفردًا في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، وهو ليس الخبر، ولكنه حلَّ محلَّه، ونحن وإن كنا لا نميل إلى فكرة التقدير للمحذوف إلا أننا لا نمنع ورود الحذف هنا، لأنه له سند لغوي، وهو وروده بصورة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]»(٨٦)، بكر في ذلك يمارس التأويل بأجلى صوره، وذلك بتقدير ما ليس في ظاهر النص مقرًّا عمليًّا بتعذر تطبيق مقولته الوصفية الداعية إلى الاقتصار على ما في ظاهر الواقعة اللغوية لدى دراستها. ولعل قصور هذه المقولة هو ما حمل داود عبده على أن ينقد موقف الوصفيين العرب عامة من التقدير، بقوله: «إن التقدير في اللغة ليس مرفوضًا من حيث المبدأ، وإن كثيرًا من تقديرات لغوينا القدماء يحتمها واقع اللغة العربية وتركيبها»(٨٧). ولعل الأقرب إلى الصواب في تصوير موقف بكر من التقدير والتأويل هو أن نفرق بين تأويلٍ أو تقديرٍ يدعو إليه المعنى، وتستدعيه أو تسمح به طبيعة اللغة القائمة في الغالب على توضيح المعنى وأمن اللبس، وهو ما لم يرفضه الرجل عمليًّا كما لاحظنا، وبين التقدير أو التأويل الذي يأتي انصياعًا لأصول نظرية العامل أو غيرها من التصورات العقلية الغريبة عن اللغة طبيعة ووظيفة؛ فهذا الضرب من التقدير والتأويل هو ما رفضه بكر كما يفهم من قوله: «نرفض أيضًا ما قال فيه القدماء بالحذف الواجب، وهو ما سميناه بالضمائم المتنافي ورودُها، أيِ: التي لا تنضامُّ في الجملة، ذلك لأن الموقف اللغوي لا يقرها، ولا يشعرنا بأن لها

(٨٦) النحو الوصفي، ٢/ ٣٣٨.

(٨٧) داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ط مكتبة لبنان - بيروت، ١٩٧٣، ص٢٦.

وجودًا، فالقول بحذف الفعل وجوبًا في أبواب مثل الاشتغال والتنازع، والمصادر المنصوبة على اعتبار أنها حالَّة محلَّ فعل مثل قولهم: سبحان الله... إلى آخر هذه الأبواب بأن فيه ضمائمَ محذوفة وجوبًا»[٨٨].

وصفية تمارس حكم القيمة:

من المعروف أن اللسانيات العامة لا تمارس حكم القيمة على ما تدرسه من اللغات، ذلك أنها لا تفاضل بين لغات البشر، أو بين اللهجات[٨٩]، فالوصفيون كما يقول إسماعيل العمايرة: ينظرون إلى «اللهجات نظرة متكافئة من حيث أهمية كل لهجة في التعبير عن فئتها، وقد ينظر إلى هذه اللهجات غيرُ هذا المنهج باعتبار لهجة أفضل من لهجة»[٩٠]، أما بكر فيما سماه نحوًا وصفيًّا فقد يفضل استعمالًا على استعمال، فبعد أن دلل بالنصوص على استعمال (الألاء) اسمًا موصولًا، فضَّل ألا تستعمل إلا اسم إشارة، فقال: «انتقل ضمير الموصول (الألاء)من اسم الإشارة إلى الموصول، ونحن نفضل أن يقتصر استعمال (الألاء) حسب استعماله الأصلي، أيِ: استعمال ضمائر الإشارة، لا ضمائر الموصول»[٩١]. وقد يمارس بكر على الظاهرة حكم القيمة، فتتراءى له بعض الاستعمالات اللغوية ضعيفة[٩٢]، أو متفاضلة في الفصاحة، ففي تعليقه على إحدى الظواهر يقول: «ربما كانت لغات بعض القبائل التي لم تَرْقَ إلى مستوى

(٨٨) النحو الوصفي، ٢/ ٩٧. وانظر: ٢/ ١٠٣-١٠٤.

(٨٩) انظر: حافظ إسماعيلي علوي، «نحن واللسانيات، بحث في إشكالات التلقي» [مبحث في كتاب] اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص١١٨.

(٩٠) إسماعيل العمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، ط٢، دار حنين – عمان، ١٩٩٢، ص ١٠٩.

(٩١) النحو الوصفي، ١/ ٣٤٨.

(٩٢) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٣٣٩.

الفصحى»[٩٣]. وهذا ما نجده في حديثه عن اقتران (لعل) بنون الوقاية، فقد نص على أن عدم اقترانها به أكثر، ثم قال: «لم ترد في القرآن مع ياء المتكلم مفصولة عنها بالنون، وهذا الاستعمال أفصح من استعمالها مفصولة بالنون»[٩٤]، والمماثلة الإعرابية في الاسم بعد (لا) النافية في حال تكرارها أفضل عنده من المخالفة؛ لأنها لم ترد في القرآن[٩٥]. وقد يسقط بكر من حساباته بعض الظواهر اللهجية لما في ذكرها أو العناية بها من اضطراب في القاعدة أو غموض، ومن هذا القبيل ما في حديثه عن الاختلاف في إعراب جمع المذكر السالم حيث قال: «نحن لا نأخذ إلا بالإعراب الأصلي الواو والنون والياء والنون مع الأخذ بعين الاعتبار أن ذلك كله يقبل الجدل، لأنه قائم على فروض متخيلة، أو لهجات قبلية غير معتد بها»[٩٦]. ومما أسقطه بكر من اعتباراته لغتا الحذف أو القصر في الأسماء الستة، فقال: «يذكر النحويون أن هناك إعرابين آخرين لهذه الأسماء الستة، هذان الإعرابان يسميان لغة النقص، ولغة القصر....وهذه لغات تخالف لغة العامة، والبعدُ عنها أفضلُ من الخوض في تفصيلاتها، لأن ذكر اللغات الخاصة يعقد الأمور، ويشوش الأفكار، فضلًا عن أنه لا يمثل إلا قلة من المتعاملين مع اللغة، لا يُعْتَدُّ بهم، في تقعيد القواعد، وضبط اللغة»[٩٧]. فهذا النص لا يشي فقط بممارسة بكر المتدثر بالمنهج الوصفي حكم القيمة في دراسته لظواهر العربية وإسقاطه بعض هذه الظواهر فقط، بل يشي أيضًا بحرص الرجل على

(٩٣) المصدر نفسه، ١/ ٣٣٠.

(٩٤) المصدر نفسه، ١/ ٣٠٩-٣١٠.

(٩٥) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٩٦) المصدر نفسه، ١/ ١٢٠.

(٩٧) المصدر نفسه، ١/ ٩٠، ولنظير ما جاء هنا انظر: ١/ ٣٣٠، ٣٥٩.

البعد التعليمي فيما سماه نحوًا وصفيًّا، فحقيقة هدفه كما سنرى أن يقعد قواعد مطردة تضبط اللغة، وتحافظ عليها، وهذا ما ليس من مهام الوصفية كما قدمها هو نفسه على الأقل.

وصفية تقعد القواعد لضبط اللغة:

معروف أن الغرض التعليمي ليس من أهداف المنهج الوصفي، فهو يُعنى كما يقول براونكيث وجيم ملر بـ«وصف حقائق اللغة وصفًا منهجيًّا وكاملًا وموضوعيًّا... دون تقديم قواعد تبين كيفية استعمال اللغة المثالي المفترض»(٩٨). وقد لاحظنا من قبل نص بعض الوصفيين – ومنهم بكر نفسه – على أن الهدف التعليمي، وتقنين اللغة بقواعد ليس من مهام الوصفية أو من أولوياتها. والراجح أن ذلك لا يعبر بدقة عما في الوصفية عامة، ففي معرض حديثهما عن وصفية هاريس يقول ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: «يتم الوصف اللساني على مرحلتين: جَرْد الوحدات البنيوية للغة أولًا، ثم من بعد ذلك تحديد القواعد التي تربط بينها»(٩٩)؛ وفي السياق نفسه يقولان: إن هدف هاريس «هو تعميم منهج يستطيع الإحاطة باشتغال اللغة، ويشمل عملُه مُشْكِلَ الاستثناءات، أيِ: الظواهر التي يمكن ألا تخضع للقواعد المستخلصة من معالجة الملفوظات. ولحل هذا المشكل يحتفظ بمبدأ القواعد العامة، ويقترح القيام باستثناءات لتأليفات خاصة من قواعد النحو العامة، أو بتوسيعات للقواعد العامة»(١٠٠). وما يعنينا من حديث بافو وسرفاتي عن هاريس أن

(٩٨) راشد عبد الله المنصور، الوصفية في اللسانيات العربية الحديثة، دراسة في التلقي والتوظيف، ص١٣.

(٩٩) ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر. محمد الراضي، ط١، المنظمة العربية للترجمة – بيروت، ٢٠١٢، ص٢٥٣.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

الوصفية معنية عند بعضهم على نحو ما بالتقعيد، بل إن تمام حسان لينص على أن الوصف يجب أن ينتهي إلى التقعيد، ففي معرض حديثه عن اللغة، يقول: «ولا بد لها والحالة هذه أن تُدْرَس على نحو ما تدرس الظواهر الاجتماعية بالملاحظة، ثم الاستقراء، ثم التقعيد»(١٠١). والوصفية عند حسان «تختار مرحلة بعينها من لغة بعينها لتصفها وصفًا استقرائيًّا، وتتخذ النواحيَ المشتركة بين المفردات الداخلة في هذا الاستقراء، وتسميها قواعد»(١٠٢). ويوضح حسان طبيعة القاعدة الوصفية، فيقول: «القاعدة في الدراسة الوصفية ليست معيارًا، وإنما هي جهة اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية»(١٠٣). إذن الوصفيون ينتهون إلى قواعد كما انتهى من قبلهم النحو العربي المعياري إلى قواعد، فما الفرق بين قواعد النحوَين الذي حمل وصفيًّا مثل صلاح الدين بكر على أن يقدم نحوًا وصفيًّا بديلًا عن قواعد نحونا المعياري؟ الجواب ببساطة تهمة لا يمكن التسليم بها على إطلاقها، مفادها عند أيوب أن النحو التقليدي «لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل إنه يبني القاعدة على أساس من اعتبارات عقلية أخرى، ثم يعمد إلى المادة، فيفرض عليها القاعدة»(١٠٤). وعلى الرغم من أن ما نسبه أيوب إلى النحو التقليدي عامة لا ينطبق بدقة على النحو العربي، بغض النظر عما كان للفكر الفلسفي والتخيلات الذهنية من أثر سلبي في قواعد هذا النحو وضوابطه نجد بكرًا يسير في نظرته هذه إلى النحو العربي على خطا أيوب، فيقول: «في هذا البحث حاولنا أن نتخطى المناهج التقليدية (المعيارية) تلك المناهج التي جعلت النص خاضعًا للقاعدة، إلى منهج جديد

(١٠١) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة – الدار البيضاء – ١٩٨٠، ص١٥.
(١٠٢) المصدر السابق، ص١٨.
(١٠٣) المصدر السابق، ص١٨.
(١٠٤) عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص. د.

هو المنهج الوصفي، أو الشكلي الذي يعتمد على النص، ويجعل له الكلمة الأولى والأخيرة»[١٠٥]. وينص بكر على أن المنهج الوصفي الذي يتبعه خلافًا للمنهج المعياري ليس بصدد التعلم وما يتطلبه من قواعد يُحْرَصُ على تعلمها، فيقول: «لقد كان اللجوء إلى الأقيسة سمة من سمات المنهج المعياري، ذلك لأنه نحو تعليمي، يحتاج فيه المتعلم إلى مثال... أما في النحو الوصفي فلسنا بصدد التعلم، ولكننا بصدد الوصف»[١٠٦]. وهذا الكلام يوهم بأن بكرًا في نحوه الوصفي هذا يتجنب وضع القاعدة الضابطة لاستعمال اللغة استعمالًا صحيحًا. والحقيقة أن الأمر ليس كذلك، فغايته من نحوه الوصفي هذا هي كما يصرح هو نفسه غاية النحو المعياري نفسها، وهي المحافظة على قواعد لغة القرآن صونًا لها من اللحن والضياع[١٠٧]، لذا ترى لديه حرصًا على وضوح الموقف معياريًّا، لذلك يتجنب عرض الظواهر اللهجية الخاصة التي تعكر صفو الموقف القاعدي المعياري[١٠٨]؛ وقد يصف التركيب بالصحة[١٠٩] إشارة إلى أن غيره ليس صحيحًا، وقد ينص على أن الظاهرة مقصورة على السماع[١١٠]، كما ينص على ما لا يجوز إلا في الشعر[١١١]، شأنه في ذلك

(١٠٥) النحو الوصفي، ١/ ٤٤٥. وانظر ٢/ ٦٥، ١١٢، ١٧٢، ٢٤١.

(١٠٦) النحو الوصفي، ١/ ٢١.

(١٠٧) انظر: النحو الوصفي، ٢/ ١١٧.

(١٠٨) يقول تعقيبًا على بعض هذه الظواهر في النحو الوصفي، ١/ ٣٥٩: «نحاول أن نقتصر على اللغة العامة دون الولوج من باب اللهجات، فذلك أمر يطول شرحه، ويؤدي إلى التفريع المؤدي إلى الغموض الذي نحاول أن نتجنبه بقدر الإمكان».

(١٠٩) انظر: المصدر السابق، ١/ ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٩، ٣٤٥.

(١١٠) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(١١١) انظر: المصدر نفسه، ١/ ٤٦، ٥٥، ١٨٢، ١٩٠، ٢٠٤-٢٠٥، ٢١٨، ٢٥٦، ٢/ ٢٣٨.

شأن نحونا المعياري، وقد ينبه على ما يجوز[١١٢]، وما لا يجوز، فالنكرة عنده «إن أفادت جاز الابتداء بها، وإلا فلا»[١١٣]، وها هو ينص على عدم جواز كون جملة الصلة جملة إنشائية مع بيان سبب ذلك، فيقول: «لا يجوز في جملة الصلة أن تكون إنشائية، ذلك لأن الصلة بالنسبة للموصول تقوم بدور التوضيح لذلك المبهم الذي هو الموصول، ولا يكون التوضيح إلا بالحكم، والحكم لا يكون إلا بوسيلة الخبر، وليس بوسيلة الإنشاء»[١١٤].

ومن الواجب عند بكر اتصال اسم الفعل (قد، وقط) بنون الوقاية، فـ«إنِ استُعمِلا اسم فعل ففي هذه الحالة يجب الفصل بالنون، ولا تستعملان دون فصل بالنون»[١١٥]، ففي هذا النص يحرص بكر على بيان ما لا يجوز في الاستعمال اللغوي مع التعليل، مما يشي بنزعة تعليمية معيارية في نحو يتدثر بعباءة الوصفية؛ بل إن بكرًا حريص على أن يخضع الاستعمال اللغوي لقواعد مأمونة لا تتغير، كما يفهم من حديثه عن موصولية (ذا)واستفهاميتها مع كل من(من) و(ما) حيث قال: «وحينما نحاول أن نحقق ما قاله النحاة بخصوص استقلال كل من (ما) و(من) عن (ذا) نجد أن الأمر يرجع إلى نفس المتكلم، لا إلى قواعد مأمونة لا تتغير...»[١١٦]. ولا يروق بكرًا تركُ الأمر لنفس المتكلم مع غياب القاعدة الضابطة للاستعمال، فيعلق على احتمال أن تكون كل من (ماذا) و(منذا) كلمة واحدة، وأن يكون كل منهما كلمتين مكونتين من إحداهما، ومن (ذا) التي تحتمل الاسمية الموصولية،

(١١٢) انظر: المصدر السابق، ١/ ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٨١، ٤٢٠.

(١١٣) المصدر السابق، ٢/ ٦٧.

(١١٤) المصدر السابق، ١/ ٣٦٧.

(١١٥) المصدر نفسه، ١/ ٣١١.

(١١٦) المصدر نفسه، ١/ ٣٥٤.

أو الحرفية والزيادة، فيقول: «الأمر إذن راجع إلى ذهن المتكلم وما يقصده، وحينما نلجأ إلى السياق لا نرى ما يحول دون قصد المعنيَيْنِ إلا إذا جاء بعدهما مفرد... وفي غير ذلك يجوز الأمران: الموصولية والاستفهامية، ونحن بناء على ما تقدم نرى ألا نترك الأمر لقصد المتكلم إن شاء جعلهما (منذا - ماذا) موصوليتين، وإن شاء جعلهما استفهاميتين، بل نخصهما بالاستفهام منعًا للبس والغموض»(١١٧). ففي هذا المقبوس ما يوضح أن بكرًا في نحوه الوصفي هذا يمارس ضربًا من ضروب التحكم بالاستعمال اللغوي، شأنه في ذلك شأن النحو المعياري الذي طالما عاب عليه هذا التحكم.

على أن ما بيناه من حرص بكر على تحديد موقفه المعياري من الحالة اللغوية، بالحكم عليها بالجواز أو الوجوب أو الامتناع، لا يعني أن حكمه المعياري التعليمي واضحٌ دائمًا، بل قد يلفه الغموض مع حرصه على بيانه، وهذا ما يلاحظ في حديثه عن اقتران جواب الشرط بالفاء، فبعد أن ذكر حالات وجوب ذلك عند النحاة، قال: «الحق أن الفيصل في ذلك هو فهم المعنى وتماسك العبارة، فقد يأتي الجواب دون اقتران بالفاء، فلا نحس بخلل في العبارة، وقد لا يكون الأمر كذلك...وهكذا يرجع الأمر إلى ظروف الكلام أكثرَ مما يرجع إلى التقعيد في هذه المسألة، ولكن ذلك لا يعفينا من أن نقرر أن الأصل هو اقتران الجواب بالفاء، في هذا الموضع، وإن جاء بدونها في بعض الأحيان»(١١٨)؛ فهذا كلام يوضح توضيحًا لا لبس فيه حرص بكر على بيان حكم الحالة التقعيدي، كما يوضح أن هذا الحكم لديه قد يكون قلقًا غامضًا. ومن هذا القبيل وصف الحالة بالقلة أو الندرة،

(١١٧) المصدر نفسه، ١/ ٣٥٥.

(١١٨) المصدر نفسه، ١/ ١٩٢.

أو بخلاف الغالب، أو بخلاف الأشهر[١١٩] فقط كما يفعل نحونا التقليدي أحيانًا، علمًا أن هذا الوصف غير واف قواعديًّا[١٢٠]؛ فلا يبين كونُ الموصوف بذلك جائزًا أو ممتنعًا. وقد يعبر عن حكم الحالة بعبارة (قد يكون كذا)، فقد بيَّن مثلًا أن (من) الموصولة تستعمل في العاقل، ثم قال: «وقد تستعمل في غير العاقل»[١٢١]، كما بين أن باب (ما) أن تستعمل لغير العاقل، ثم قال: «وقد تستعمل (ما) للعاقل على غير بابها»[١٢٢]. ولا شك أن عبارة (قد يكون كذا) قاصرة معياريًّا، فلا تبيِّنُ: أهذا الموصوف بذلك جائز أو ممتنع؟ وقد يعرض بكر حالات بلا تمييز في سياق واحد مع أن بعضها جائز، وبعضها شاذ مقصور على السماع[١٢٣]، بل ربما عرض الحالة عرضًا يوهم بوجوبها مع أنها جائزة[١٢٤]، وقد يمنع الحالة، وهي جائزة

(١١٩) انظر: المصدر نفسه، ١/ ١٨٤-١٨٥، ٢١١، ٢١٤، ٣٠٩، ٣١١، ٣٤٥، ٣٤٧، ومما وصفه ١/ ٣٤٣بخلاف الأشهر إعراب (الذين) بالياء نصبًا وجرًّا، وبالواو رفعًا.

(١٢٠) من المعروف أن الدلالات المعيارية لمصطلحات القلة و الندرة والقبح غير واضحة في استعمال النحاة، فقد يعبر بها عن المقيس الجائز، وعن المقصور على السماع. انظر: محمد فلفل، مالم يطرد في قواعد النحو والصرف، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية/ جامعة دمشق، ١٩٩٣، ص ٣، ٨٦، ٩٦، ١١٩.

(١٢١) النحو الوصفي، ١/ ٣٤٨.

(١٢٢) المصدر نفسه، ١/ ٣٥٢.

(١٢٣) وذلك ما فعله في حديثه عن زيادة(أنْ)حيث ذكر أنها تزاد بين المتلازمين كـ(لمَّا) وما أضيفت إليه، وهذا جائز؛ وبين الكاف الجارة ومجرورها، وهذا مقصور على السماع. انظر: المرادي، الجنى الداني، تح. فخر الدين قباوة وزميله، ط٢، دار الآفاق - بيروت، ١٩٨٣، ص٢٢١-٢٢٢.

(١٢٤) وهذا واضح في حديثه عن حركة لام الأمر حيث قال في النحو الوصفي، ١/ ١٨٤: «أما إذا تقدمت عليها الفاء أو الواو... فإن ظروف السياق تقتضي جزمها» فقوله: (تقتضي) يوهم بوجوب إسكان لام الأمر، علمًا أنه جائز عند النحاة عامة مع الواو والفاء، واختلف فيه مع (ثم). انظر: المرادي، الجنى، ص١١١.

أيضًا[١٢٥]. وكل ذلك يعني أن بكرًا في نحوه الوصفي هذا كان يحرص أحيانًا على تحديد حكم الحالة، ولكن هذا الحكم لا يندر أن يكون عنده غامضًا أو غائمًا أو غير صحيح، مما يشي بأن الرجل جمع في عمله هذا بين منهجين أقر هو نفسه بتناقضهما، وذلك ببساطة لأنه تتنازعه غايتان متباينتان إلى حد التناقض، فهو شديد الرغبة في الاقتصار على وصف الظاهرة اللغوية، إضافة إلى رغبته في تحديد الحكم التعليمي لهذه الحالة، مما يعني أن شديد إعجابه بالمنهج الوصفي لم يقوَ على أن يجتث من تفكيره مقولات أساسية في النحو المعياري، على أن ذلك لا ينفي البتة ما كان لتوجهه الوصفي في هذا العمل من أثر في آرائه النحوية، وهو ما سنحاول بيانه فيما يلي.

من تبعات الوصفية في آراء بكر ومواقفه:

أفضى عمل بكر بالمنهج الوصفي إلى العناية بما في ظاهر الواقعة اللغوية معرضًا عما تراءى له في النحو العربي من التصورات الذهنية أو المنطقية المفتعلة وتبعاتها[١٢٦]، كنظرية الأصل والفرع وما ترتب عليها[١٢٧]، كما أنكر التقدير عامة[١٢٨]، واستتارَ الضمير[١٢٩] خاصة، مما انتهى به إلى اتخاذ مواقفَ وآراءٍ، تنطوي على قدر من الغرابة لتفرُّده بها تارة، أو لندرة من قال بها إن كان مسبوقًا إليها تارة أخرى، ذلك أن كثيرًا من

(١٢٥) منع بكر في النحو الوصفي، ٢/ ٨١ كون خبر المبتدأ جملة إنشائية معللًا ذلك، وقد أجاز غير قليل من النحاة ذلك، وفي مقدمتهم سيبويه: انظر: محمد فلفل، معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، ط١، دار العصماء – دمشق، ٢٠٠٩، ص ٩٩.

(١٢٦) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٧٧.

(١٢٧) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٦٧، ٧٧، ١٤١، ١٩٩، ٣٥٨.

(١٢٨) انظر: النحو الوصفي، ١/ ١٢٦، ١٧٦، ٤٢٥.

(١٢٩) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٣٠٣.

آراء بكر قال به قبله المعنيون بتيسير النحو العربي ونقْدِه، ولا سيما الوصفيين، وفي مقدمتهم عبد الرحمن أيوب، وتمام حسان؛ فقد تمثل بكر قولًا وعملًا ما اعتمده حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) من ربط للشكل أو المبنى بالمعنى(١٣٠)، كما تمثل قولًا وعملًا نظرية حسان في تضافر القرائن(١٣١)، ومقولته في قيام عمل اللغة على القيم الخلافية(١٣٢) ذات الأصول الوصفية السوسيرية(١٣٣)، كما قال بكر بقسمة حسان السباعية للكلم(١٣٤)؛ بل يمكن القول بغير قليل من الاطمئنان: إن صنيع بكر في نحوه الوصفي هذا إنما هو تطبيق عملي على مختلف أبواب النحو العربي لمقولات حسان البنيوية المتمثلة بنظرية تضافر القرائن، وبالقيمة الخلافية

(١٣٠) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٣٤، و تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، ط، دار الثقافة – الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص٩. ولوحظ أن حسان في مسعاه هذا متأثر بوصفية روبرت فيرث الوظيفية، وبعبد القاهر الجرجاني. انظر: إيمان حشاني، جهود اللسانيين العرب في إعادة وصف العربية، تمام حسان من خلال مصنفه «اللغة العربية، معناها ومبناها» نموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر – بسكرة، قسم الآداب واللغة العربية، ٢٠١١-٢٠١٢ ص ٣٠١.

(١٣١) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٩-١٠، ٢٤، ٧٠، ١٢٢، ٢/ ١٠٣-١٠٤. وانظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ط، دار الثقافة – الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص.١٣٤، ١٨٠-١٨٢.

(١٣٢) انظر: النحو الوصفي، ١/ ١٥٩، ١٦١، ٤٢٦، وتمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط، دار الثقافة – الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص٩-١٠، ٦٧، ١٤٦، ١٧٨.

(١٣٣) انظر: فردينان ده سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر. يوسف غازي، ومجيد نصر، ط دار نعمان للثقافة، جونيه- لبنان، ص١٣٢، ١٤٣، ١٤٤، ويقول ص ١٤٤: لا وجود في اللغة إلا للاختلافات.

(١٣٤) انظر: النحو الوصفي ١/ ٤٤٦. ومعروف أن القول بالقسمة السباعية للكلم أول من قال بها من المحدثين تمام حسان. انظر كتابه، اللغة العربية معناها ومبناها، ط. دار الثقافة – الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص٨٦، وما بعدها.

وبربط الشكل بالمعنى ربطًا يراعي تفاعل المقال بمعطيات السياق والمقام عامة؛ وقال بكر بالجملة الوصفية(١٣٥)، وبالجمة الوحيدة الركن(١٣٦)، وذلك على إيمانه كما لاحظنا بأن الإسناد أساس الجملة(١٣٧)، وقال بالمورفيم الصفري(١٣٨)، كما قال بدلالة الفعل على الإسناد(١٣٩)، وبضميرية تاء التأنيث الساكنة وفاعليتها(١٤٠)، وضميرية أحرف المضارعة(١٤١)، وبتقديم

(١٣٥) انظر: النحو الوصفي ١/ ١٧٧، ٢/ ١٩-٢٠، ٣٨-٤٠. ولمفهوم الجملة الوصفية، ولمسوغات القول بها عند الوصفيين انظر: محمد فلفل، مراجعات في النحو العربي، ط١، الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق، ٢٠١٨، ص٣٥.

(١٣٦) انظر: النحو الوصفي ١/ ٢١٥، ٢/ ١٠٥، ١١٩. و للمزيد حول القول بالجملة الوحيدة الركن والقائلين بها انظر: محمد فلفل، مراجعات في النحو العربي، ص٧٠.

(١٣٧) انظر: النحو الوصفي، ٢/ ١٠، ٢١، وقال ٢/ ٩٤: لا يحذف محتوى عنصرَيِ الإسناد أو أحدهما؛ لأنهما طرفا الموقف اللغوي، والموقف اللغوي لا يمكن أن يفهم إلا بوجود طرفيه.

(١٣٨) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٢٦١، ٢٦٤، ٢٩٩، ٢/ ٦٢. والمراد بذلك عدم علامة غير المعلم علامة مقيسًا بالمعلَّم، أي: أن عدم العلامة علامة، وممن أشار إلى ذلك سوسير. انظر: محاضرات في الألسنية العامة، تر. يوسف غازي، وجوزيف نصر، ط١، دار نعمان للثقافة، جونيه - لبنان، ص١٠٩، ١٦٩.

(١٣٩) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٣٠١. ويبدو أن بكرًا متأثر بلا توثيق في ذلك بأيوب في (دراسات في النحو العربي، ص٧٧). وللمزيد عن القول بدلالة الفعل ببنيته الصرفية على الإسناد عند القدماء والمحدثين، انظر: محمد فلفل، مراجعات في النحو العربي، ص١٥٣.

(١٤٠) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٢٦١، ٣٠٢. وسياق حديث بكر عن ضميرية تاء التأنيث وفاعليتها يوحي بأنه متأثر بعبد الرحمن أيوب، وإن لم يشر إلى ذلك. قارن ما جاء عنده بما عند أيوب في (دراسات نقدية في النحو العربي، ص ٧٥)، وإن كان أيوب يقول بفاعلية هذه التاء سواءٌ أذكر معها الاسم الظاهر نحو: (جاءت هند) أم لم يذكر، نحو: (هند جاءت) وأما بكر فيرى حرفيتها في الأولى وضميريتها وفاعليتها في الحالة الثانية.

(١٤١) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٣٠٣. والقول بأن أحرف المضارعة ضمائر قال به من قبل عبد الرحمن أيوب. انظر: دراسات نقدية في النحو العربي، ٧٥، ٧٨.

الفاعل على فعله[١٤٢]، وبمبتدأية الاسم بعد (إذا) عاملًا برأي الأخفش، ومعللًا ذلك بأنه يأخذ «بظاهر النص دون بحث عما وراءه من احتمالات»[١٤٣]، لذا أعرض عما يعرف بالإعرابين التقديري والمحلي، وأكد أن الإعراب ليس منه ما سماه النحاة مقدرًا[١٤٤]؛ و لهذا جعل من المبنيات كل ما لم يَظْهَرِ الإعرابُ على آخره من المعربات الفعلية والاسمية، كالأسماء المقصورة، والمنقوصة والمضافة إلى ياء المتكلم[١٤٥]، واكتفى في إعراب الجمل بذكر وظيفتها النحوية من خبرية أو وصفية أو حالية دون ذكر لمحلها الإعرابي[١٤٦]. ولعل ذلك منه نسف لنظرية العامل على عدم رفضه لها[١٤٧]، ذلك أن العلاقة بين أركان نظرية العامل الثلاثة عند النحاة كما هو معروف وكما بين بكر نفسه علاقة تلازمية وجودية، فإذا وجد بعض هذه الأركان فلا بد من تقدير سائرها إن لم يكن موجودًا، وهو ما أنكره بكر، فقال: «إن السبب في القول بتقدير إعراب هذه الأسماء المعتلة هو محاولة النحويين اطراد فكرة الإعراب تحقيقًا لنظرية العمل والعامل والمعمول، وبما أن هذه الأسماء معمولة لأفعال، أو حروف

(١٤٢) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٧٦-٧٩، ١٤٥-١٤٨، ٢٠٧.

(١٤٣) انظر: المصدر نفسه، ١/ ٢١٩.

(١٤٤) انظر: المصدر نفسه، ١/ ١٠، ١٢٢-١٢٣، ١٢٦.

(١٤٥) انظر: المصدر نفسه، ١/ ١٢٢-١٢٣، ١٣٥، ١٤٠.

(١٤٦) انظر: المصدر نفسه، ١/ ٤١٧.يذكر أن الإعراض عن الإعرابين التقديري والمحلي الذي يمثل نسفًا غير مباشر لنظرية العامل لما بين أركانها من العلاقة التلازمية الوجودية قالت به من قبل ١٩٣٨ لجنة وزارة المعارف المصرية المعنية بتيسير النحو، وهو ما عمل به فيما بعد بعض المعنيين بذلك، كشوقي ضيف. انظر: كتابه، تجديد النحو، ط، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢، ص٢٣.

(١٤٧) انظر: النحو الوصفي، ١/ ٩.

ولعوامل كالابتداء كما يرى النحاة فلا بد أن يظهر أثر هذه العوامل في المعمولات، فإن لم يظهر بالفعل فهو موجود بالقوة !! ونحن لن نأخذ بذلك، ولسنا ملزمين بأن ننظر هذه النظرة»[١٤٨].

وقد أفضى ببكر عملُه بمقولات الوصفية إلى الوقوع فيما يلاحظ على قواعد النحو العربي التقليدي من التفريعات المربكة في الموقف التعليمي خاصة، فقد عمل الرجل بما سماه إعرابًا ناقصًا، وهو ما نسبه إلى الأسماء والأفعال التي تظهر على أواخرها علامة الإعراب تارة، وتغيب تارة أخرى، فعندما تظهر على آخره فهو معرب، وعندما تغيب فهو مبني، وذلك بغض النظر عن السبب، فالأسماء المعربة كما لاحظنا كلها عنده مبنية إذا ما أضيفت إلى ياء المتكلم، والاسم المنقوص كالقاضي معرب إذا كان في محل نصب، ومبني على الكسر إذا كان في محلَّيْ جر أو ضم؛ و(كلا) (كلتا) معربتان إعراب المثنى إذا كانتا مضافتين إلى الضمائر (كليهما، وكلاهما)، ومبنيتان على الفتح إن كانتا مضافتين إلى الاسم الظاهر(كلتا يدي)؛ والفعل المضارع المعتل الآخر بالياء أو الواو مبني إذا كان في محل رفع (يدعو، يرمي)، ومعرب بالفتح مثلًا في حالة النصب (لن يدعوَ، لن يرميَ)[١٤٩]. ولا شك أن اختيارات بكر وآراءه هذه خلافية، وفيها من التطرف أو الغرابة ما يثير الرغبة في مناقشتها، وهوما لم يكن في هذا البحث، وذلك لأن الأهداف الأساسية التي وجد من أجلها كما بيَّنّا في مقدمته ليس منها مناقشة بكر في كل ما ذهب إليه من آراءٍ ومواقفَ تجاه قضايا النحو العربي كلها، ولا سيما الجزئية منها.

---

(١٤٨) المصدر نفسه، ١/ ١٤١.

(١٤٩) يمكن اعتمادًا على الفهرسة الوقوف على كل ما نسبناه لبكر من آراءٍ فيما تقدم في مواضعه من الجزء الأول من كتابه (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم).

نتائج البحث:

١- وضع بكر في كتابه (النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم) نحوًا للعربية بهَدْيٍ من المنهج الوصفي الذي رأى فيه مُخَلِّصًا للنحو العربي من مثالب اتباع المنهج المعياري التقليدي في وضع هذا النحو.

٢- كان بكر ارتجاليًّا في تأصيل المنهج الوصفي الذي اعتمده في وضع قواعد النحو العربي، فلم يعتمد في ذلك إحالات مرجعية محددة مكتفيًا ببيان أن سوسير هو مؤسس هذا المنهج، وهو تأصيل قاصر ومبتسر، ويفتقر إلى العمق والشمول؛ وذلك لما هو معلوم من أن الوصفية في الغرب تنوعت تنوعًا يسمح بالقول بأنها وصفيات متنوعة ومتباينة تباينًا لا يسمح باختزالها في نسق واحد.

٣- تمثلت المنطلقات النظرية أو الأسس المنهجية للوصفية عند بكر بالوحدات الثلاث التي يجب أن تتوافر في المدونة اللغوية المعتمدة في وضع القواعد النحوية، وهي وحدة الزمان، ووحدة المكان، ووحدة الجنس اللغوي أو المستوى اللغوي، كما تمثلت بالاقتصار على وصف النص وصفًا محكومًا بظاهره بعيدًا عن إخضاعه للتأويل أو التعليل، أو الحكم عليه بالصواب أو الخطأ، وكثيرًا ما كان بكر يقدم هذه المقولات نظريًّا على الأقل وكأنها خلقت مبرأة من كل عيب، مع أنها أُخْضِعَتْ كما بات معروفًا في الدرسين العربي والغربي لغير قليل من النقد أو النقض، بل لا يندر أن يخالف بكر نفسه عمليًّا في هذه المقولات الأساسية التي أقام عليها تصوره للمنهج الوصفي.

٤- لدى بكر خلط منهجي، أو صراع بين منهجين مختلفين، بل متناقضين في تصور بكر نفسه، وهما المنهج الوصفي والمنهج المعياري. وتفسيرُ

ذلك عند الرجل بالحرصِ على تحقيق أهداف باصطناع منهج، ليست هذه الأهداف من أولوياته، أو من معنيَّاته، ذلك أن المقولات التي نسبها الرجل إلى المنهج المعياري حاضرة في نحوه الوصفي حضورًا يسمح أن نقول بأنه نحو (معصفي)؛ أي: وصفي معياري، أو بأن وصفيته وصفية هجينة، أو معدَّلة، أو مزيفة بوعي عالي الصوت تارة وخافتِه تارة أخرى، فقد اتضح فيما تقدم أن بكرًا لم يستطع في نحوه الوصفي الانعتاقَ من أسر مقولات النحو المعياري التقليدي الذي سعى إلى أن يخلص نحو العربية من عقابيله، وقد تمثل ذلك لديه بممارسته في نحوه الوصفي للتعليل والتأويل و لحكم القيمة وللمفاضلة بين الظواهر اللغوية ووصف بعضها بالضعف، ولبيان ما يجوز وما لا يجوز، وما يجب، وما هو مقصور على الضرورة الشعرية.

٥- لم يُقِمْ بكر نحوه الوصفي-شأنه في ذلك شأن معظم مصنفات النحو العربي-على إدراك منهجي وإجرائي لضرورة الفصل بين دراسةِ النحوِ لأغراض تعليمية، ودراسته لأغراض علمية، بل خلط بينها، وذلك بسبب خلطه أساسًا كما اتضح بين منهجين، أولوية أحدهما الأساسية تحقيق الهدف التعليمي، وهو المنهج المعياري، وأما ثانيهما - وهو المنهج الوصفي - فليس ذلك من أولياته كما ظهر على الأقل في التلقي العربي لهذا المنهج.

* * *

المصادر والمراجع

- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط٤ - القاهرة، ١٩٨٢.
- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط٣، دار الفكر - دمشق، ٢٠٠٨.
- أريفيه ميشال، البحث عن سوسير، تر. محمد خير البقاعي، ط١، دار الكتاب الجديد - بيروت، ٢٠٠٩.
- إسماعيل العمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، ط٢، دار حنين - عمان، ١٩٩٢.
- أوغدن ورتشاردز، معنى المعنى، تر.كيان أحمد حازم يحيى، ط. دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، ٢٠١٦.
- إيمان حشاني، جهود اللسانيين العرب في إعادة وصف العربية، تمام حسان من خلال مصنفه «اللغة العربية، معناها ومبناها» نموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر - بسكرة، ٢٠١١.
- تمام حسان، اللغة العربية ومبناها، ط، دار الثقافة - الدار البيضاء، ١٩٩٤.
- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط. دار الثقافة - الدار البيضاء، ١٩٨٠.
- توشيهيكو إيزوتسو، بين الله والإنسان في القرآن، تر.عيسى علي العاكوب، ط، دار نينوى - دمشق، ٢٠١٧.
- جان جاك لوسركل، عنف اللغة، تر. محمد بدوي، ط٢ - بيروت، ٢٠٠٦.
- جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر.محمد زياد كبة، ط، جامعة الملك سعود - الرياض، ١٤١٧هـ.

- جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، تر. بدر الدين القاسم، ط١، دمشق، ١٩٧٢.
- حافظ إسماعيلي علوي، «نحن واللسانيات، بحث في إشكالات التلقي» [مبحث في كتاب] اللسان العربي وإشكالية التلقي ط١، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ٢٠٠٧.
- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ط، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، ١٩٩٦.
- داود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ط مكتبة لبنان – بيروت، ١٩٧٣.
- راشد عبد الله منصور، الوصفية في اللسانيات العربية الحديثة، دراسة في التلقي والتوظيف، رسالة دكتوراه – جامعة حلب، ٢٠٢٠.
- شوقي ضيف، تجديد النحو، ط، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢.
- عبدو الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ط، دار النهضة – بيروت، ١٩٧٩.
- عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ط، مؤسسة الصباح – الكويت، د.ت.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ط٣، دار توبقال – الدار البيضاء، ١٩٩٣.
- غراتشيا غابو تشيان، نظرية أدوات التنكير والتعريف وقضايا النحو العربي، تر. جعفر دك الباب، ط، دمشق ١٩٨٠.
- فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر. محمد الشاوش وزميله، إشراف صالح القرمادي، ط، الدار العربية للكتاب – تونس، ١٩٨٥.
- ماري آن بافو، وجورج إليا سرفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر. محمد الراضي، ط١، المنظمة العربية للترجمة – بيروت، ٢٠١٢.

- محمد صلاح الدين مصطفى بكر، الوصفيّة في الدراسات العربيّة القديمة والحديثة، ص٢، بحث على الشابكة.
- محمد صلاح الدين مصطفى بكر، النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، ط، مؤسسة الصباح - الكويت ١٩٨٥.
- محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأساليب القرآن الكريم، ط، دار الحديث - القاهرة.
- محمد فلفل، الشاذ عند أعلام النحاة، ط١، مكتبة الرشد - الرياض، ٢٠٠٥.
- محمد فلفل، المعنى في النحو العربي، ط١، الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق، ٢٠٢١.
- محمد فلفل، مالم يطرد في قواعد النحو والصرف، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية/ جامعة دمشق، ١٩٩٣.
- محمد فلفل، معالم التفكير في الجملة عند سيبويه، ط١، دار العصماء - دمشق، ٢٠٠٩.
- المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني، تح. فخر الدين قباوة وزميله، ط٢، دار الآفاق - بيروت، ١٩٨٣.
- محمد عيد، أصول النحو العربي، ط٤، عالم الكتب - القاهرة، ١٩٨٩.
- محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب؛ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط٥، مكتبة وهبة - القاهرة، ٢٠٠٠.
- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ط١، دار ورد الأردنية، ٢٠١٣.
- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس المنهجية.

* * *

عَرَبيّةُ القُرآنِ التي عَرّبَتِ العالَمَ

أ. د. عيسى علي العاكوب(*)

نَواةُ البَحْثِ وقَصْدُه:

يَسْعَى البَحْثُ إِلَى إِمْدادِ القارئ بِخُلاصةٍ مُرَكَّزةٍ في شَأنِ العَرَبِ الذينَ تخلّقتِ العربيّةُ القُرْآنيّةُ في أَرْحامِ عُقُولِهم وأَلْسِنَتِهم، ثُمّ نَمَتْ وازْدَهَرَتْ في تُرْبةِ الإبداعِ اللّغَويِّ عِنْدَ القُرَشيِّينَ خاصّةً، إِلَى أَن صارَتْ في تحادُثِهم وتَفاكُرِهم وتَسابُقِهم في الإبداعِ الأَدَبيّ الرّفيعِ عِيارًا عالِيَ الصَّقْلِ والتّهذيبِ، دَقيقَ الحِسابِ والحُكْمِ، كانُوا بِامْتِلاكِهم إِيّاهُ صَيارِفةَ البَيانِ العالي والكلامِ الذي يَسْتَلِبُ الأَلْبابَ، في كُلّ أَصْقاعِ جَزيرةِ العَرَب. وكان مِن آثارِ تِلْكَ الأُسْتاذيّةِ القُرَشيّةِ في الفَصاحةِ والبَلاغةِ والبَيانِ والبَراعةِ أَن آثَرَتْ قَبائلُ العَرَبِ في غَيْرِ الحِجازِ لَهْجةَ قُرَيشٍ عَلَى لَهجاتِها، وغادَرَتْ تِلْكَ اللّهَجاتُ مِساحةً واسِعةً مِن مَيادينِ اسْتِعْمالِ القَبائلِ إِيّاها، لِتَحُلَّ لَهْجةُ قُرَيشٍ مَحَلَّها. ويَبْدُو أَنّ ذلكَ أَخذَ صُورةَ عِراكٍ مُمتدٍّ، انتهى بِإِسْلامِ زِمامِ السِّيادةِ اللّغَويّةِ إِلَى قُرَيشٍ قَبْلَ نُزولِ القُرآنِ والرِّسالة. وحَدَثَ بَعْدَ نُزُولِ الوَحْيِ القُرآنيِّ أَنّ أَساتذةَ البَيانِ العَرَبيِّ القُرَشيِّ ازْدادُوا أَلْقًا عَلَى أَلْقٍ؛ لِأَنّهم اسْتَمَدُّوا مِمّا وَعَتْ صُدُورُهم مِن

(*) ألقى الأستاذ الدكتور عيسى العاكوب عضو مجمع اللغة العربية بدمشق هذه المحاضرة في قاعة مجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠٢٣م.

البَيانِ العالي في القُرآنِ فُيُوضًا يَعِزُّ وَصْفُها مِن صِياغةِ المُفرداتِ التي أُفْرِغَتْ إِفْراغًا واحِدًا، وسُبِكَتْ سَبْكًا واحِدًا، فهِيَ تَجْري عَلَى اللِّسان كما يَجْري الدِّهانُ، وَفْقًا لِما يقولُ الجاحِظُ في وَصْفِ «خَيْرِ الشِّعْر»[1]. ثُمّ بَعْدَ أَن تَسَلّحَ القُرَشِيُّونَ المُهاجِرُونَ واليَثْرِبِيّونَ الأَنْصارُ بِأَمْضَى أَسْلِحةِ الإيمانِ والبَيانِ، وانطَلَقُوا في أَرْجاءِ المَمالِكِ جَنوبًا وشِمالًا، وشَرْقًا وغَرْبًا، حَدَثَ عِراكُ «العَرَبيّةِ القُرَشِيّةِ القُرآنيّةِ» مَعَ لُغاتٍ أُخَرَ كانَتْ سائدةً في بُلْدانٍ كثيرةٍ قَبْلَ الفَتْحِ، ونُسمِّي هذا العِراكَ «العِراكَ الثّانيَ». وقد هَزَمَتِ العَرَبيّةُ القُرَشِيّةُ القُرآنيّةُ فِيهِ الآراميّةَ في الشّامِ والعِراقِ، والقِبْطِيّةَ في مِصْرَ، والبَرْبَريّةَ في شِمالِيِّ إِفْرِيقِيَةَ، وعارَكَتْ أيضًا الفارسيّةَ ولُغاتٍ أُخَرَ في الشَّرْقِ والغَرْب.

وابْتِغاءَ إيضاحِ مادّةِ هذه الفِكْرة، نَقِفُ مَعَ مَن نَتوَقَّعُ أَنّهُ يَنْشُدُ فَهْمَها والإِلْمامَ بِعَناصِرِها عِنْدَ النِّقاطِ الآتية:

١- العَرَبُ جِنْسًا بَشَريًّا مُتعامِلًا مَعَ وُجُودٍ مُتعَيِّنٍ خاصٍّ، ومتميِّزًا بِصِفاتٍ خاصّة.

٢- الطّبيعةُ الخاصّةُ لِلْقُرَشِيِّينَ الذينَ ارتقَوا بِالعَربيّةِ وهَيَّؤوها لِاسْتِقْبالِ المَدَدِ البَيانيِّ الإلهيِّ.

٣- تَناهي النُّضْجِ اللُّغَوِيِّ البَيانيِّ في العَرَبيّةِ القُرَشِيّةِ قَبْلَ نُزُولِ القُرآن.

٤- انتصارُ لَهْجةِ قُرَيشٍ عَلَى اللَّهَجاتِ العَرَبيّةِ الأُخَر (الانتصارُ الأَوّلُ).

٥- القُوّةُ البَيانيّةُ العالِيةُ لِلَهْجةِ قُرَيشٍ قَبْلَ تَنْزِيل الوَحْي بِوَقْتٍ.

٦- انتصارُ العَرَبيّةِ القُرَشيّةِ القُرآنيّةِ وإزاحتُها مُعْظَم لُغاتِ بُلْدانِ الفَتْح (الانتصارُ الثّاني).

---

(١) البيانُ والتّبيينُ، ج١، ص٦٧.

٧- تَعْرِيبُ عَرَبيّةِ القُرآنِ العالَمَ في عَصْرٍ مِن العُصور.
٨- المُحَصَّلُ الأَخِيرُ، أو قَصيرةٌ مِن طَويلة.

١- العَرَبُ جِنْسًا بَشَريًّا مُتعامِلًا مَعَ وُجُودٍ مُتعَيِّنٍ خاصٍّ، ومُتميِّزًا بِصِفاتٍ خاصّة:

لا يُمكِنُ عاقِلًا أَن يَذْهَبَ إِلَى أنّ حَرَكةَ الوُجودِ نِتاجُ تفاعُلٍ باطِنيٍّ بَيْنَ عناصِرِ إِراداتٍ بَشَريّةٍ قَصِيرةِ العُمُر، ضعيفةِ القُدَرِ، مَهْما تَفاوَتَتْ هذه في إِمْكانيّاتِ التّحْرِيكِ والإِثارةِ، أو تَعْبيرٌ عن مُصادَفاتٍ عَمْياءَ لا هَدَفَ لَها ولا قَصْدَ. وفي مُتناوَلِ المُتأمِّلِ هُنا أَن يَذْكُرَ احْتِمالاتٍ كثيرةً لِهذه الحَرَكةِ الوجوديّة. ومَعَ ذلكَ، لا يبقَى هنا إلّا أَن يقولَ العاقِلُ في هذا الشّأنِ: إنّ قُدْرةً عَظِيمةً هائلةً هادِفةً لا يُبْصِرُها إِلّا ذَوُو الفِطَنِ والبَصائرِ هي التي تُحَرِّكُ كُلَّ ما يَتعيَّنُ في الوُجودِ، فتَراهُ الأَعْيُنُ، أو تَرَى بَعْضَه.

وقد يَجِدُ المَرْءُ في الكِتابِ الإلهيِّ القُرآنيِّ تعالِيمَ جامِعةً مانِعةً قاطِعةً في شأنِ التَّحْرِيكِ الإلهيِّ لِلْوُجود، وكذا في السُّنّةِ المُطَهَّرة. ولا نَرانا هُنا في حاجةٍ إِلَى إِثْباتِ ما هو رُكْنٌ رَكِينٌ في صَرْحِ ثَقافَتِنا. **لكنّ هذا يُهيِّئُ لَنا أَن نقولَ: إنّ الهَنْدَسةَ الكَوْنيّةَ الإلهيّةَ أَعَدّتِ العَرَبَ عامّةً إِعْدادًا خاصًّا، وأَعَدّتْ عَرَبَ العربيّةِ القُرَشِيّةِ القُرآنيّةِ إِعْدادًا خاصًّا أيضًا.** وفي شَأنِ كَوْنِ العَرَبِ عامّةً جِنْسًا بَشَريًّا حَباهُ خالِقُ الوُجودِ خاصّيّاتٍ مُتميِّزةً مِثْلَما حَبا أَجْناسَ البَشَرِ جميعًا، نَأوِي هنا إِلَى جَبَلٍ فِكْرِيٍّ عاصِمٍ، يَكْفِينا إِلَى حَدٍّ ما مَؤونةَ حَطْبِ اللّيلِ وذِكْرِ ما يُهِمُّ وما لا يُهِمُّ. وذلكُم هو ابنُ المُقفَّع. تذكُرُ لَنا الأَخْبارُ أَنّ ابْنَ المُقفَّع (ت ١٤٢هـ)، المَعْدُودَ مِن ذَوِي الرّأيِ الحَصِيفِ والكَلامِ الحَكيم، سَألَ جَماعةً مِن نابِهي العَرَب: أَيُّ الأُمَمِ أَعْقَلُ؟- فأَجابَ هو نَفْسُه عن سُؤالِه: «أَعْقَلُ الأُمَمِ العَرَبُ». ثُمّ مَضَى يُبَيِّنُ أَسْبابَ ذلكَ فقالَ:

«إنّ العَرَبَ ليسَ لَها أَوّلٌ تَؤمُّه، ولا كِتابٌ يَدُلُّها، أَهْلُ بَلَدٍ قَفْرٍ ووَحْشةٍ مِن الإِنْس، احتاجَ كُلُّ واحِدٌ مِنْهم في وَحْدَتِه إِلَى فِكْرِه ونَظَرِه وعَقْلِه، وعَلِموا أَنّ مَعَاشَهم مِن نَباتِ الأَرْضِ، فَوَسَمُوا كُلَّ شَيءٍ بِسِمتِه، ونَسَبُوه إِلَى جِنْسِه، وعَرَفُوا مَصْلَحةَ ذلكَ في رَطْبِهِ ويابِسِهِ، وأَوقاتِهِ وأَزْمِنتِه، وما يَصْلُح مِنْهُ في الشّاةِ والبَعير؛ ثُمّ نَظَروا إِلَى الزّمانِ واخْتِلافِه، فجَعَلُوهُ رَبيعيًّا وصَيْفِيًّا، وقَيْظِيًّا وشَتْوِيًّا؛ ثُمّ عَلِمُوا أَنّ شُرْبَهم مِن السّماءِ، فوَضَعُوا لِذلكَ الأَنْواءَ، وعَرَفُوا تَغيُّرَ الزّمانِ، فَجَعَلُوا لَهُ مَنازِلَهُ مِن السَّنة؛ واحْتاجُوا إِلَى الانتشارِ في الأَرْضِ، فَجَعَلُوا نُجُومَ السَّماءِ أَدِلّةً عَلَى أطرافِ الأرضِ وأَقْطارِها، فَسَلَكُوا بِها البِلادَ؛ وجَعَلُوا بينَهُم شَيئًا ينتَهُونَ به عن المُنْكَرِ، ويُرَغِّبُهم في الجَميل، ويَتجنَّبُونَ به الدَّناءةَ، ويَحُثُّهُم عَلَى المَكارم... لَيْسَ لَهُمْ كَلامٌ إِلّا وهُمْ يَتحاضُّونَ به عَلَى اصْطِناعِ المَعْرُوفِ، ثُمّ حِفْظِ الجارِ، وبَذْلِ المالِ، وابْتِناءِ المَحامِدِ. كُلُّ واحِدٍ مِنْهُم يُصِيبُ ذلكَ بِعَقْلِهِ، ويَسْتَخْرِجُه بِفِطْنَتِه وفِكْرَتِه، فلا يَتعلَّمُونَ، ولا يَتأَدَّبُونَ، بل نَحائِزُ(*) مُؤدَّبةٌ، وعُقُولٌ عارِفةٌ؛ فَلِذلكَ قُلْتُ لَكُم: إِنَّهُم أَعْقَلُ الأُمَمِ؛ لِصِحّةِ الفِطْرةِ، واعْتِدالِ البِنْيةِ، وصَوابِ الفِكْرِ، وذَكاءِ الفَهْم»(٢).

وشَهادةُ ابنِ المُقفَّعِ الفارِسِيِّ الأَصْلِ، «البارِعِ في أَدَبِه المُقدَّمِ بِعَقْلِه»، تُقْبَلُ بِقَدْرٍ جيِّدٍ في الحُكْمِ العامِّ عَلَى العَرَب، الذين تَلَقّتْ عُقُولُهم بَعْدَ ذلكَ المَعانيَ الإلهيّةَ القُرْآنيّةَ المَصُوغةَ بِلُغتِهم. ثُمّ كانُوا نَقَلَتَها وشُرّاحَها لِلْعالَمِينَ إِلَى اليَوْم. والعَرَبُ، بِمَنْطِقِ هذه الشّهادةِ، خُبَراءُ الوُجُودِ العِيانيِّ المُشاهَدِ، الذين تَأَمَّلُوا عناصِرَه ومُكوِّناتِه وطَبائعَ أَشْيائِه، وأَصْحابُ الأَخْلاقِ العَمَليّة. فَهُم، عَلَى هذا، مُعَلِّمُو الضَّرُوراتِ والحاجات. ثمّ حِينَ تَلَقَّوُا «البَيانَ الإلهيَّ»

(*) أي: طَبائعُ.

(٢) أبو حَيّان التّوحيدي: الإمتاعُ والمُؤانسةُ، ج١، ص٧١.

كانُوا مُهيَّئينَ لِأَنْ يَتعلَّمُوا مِن «عالِمِ الغَيْبِ والشّهادةِ». واللّافِتُ لِلنّظَرِ أَنّ «العِلْمَ الإلهيَّ» الذي تَلَقّاهُ العَرَبُ بِوَساطةِ القُرآن والنّبيِّ زادَهم اطْمئنانًا إِلَى عناصِرِ خِبْرتِهم العَمَليّةِ السّابقة. وكَأَنّ الأَمْرَ في حَيْثُ يُمْكِنُ المَرْءَ أَن يقولَ في شأنِ العَرَبِ في ذلك الزّمانِ: نَصَرَ عِلْمُ الغَيْبِ المُنْزَلُ عَلَى العَرَبِ عِلْمَ الشّهادةِ المُدَّخَرَ في خَزائنِ عُقُولِهم، فاجْتَمَعَ عِنْدَهم عِلْمٌ وعِلْمٌ.

وفي هذه المُناقَشةِ، يَجِدُ المَرْءُ نَفْسَه مَدْفُوعًا إِلَى القَوْلِ: إِنّ المَعْرِفةَ العَمَليّةَ المُتطاوِلةَ عِنْدَ العَرَبِ، التي دَلَّلَ عَلَيها ابنُ المُقَفَّع، اسْتَدْعَتْ لُغةً عَرَبيّةً عَمَليّةً أَعْطَتْ مُفْرداتٍ وأَسْماءً لِكُلِّ الأَشْياءِ المُعايَنة، وهو ما نَخالُ أَنّ ابْنَ المُقفّع عَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِه عَنْهُم: «فَوَسَمُوا كُلَّ شيءٍ بِسِمَتِه، ونَسَبُوهُ إِلَى جِنْسِه». ولا بُدَّ مِن أَن يكونَ لِهذه المُعايَنةِ العربيّةِ القديمةِ تأثيرٌ واسِعٌ في عَمَليّةِ «الوَضْعِ اللّغَويّ»، أي: إِعْطاءِ الأَسْماءِ لِلْمُسَمَّياتِ، أو ما يُسمَّى في عِلْمِ الدِّلالةِ Semantics: الرُّؤيةَ اللُّغويّةَ لِلْعالَم Language Wiltanschauung. وهذا كُلُّه، فِيما نَرَى، مُعِدٌّ جَيِّدٌ لِلُغةٍ عَرَبيّةٍ مُسْتَوْعِبةٍ لِبَناتِ الأَفْكارِ والأَنْظار، ومَوادِّ الوُجودِ التي كَشَفَ لَهُمْ عَنْها الأَسْتار.

٢- الطّبيعةُ الخاصّةُ لِلقُرَشِيِّينَ الذينَ ارتقَوا بِالعربيّةِ وهَيَّؤوها لاسْتِقْبالِ المَدَدِ البَيانيّ الإلهيّ:

القُرَشِيّونَ هُمْ عَرَبُ العَرَبيّةِ القُرَشيّةِ، وهؤلاءِ حَبَتْهمُ الهَنْدَسةُ الكَوْنيّةُ الإلهيّةُ صِفاتٍ بَشَريّةً خاصّةً أَسْهَمَتْ مَعَ غَيْرِها في التَّهْيئةِ لِلنّهوضِ بِعَظائمَ، أَظْهَرُها لِلبَصائرِ السِّيادةُ الدِّينيّةُ واللُّغويّةُ العَرَبيّةُ لِلْعالَم. ولَعَلَّ فَيْلَسُوفًا كبيرًا كمُحَمّد إِقْبالٍ الهنديِّ الباكستانيِّ قد عَبّرَ جَيِّدًا عن هذه السِّيادةِ حِينَ فاخَرَ بانْتِسابِه إِلَى الحِجازِ والخَمْرِ الحِجازيّةِ، فقالَ:

أَنا أَعْجَميُّ الدَّنِّ لكنْ خَمْرَتي صُنْعُ الحِجازِ وكَرْمِها الفَيْنانِ

إِنْ كانَ لي نَغَمُ الهُنودِ ولَحْنُهمْ لكنّ هذا الصَّوْتَ مِن عَدْنانِ

ولَعَلّ الحديثَ عن صاحِبِ اللُّغةِ هُنا يُبَرَّرُ حِينَ يُلْحَظُ في ذلكَ أَثَرٌ يَزِيدُ الخُبْرَ باللُّغةِ نَفْسِها وبِطَبيعتها. وقد تقدّمَ لَنا شيءٌ مِن حَديثٍ عن العَرَبِ عامّةً، ويَسْتَلْزِمُ تَمامُ البَيانِ إشاراتٍ سَريعةً إِلَى طبيعة «قُرَيْشٍ»، صاحبةِ العَرَبيّةِ القُرَشيّةِ القُرْآنيّة. ورُبّما يكونُ البَحْثُ عن خاصِّيّاتِ الشّعوبِ والقَبائلِ والجَماعاتِ شِنْشِنةً(*) قَديمةً مُتجدِّدةً تَدْفَعُ إِلَيها باستمرارٍ حاجاتُ التّعارُفِ والعِمْرانِ البَشَريّ.

وقد عَرَضَ لِخَصائصِ قُريشٍ خاصّةً كثيرٌ مِن أَهْلِ الفِطَنِ والبَصائر، وأكثَرُ ما جاءَ مِن ذلكَ انْصَرَفَ إِلَى ما سَمّاهُ بعضُ فَلاسِفةِ الغَرْب «الشّخصيّةَ الخُلُقيّةَ». ويَحْتاجُ العَقْلُ إِلَى إِحْسانِ الرَّبْطِ بَيْنَ صِفاتِ الشّخصيّةِ الخُلُقيّةِ هذه وبَيْنَ اللّغةِ التي عَبَّرَتْ بِها هذه الشّخصيّةُ. وقد التقطَ عَقْلُ الجاحِظِ (ت ٢٥٥هـ) جُمْلةَ خاصّيّاتٍ انفرَدَت بها قُرَيشٌ عن العَرَب، وقالَ في هذا الشّأن:

«فَمِن ذلكَ أَنّا لَمْ نَرَ قُرَشيًّا انتسَبَ إِلَى قبيلةٍ مِن قَبائِلِ العَرَب، وقد رَأَيْنا في قَبائِلِ العَرَبِ الأَشْرافِ رِجالًا - إِلَى السّاعةِ - ينتَسِبُونَ في قُرَيشٍ، كنَحْوِ الذي وَجَدْنا في بَني مُرّةَ بنِ عَوْفٍ، والذي وَجَدْنا مِن ذلكَ في بَني سُلَيم، وفي خُزاعةَ، وفي قَبائلَ شَريفة. ومِمّا بانَتْ بِهِ قُرَيشٌ أَنّها لم تَلِدْ في الجاهليّةِ وَلَدًا قَطُّ لِغَيْرِها... ومِمّا بانَتْ به قُرَيشٌ مِن سائِرِ العَرَبِ أَنّ الله تعالَى جاءَ بالإِسْلامِ وليسَ في أَيْدِي جَميعِ العَرَبِ سَبِيّةٌ مِن جَميعِ نِساءِ قُريشٍ، ولا وَجَدُوا في جميعِ أَيْدِي العَرَبِ وَلَدًا مِن امْرَأةٍ مِن قُرَيش. ومِمّا بانَتْ بِهِ قُرَيشٌ مِن سائِرِ العَرَبِ أَنّها لم تَكُنْ تُزَوِّجُ أَحَدًا مِن أَشْرافِ العَرَبِ إِلّا عَلَى أَن يَتحمّسَ(*)».

(*) الشِّنْشِنةُ: الطبيعة والسَّجيّة، والعادة. [المجلة].

(*) أي: يتدَيّنَ ويَتّخذَ دِينًا يتحمّسُ لَهُ.

وكانُوا يُزوَّجُونَ مِن غَيْرِ أَن يُشتَرَطَ عَلَيهم... وكانُوا دِيانِيِّينَ، ولِـذلكَ تَرَكُـوا الغَـزْوَ لِما فيه مِن الغَصْبِ والغَشْـمِ، واسْـتِحْلالِ الأَمْـوالِ والفُـروجِ... ومِـنَ العَجَـبِ أَنّ كَسْبَهم لَمّا قَلَّ مِن قِبَلِ تَرْكِهم الغَزْوَ ومالُوا إِلَى الإِيلافِ والجِهادِ، لم يَعْتَـرِهم مِـن بُخْـلِ التُّجّـارِ قَلِيـلٌ ولا كثيـرٌ... فَـأَعْطَوا الشُّـعَراءَ كمـا يُعْطـي المُلُـوكُ، وقَـرَوُا الأَضْـيافَ، ووَصَـلُوا الأَرْحـامَ، وقـامُوا بِنَوائـبِ زُوّارِ البَيْـتِ... ولَقَـدْ مَـدَحَتْهُمُ الشُّعَراءُ، كما يُمْدَحُ المُلُوكُ، ومَدَحَتْهُم الفُرْسانُ والأَشْرافُ وأَخَـذُوا جَـوائزَهم... ومِن خِصالِهِم أَنّهم لم يُشارِكُوا العَرَبَ والأَعْرابَ فـي شـيءٍ مِـن جَفـائِهِم وغِلَـظِ شَهَواتِهِم، وكانُوا لا يَأكُلُونَ الضِّبابَ، ولا شيئًا مِن الحَشَرات»(٣).

وهذا، فِيما أَحْسَبُ، غَيْضٌ مِن فَيْضٍ مِـن صِـفاتِ «الشَّخصـيّةِ الخُلُقيّـةِ» لِقُـريشٍ، راعِيَـةِ اللّغـةِ العربيّـةِ القُرَشِـيّةِ. وجُمْلـةُ القَـوْلِ أَنّ هـؤلاءِ يَتحلَّـونَ بِأَخْلاقِ المُلُوكِ، أو قُلِ البَشَرِ المُمْتازينَ. ومَن يُسلِّمْ بالمَبْدَأ الخُلُقيِّ السّـامِي الذي يقولُ: «المَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ: إِنْ صالَ صَالَ بِجَنـان، وإِنْ قـالَ قـالَ بِلِسـان»، يُسلِّمْ مَعَهُ بِأَنّ قُلُوبَ كثيرٍ مِن القُرَشيّينَ لا بُـدّ أَن تكـونَ قـدِ اسْـتَلْزَمَتْ أَلْسِـنةً ذَربةً صارِمةً، ويُسلِّمْ مَعَهُ أيضًا بِأنّ تُرْبَةَ العربيّةِ القُرَشيّةِ تَعَهّدَتْها عَوامِلُ باطنيّةٌ وظاهِريّةٌ زَمَنًا، فَكانَ أَن تَشَكّلَ ما يمكنُ أَن نُسَمِّيَهُ «المُشاكَلَةَ النِّسْبيّةَ» بَيْنِ لُغةِ قُرَيشٍ قَبْلَ التّنزيلِ، ولُغةِ القُرْآن. ونَرَى أَنّ هـذه «المُشـاكَلَةَ النِّسْـبيّةَ» أَثمـرَتْ محصولاتٍ عظيمةً، أَظْهَرُها انبِهارُ القُرَشِيّينَ بِلُغةِ القُرآن، هذا الانْبِهارُ الـذي عَبّرَ عنهُ واحِدٌ مِن أَساطِينِ العربيّةِ القُرَشيّةِ حِينَ انْفَعَلَ إِلَى الغايـةِ بِمـا سَـمِعَهُ مِن قَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحـــل: ٩٠]،

(٣) عَمْـرو بـن بحـر الجـاحظ: رسـائل الجـاحِظ، نشـرة عبدالسّـلام محمّـد هـارون، ج٤، ص١١٤-١١٧.

فقالَ مُعَبِّرًا عن اسْتِجابتِه الجَماليّـةِ الأَدَبيّـة: «واللهِ، إنّ لَـهُ لَحَـلاوةً، وإنّ عَلَيْـهِ لَطَلاوةً، وإنّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وإنّ أَعْلاهُ لَمُثْمِرٌ، وإنّهُ لَيَعْلُو ولا يُعْلَى عَلَيه».

٣- تَناهي النُّضْجِ اللُّغَوِيِّ البَيانيِّ في العَرَبيّةِ القُرَشيّةِ قَبْلَ نُزولِ القُرآن:

بَلَغَ المُسْتَوَى اللُّغَويُّ البَيانيُّ لِلَهْجةِ قُـرَيشٍ قَبْـلَ نُـزُولِ القـرآنِ مستوًى عاليًا جِدًّا في الإفصاحِ والإبانةِ والخِلابة، وقد تَقدّمَ أَنّ قُرَيشًا مُلُوكُ العَـرَبِ، وقـد قـالَ الأَجْـدادُ المُثقَّفُـونَ مِـن العَـرَب: «كَـلامُ المُلُـوكِ مُلُـوكُ الكَـلام». وتَسْـتَلْزِمُ الضَّـرورةُ أَنّ تنزيـلَ القُـرآنِ بِلَهْجـةِ قُـرَيشٍ يَعْنِـي أَنّ المُكوِّنـاتِ الأَساسيّةَ واحِدةٌ في البَيانَيْنِ، القُرَشِيِّ والقُرآنيّ.

ويَبْدُو أَنّ بَعْضَ ذَوي الحَساسيَةِ الجَماليّةِ اللّغويّةِ مِن العَرَبِ خُيِّلَ إِلَيْـهِ قَبْـلَ نُزُولِ الوَحْيِ القُرآنيِّ مُباشَرةً أَنّ قُرَيشًا سَتَشْهَدُ ارتقاءً بَيانيًّا هـائلًا فـي لُغَتِهـا بَعْـدَ التّناهي في نُضْجِها اللُّغَويّ. ورُبَّما نَدْنُو مِن فَهْمِ الدِّلالةِ الدّقيقةِ لِهذا حِينَ نَتأمَّـلُ هذه الرِّوايةَ، وهي ما جاءَ في كتابِ «الإمْتاعِ والمُؤانَسـةِ» لِلتّوحيـديِّ مِـن قَوْلِـه: «قالَ إسْحاقُ بنُ إبْراهيمَ المَوْصِلِيّ: «انْصَرَفَ العَبّاسُ بـنُ مِـرْداسٍ السُّـلَمِيُّ مِـن مَكّةَ فقالَ: «يـا بَنـي سُـلَيْم، إنّـي رَأيـتُ أَمْـرًا، وسـيكونُ خَيْـرًا؛ رَأَيْـتُ بَنـي عَبْـدِ المُطَّلِبِ كأَنّ قُدُودَهُم الرِّمـاحُ الرُّدَيْنيّـةُ، وكَـأنّ وُجُـوهَهُم بُـدُورُ الدُّجُنّـةِ، وكَـأَنّ عَمائِمَهم فَوْقَ الرِّجالِ أَلْوِيةٌ، **وكَأنّ مَنْطِقَهُم مَطَرُ الوَبْلِ عَلَـى المَحْـلِ**. وإنّ اللهَ إذا أَرادَ ثَمَرًا غَرَسَ لَهُ غَرْسًا، وإنّ أُولئكَ غَرْسُ اللهِ؛ فترَقَّبُوا ثَمَرَتَهُ، وتَوَكَّفُوا غَيْثَـه(*)، وتفَيَّؤوا ظِلالَه، واسْتَبْشِرُوا بِنِعْمةِ اللهِ عَلَيكُم»(٤).

ويَتراءَى أَنّ عُلَماءَ العربيّةِ ابْتـداءً مِـن القَـرْنِ الثّـاني لِلْهجـرةِ أَدْرَكُـوا بِيئَتَـيْنِ لُغَويَّتَيْنِ: بِيئةً تُصْلِحُ اللّغةَ وترتقي بِها، وهي بِيئةُ مَكّةَ وقُرَيشٍ، وبِيئـةً تُفْسِـدُ اللّغـةَ

(*) توكَّفوا الغيث: توقعوه وانتظروه، وتتبّعوا أثره. [المجلة].

(٤) أبو حَيّان التّوحيديّ، الإمتاع والمُؤانسة، ج١ ص٧٣.

وتَشِينُها. يقولُ الجاحِظُ: «ومَتَى وَجَدَ النَّحْوِيّونَ أَعْرابيًّا يَفْهَمُ هذا وأَشْباهَه [يَعْني ما خالَفَ المَعْهُودَ مِن لُغةِ قُرَيش] بَهْرَجُوهُ(*) ولَمْ يَسْمَعُوا مِنهُ؛ لِأَنّ ذلكَ يَدُلُّ عَلَى طُولِ إقامَتِه في الدّارِ التي تُفْسِدُ اللّغةَ وتَنْقُصُ البَيانَ؛ لِأَنّ تِلْكَ اللّغةَ إنّما انقادَتْ واسْتَوَتْ واطّرَدَتْ وتكامَلَتْ بالخِصالِ التي اجْتَمَعَتْ لَها في تِلْكَ الجَزِيرةِ، وفي تِلْكَ الحِيرة»(٥). ويقولُ العَلّامةُ عَلي عَبْدالواحد وافي في صِفةِ لَهْجَةِ قُرَيْشٍ هذه: «كانَتْ أَوسَعَ اللّهَجاتِ العربيّةِ ثَرْوةً، وأَغْزَرَها مادّةً، وأَرَقَّها أُسْلُوبًا، وأَدْناها إِلَى الكَمال، وأَقْدَرَها عَلَى التّعبير في مختلفِ فُنُونِ القَوْلِ. وقد تَمّ لَها ذلكَ بِفَضْلِ ما أُتيحَ لِأَهْلِها مِن وَسائلِ الثّقافةِ والنّهوض، وما أُتيحَ لَها مِن فُرَصٍ كثيرةٍ لِلاحتكاكِ بِمُختلِفِ اللّهَجاتِ العربيّة»(٦).

٤- انْتِصارُ لَهْجةِ قُرَيشٍ عَلَى اللّهجاتِ العربيّةِ الأُخَر (الانتِصارُ الأَوّلُ):

يُثيرُ العَجَبَ كُلَّ العَجَبِ عِنْدِي أَنّ تاريخَ اللّغةِ العربيّةِ الذي أَتَأَمَّلُهُ في حاضِري كان سَيْرًا مُتّصِلًا في اتّجاهَيْنِ:

الأَوّلُ اتّجاهٌ داخِلِيٌّ ضِمْنِيٌّ ظَلّتْ فِيهِ العربيّةُ تَصْعَدُ عالِيًا باتّجاهِ التَّحْسِينِ والتّهذيبِ والصَّقْلِ حتّى بَلَغتِ الذِّرْوةَ في ذلكَ قَبْلَ تنزيلِ الذِّكْرِ الحَكيم، ثمّ حِينَ ظَهَرَتِ المَشيئةُ الإلهيّةُ العَظيمةُ إِلَى العِيانِ، وأَبْصَرَ القُرَشِيُّونَ أَهْلُ البَيانِ قُرْآنًا عَرَبيَّ اللِّسانِ، يقولُ فِيهِ خالِقُهم لِأَفْصَحِ واحِدٍ مِنهم ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، ويقولُ لَهُمْ جُمْلةً: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، ويقولُ: إنّ جُمْهُورَ القُرآن نَوْعانِ: عامّةُ النّاسِ، والمُتّقونَ مِن النّاس: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، أقولُ: حِينَذاكَ

(*) بهرجوه: زيَّفوه، وردّوه لزيفه وأعرضوا عنه. [المجلة].

(٥) الجاحظ، البَيان والتّبيين، ج١، ص١٦٢-١٦٣.

(٦) فقه اللّغة، ص١٠٩-١١٠.

ارتَقَى أَهْلُ اللِّسانِ واللِّسانُ إِلَى القُنّةِ العُلْيا.

الاتّجاهُ الثّاني في سَيْرِ العربيّةِ كانَ باتِّجاهِ قُلُوبِ العَرَبِ وعُقولِهم وأَخْيلَتِهم عَلَى امْتِدادِ الجزيرة، شِمالًا وجَنُوبًا وشَرْقًا وغَرْبًا، إِلَى أَن أَزاحَتْ هذه العربيّةُ القُرَشيّةُ اللّهجاتِ العربيّةَ الأُخَرَ، بِالمَحَبّةِ والإِكْرامِ والإعجاب. وهذه الثّلاثةُ تَفْتَحُ المُسْتغْلِقاتِ، وتُيسِّرُ المُستَصْعَباتِ، وتُحْدِثُ المُستحيلات. يقولُ الأستاذُ عَلِيّ عَبْدالواحِد وافي في هذا الشّأن: «أُتِيحَ لِهذِه اللَّهَجاتِ المُتعدِّدةِ فُرَصٌ كثيرةٌ لِلاحتكاكِ بِفَضْلِ التِّجارةِ وتَبادُلِ المَنافِعِ، ومُجاوَرةِ القبائلِ العربيّةِ بَعْضِها لِبَعْض، وتنقُّلِها في طَلَبِ الكَلأ، وتجمُّعِها في الحَجِّ والأَسْواقِ والحُرُوبِ الأَهْليّة.. فاشْتَبَكَتْ مِن جَرّاءِ ذلكَ اللّهجاتُ العربيّةُ بَعْضُها مَعَ بَعْضٍ في صِراعٍ لُغَوِيٍّ كُتِبَ النَّصْرُ فِيهِ لِلَهْجةِ قُرَيش، فَطَغَتْ عَلَى جميعِ اللّهَجاتِ الأُخْرَى في المُحادَثةِ، واسْتَأْثَرَتْ بِمَيادِينِ الأَدَبِ، شِعْرِها وخَطابَتِها ونَثْرِها، في مُخْتَلِفِ القبائلِ العربيّة»[٧].

ويَعْني هذا تَمامًا أَنّ عَرَبَ الجزيرةِ قَبْلَ تَنْزِيلِ القُرآنِ بِوَقْتٍ صارَ هَواهُمُ اللُّغَويُّ عَرَبيًّا قُرَشِيًّا، فَكُنتَ تَراهُم يَطْرَبونَ لِسَماعِ النَّمُوذَجِ اللّغويِّ العربيّ القُرَشيّ، ويَتَملّحُونَ بِمُحاكاتِهِ وإنتاجِ مَثِيلٍ لَهُ، ويَفْخَرُ شُعَراؤهم الكِبارُ بِأَن يَظْفَروا بِشَهاداتٍ في ارتقاءِ أَدائِهِم اللّغويّ يُقدِّمُها القُرَشِيُّونَ.

٥- القُوّةُ البَيانيّةُ العالِيةُ لِلَهْجةِ قُريشٍ قَبْلَ تَنْزيلِ الوَحْيِ بِوَقْتٍ:

يُفهَمُ مِن كثيرٍ مِن القَرائنِ أَنّ الغَلَبةَ اللُّغويّةَ لِلَهْجةِ قُرَيش وإِضعافَها لَهجاتِ قَبائلِ العَرَبِ أَحْدَثَتْ مِقدارًا مِن «وَحْدَةِ اللّغةِ العربيّةِ»، وارْتِقاءً في الاسْتِعْمالِ اللُّغَويِّ باتّجاهِ «الأَدَبيّةِ» والكلامِ الرّفيع. يقولُ وافي في هذا الشّأن: «تَرَتّبَ عَلَى تَغَلُّبِها عَلَى بَقيّةِ اللَّهَجاتِ أَن أَصْبَحَتْ لُغةَ الآدابِ عِنْدَ

(٧) السّابق، ص١٠٨-١٠٩.

جميعِ قَبائلِ العَرَب؛ فَبِها كان يُنْظَمُ الشِّعْرُ، وتُلْقَى الخُطَبُ، وتُرسَلُ الحِكَمُ والأَمْثالُ، وتُدَوَّنُ الرّسائلُ، وتَتفاوضُ الوُفودُ، ويَتبارَى الأُدَباءُ، وتُجْرَى المُناقَشةُ في النّوادي والمُؤتمَرات. وقد تَمّ لَها ذلك قَبْلَ بِعْثةِ الرّسولِ عَلَيهِ السّلامُ بِزَمَنٍ غَيْرِ قَصِير»[٨].

ويَبْدُو غَيْرَ مُحْتاجٍ إِلَى تَأكيدٍ أَنّ اغْتِباطَ قبائلِ العَرَبِ بِلَهْجةِ قُرَيشٍ قَبْلَ التّنزيلِ هَيّأَ السّلائقَ والذَّوائقَ لِفَهْمِ النّموذَجِ البَيانيِّ القُرْآنيِّ والانْفِعالِ الجَماليِّ به إِلَى الغايات؛ لِأَنّ النّفوسَ تَسْكُنُ إِلَى ما وافَقَ هَواها وهَزّ طِباعَها ولَبَّى رَغائبَها. وفي هذا يقولُ وافي: «فلا غَرابةَ إِذَن في أَنّ القُرآنَ، وقد جاءَ بِلُغةِ قُرَيشٍ، كانَ مفهومًا لَدَى جميعِ القَبائِلِ، وكانَ يُؤثِّرُ في العَرَبِ جميعًا بِبَيانِهِ وبَلاغته. فقد نَزَلَ بَعْدَ أَن تَمّ لِلَهْجةِ قُرَيشٍ التّغلُّبُ عَلَى اللَّهَجاتِ العربيّةِ الأُخْرى، وبَعْدَ أَن أَصبحَتْ لُغةَ الآدابِ لِسائرِ قبائلِ العَرَب»[٩]. ويُعَلِّلُ ابنُ خَلْدُون فَصاحةَ لُغةِ قُرَيشٍ بِبُعدِهم عن العَجَمِ، فيقولُ: «كانَتْ لُغةُ قُرَيشٍ أَفصَحَ اللّغاتِ العربيّةِ وأَصْرَحَها؛ ثُمّ مَنِ اكتنفَهم مِن ثَقيفٍ وهذيلٍ وخزاعة وبني كنانةَ وغطفان وبني أسدٍ وبني تميم. وأمّا مَن بعد عنهم من ربيعةَ ولخم وجذام وغسّانَ وإِيادٍ وقُضاعةَ وعَرَبِ اليَمَنِ، المُجاورينَ لِأُمَمِ الفُرْسِ والرّومِ والحَبَشةِ، فلَمْ تَكُنْ لُغتُهم تامّةَ المَلَكةِ بِمُخالَطةِ الأَعاجِم»[١٠].

٦- انتصارُ العَرَبيّةِ القُرَشيّةِ القُرآنيّةِ وإِزاحَتُها مُعْظَمَ لُغاتِ بُلْدانِ الفَتْح (الانتصارُ الثّاني):

رَكّزَ حَدَثُ التَّنْزيلِ، والتَّنْزيلُ نَفْسُه، والمُتَلَقِّي الأَوّلُ لِلتَّنْزيلِ، عَلَى مَبْدَأ

(٨) نَفْسُه، ص١١١-١١٢.

(٩) نفسه، ص١١٢.

(١٠) مقدّمة ابن خلدون، ص١١٤١.

«الإبلاغ» و«التَّبْليغ»، بِمَعْنَى الإيصالِ التّامِّ لِلْمُرادِ الإلهيِّ في القُرآنِ الكريم. وجَهَدَ النّبيُّ عَلَيهِ الصّلاةُ والسّلامُ في تَثْبيتِ الإيقانِ عِنْدَ المُسْلِمينَ الأُوَلِ بِأَنّ القُرْآنَ «أَمانةُ اللهِ» و«رِسالةُ اللهِ»، وأَنّ «مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» الذي أَدَّى الأَمانةَ وبَلّغَ الرّسالةَ. ويَكْتَمِلُ معنَى «التَّبْليغ» بِأَنْ يكونَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُبَلِّغًا لِلْقُرآن؛ ولِهذا قالَ نَبيُّ الإِسْلامِ عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلامُ: «بَلِّغُوا عَنِّي ولَوْ آيةً». واسْتَلْزَمَ الأَمْرُ بِالتَّبْليغِ هذا تَحَرُّكَ المُسْلِمينَ في كُلّ اتّجاهٍ لِتَبْليغِ الرّسالةِ وتأديةِ الأَمانة. ولَكَ أَن تَتأمّلَ في قَوْلِ رَبِّنا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ ...﴾ [النصر: ١-٢]، لِتَفْهَمَ قَدْرًا مِن طَبيعةِ الحَرَكةِ العظيمةِ التي هَيّأَتْ لِانْتشارِ العَرَبيّةِ القُرَشيّةِ القُرآنيّةِ بَعْدَ مَجيءِ نَصْرِ اللهِ وفَتْحِ القُلُوبِ ورُؤيةِ النّاسِ يدخلونَ في دِينِ اللهِ أَفْواجًا. ولَسْتُ أَرى عَنَتًا في أَن أَتَخَيَّلَ الآنَ أَنّ عَرَبيّةَ القُرآنِ، أي: كَوْنَهُ بِلِسانٍ عَرَبيٍّ مُبينٍ، وعَرَبيّةَ أَفْصَحِ العَرَب، مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلام، وعَرَبيّةَ مُؤدِّي الأَمانةِ ومُبَلِّغي الرِّسالةِ، مِن القُرَشيِّينَ وسِواهُم، عَمِلَتْ جَمِيعًا بِالتّأييدِ الإلهيِّ المُبينِ، عَلَى أَن يَدَعَ أَهْلُ البِلادِ المفتوحةِ لُغاتِهم بَعْدَ مُضِيٍّ بَعْضِ الوَقْتِ، لِتُصْبِحَ لُغةُ «المُعَلِّمِ لِلدِّينِ» هي الغالِبةَ الغالِيَةَ المَحْبوبةَ. ومَعَ كُلِّ إِيثاري لِلْحَقيقة، أَميلُ إِلَى القَوْلِ: إنّ العَرَبيَّ «المُعَلِّمَ لِلدِّين» كانَ في الأَعَمِّ الأَغلب مُحِبًّا لِمَنْ يُعَلِّمُه الدِّينَ، مُريدًا لَهُ الخيرَ. ولِهذا أَحَبَّهُ هذا، وأَحَبَّ دِينَه، وأَحَبَّ لُغَتَه، واسْتجابَ بِقُوّةٍ لِتَعْليمِه.

ونُسَمِّي هذا الانتصارَ «الانتصارَ الثّانيَ»، في مُقابِلِ الانتِصارِ الأَوّل، انْتِصارِ لَهْجةِ قُرَيشٍ عَلَى لَهَجاتِ العَرَبيّةِ الأُخَر. ويتحدّثُ العَلّامةُ ابْنُ خَلْدُون عن هذا الانْتِصار، ويُرْجِعُه أَساسًا إِلَى «العَقيدةِ» في الإِسْلام، التي هي فِكْرةٌ أَو تَصَوُّرٌ انْعَقَدَتْ عَلَيهِ القُلُوبُ أَوّلًا، فتحوّلَتْ إِلَى وُجُودٍ مُتعيِّنٍ ماثِلٍ في الآفاق.

يقولُ ابنُ خَلْدُون: «**اعْلَمْ أَنّ لُغاتِ أَهْلِ الأَمْصارِ إِنّما تكونُ بِلِسانِ الأُمّةِ، أو الجِيلِ الغالِبِينَ عَلَيها أو المُخْتطِّينَ لَها؛ ولِذلكَ كانَتْ لُغاتُ الأَمْصارِ الإِسْلاميّةِ كُلِّها بِالمَشْرِقِ والمَغْرِبِ، لِهذا العَهْدِ، عَرَبيّةً. والسَّبَبُ في ذلكَ ما وَقَعَ لِلدَّوْلةِ الإِسْلاميّةِ مِن الغَلَبِ عَلَى الأُمَم. والدِّينُ والمِلّةُ صُورةٌ لِلْوُجودِ ولِلْمُلْكِ، وكُلُّها مَوادُّ لَهُ، والصُّورةُ مُقدَّمةٌ عَلَى المادّةِ**»(١١).

وقد عاشَ ابْنُ خَلْدُونٍ في القَرْنِ الثّامِن لِلْهِجْرةِ، وغادَرَ الدّنيا في نِهايةِ العَقْدِ الأَوّلِ مِن القَرْنِ التّاسِع، وأُتِيحَ لِذَكائِهِ الثّاقِبِ أَن يَتأمّلَ حَرَكةَ انتشارِ العَرَبيّةِ القُرَشيّةِ القُرْآنيّة، وإزاحَتَها لُغاتِ الأَمْصارِ المفتوحة، فيُقدِّمَ تَعْليلًا لِذلكَ، وهو المَشْغولُ بِتَفْسيرِ حَرَكةِ التّاريخ، يَنْطَوِي عَلَى قَدْرٍ مِن الصّواب، ويقولُ فيه:

«**والدِّينُ إِنّما يُسْتفادُ مِن الشّريعةِ، وهي بِلِسانِ العَرَب؛ لِما أَنّ النّبيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ عَرَبيٌّ، فَوَجَبَ هَجْرُ ما سِوَى اللِّسانِ العَرَبيّ مِن الأَلْسُن في جَمِيعِ ممَالِكها. فَلَمّا هَجَرَ الدِّينُ اللّغاتِ الأعجميّةَ، وكانَ لِسانُ القائمينَ بِالدَّوْلةِ الإسلاميّةِ عَرَبيًّا، هُجِرَتْ كُلُّها في جميعِ مَمالِكِها؛ لِأَنّ النّاسَ تَبَعٌ لِلسُّلْطان، وعَلَى دِينِه، فصارَ اسْتِعْمالُ اللِّسانِ العَرَبيّ مِن شَعائرِ الإسلامِ وطاعةِ العَرَبِ. وهَجَرَ الأُمَمُ لُغاتِهم وأَلْسنتَهم في جَميعِ الأَمْصارِ والمَمالِك، وصارَ اللِّسانُ العَرَبيُّ لِسانَهم، حَتّى رَسَخَ ذلك لُغةً في جَميعِ أَمْصارِهم ومُدُنِهم، وصارَتِ الأَلْسِنةُ العَجَميّةُ دَخيلةً فيها وغَريبةً**»(١٢).

٧- تَعْرِيبُ عَرَبيّةِ القُرْآنِ العالَمَ في عَصْرٍ مِن العُصُور:

الإِنْسانُ في الوُجودِ المُتَعيِّنِ فاعِلٌ ومُنْفَعِلٌ. ويَرَى المُعَلِّمُ الفَيْلَسُوفُ مُحَمَّد إِقْبال أَنّ الذي يُحْيي الحَياةَ إِنّما هو الأَمَلُ، ويُسمِّي الأَمَلَ «جَرَسَ

(١١) مقدّمة ابن خلدون، ص٨٢٨.

(١٢) نفسُه.

رَكْبِ القافِلةِ»، الذي تَسْمَعُ جِمالُ القافِلةِ صَوْتَه فتتقدّمُ وتَنْدَفِعُ. ويَبْدُو أَنّ «الأَمَلَ»، أَمَلَ رِضا اللهِ، هو الذي حَرّكَ العَرَبَ لِكَي يَنْقُلُوا هذا الأَمَلَ إِلَى أُمَمِ الأَرْضِ بِالتّحبيبِ لا بِالقَهْرِ، وبِالتّيسيرِ لا بِالتَّعْسير. وإِخالُ أَنّهم لَوْ كانُوا فَظِّينَ غِلاظَ القُلُوبِ لانْفَضَّ مِن حَوْلِهم حَتّى العَرَبُ أنفُسُهم. وطَيِّبٌ، فِيما أَرَى، قَوْلُ مَن قالَ: «لَمْ أَرَ فاتِحًا أَرْحَمَ مِن العَرَب».

ويَعْرِضُ عَلَينا العَلّامةُ عَلي عَبْدالواحِد وافي صُورةً تُرْتضَى بِقَدْرٍ كبيرٍ لِتَعْرِيبِ العَرَبيّةِ القُرْآنيّة العالَمَ في عَصْرٍ مِن العُصورِ، فيقولُ:

«أَدّتِ الفُتُوحُ العربيّةُ بَعْدَ الإِسْلامِ إِلَى امْتِزاجِ العَرَبِ واحْتكاكِهم بِكَثيرٍ مِن الشّعُوبِ؛ فاشتبكتْ لُغتُهم مِن جَرّاءِ ذلكَ في صِراعٍ مَعَ اللُّغاتِ الآراميّةِ في سُورِيَةَ ولُبْنانَ والعِراق، ومَعَ القِبْطيّةِ في مِصْرَ، ومَعَ البَرْبَريّةِ في شِماليِّ إِفْرِيقِيَةَ، ومَعَ الفارسِيّةِ في إيرانَ، ومَعَ التّركيّةِ في بِلادِ المَغُول، ومَعَ القُوطِيّةِ في إِسْبانيا. وقَضَتْ قَوانِينُ الصِّراعِ اللُّغَويِّ أَن تَصْرَعَ الثّلاثَ الأُولَى مِنها، حَتّى أَصبحَتِ المِساحةُ التي تُستَعْمَلُ فِيها العربيّةُ لُغةَ حَديثٍ وكِتابةٍ نَحْوَ أربعةَ عَشَرَ مِلْيُونَ كيلو مِترٍ مُرَبَّعٍ، وبَلَغَ عَدَدُ المُتكلِّمينَ بِها زُهاءَ مِئةِ مِلْيونٍ»(١٣).

ويَنتَبِهُ وافي إِلَى أَمْرٍ إِخالُه مُهِمًّا في تَعْرِيبِ العَرَبيّةِ العالَمَ، وهو أَنّ العَرَبيّةَ نَزَلَتْ عِنْدَ شُعُوبِ البُلْدانِ المَفتوحةِ مَنْزِلةَ المُحَبِّ المُكْرَم، واسْتَشْعَرَتْ لَها هذه الشُّعوبُ قَداسةً ورِفْعةً وتقديرًا هائِلًا، فيقولُ:

«لَمْ يَقِفْ نُفُوذُ العَرَبيّةِ عِنْدَ هذا الحَدِّ [ما ذَكَرْناهُ له في الفِقْرةِ السّابقة]، بَلْ تجاوَزَهُ إِلَى جَميعِ الأُمَمِ الإِسلاميّةِ الأُخْرَى (باكستان، الهِنْد، أفغانستان، تُرْكِسْتان...). فَأُنْزِلَتِ العَرَبيّةُ عِنْدَ هذه الأُمَمِ مَنْزِلةً مُقدَّسةً سامِيَةً؛ لِأَنّها لُغةُ القُرآنِ والحَديثِ اللّذَيْنِ يَقُومُ عَلَيْهِما الدِّينُ الإِسْلاميُّ، وهي التي أُلِّفَ بِها

(١٣) فقه اللّغة، ص١٢٨-١٢٩.

جَميعُ كُتُبِ التَّفْسيرِ والسُّنّةِ والفِقْهِ والأُصولِ والتّوحيدِ... وهي فَضْلًا عن هذا وذاكَ اللّغةُ التي يَجِبُ أَن يُؤدَّى بِها كثيرٌ مِنَ العِباداتِ الإِسْلاميّة»(١٤).

٨ – المُحَصَّلُ الأَخيرُ، أو قَصيرةٌ مِن طَويلة(*):

خَلَصَ البَحْثُ إِلَى أَنّ عَرَبيّةَ القُرآنِ الكريمِ، أي: العَرَبيّـةَ القُرَشـيّةَ، هُيِّـئَ لَها قَبْلَ زَمانِ التّنزيلِ أَن تُصْقَلَ وتُهـذّبَ وتَرْتَقِـيَ، إِلَـى أَن غَـدَتْ لُغـةَ الأَدَبِ عِنْدَ العَرَب، شِعْرًا وخَطابةً، والعِيارَ الذي تُقـاسُ بِـهِ مَنْزِلـةُ الكَـلامِ فـي سُـلَّمِ الإِجادةِ والإِتقانِ. وعَرَفَتْ ذلكَ قَبائلُ العَرَبِ لِقُرَيْش، وجَهَدَتْ هـذه القبائـلُ في مُحاكاةِ العربيّةِ القُرَشيّةِ شَيْئًا فَشيئًا، إِلَى أَن غلَبَتْ هـذه العَرَبيّـةُ اللّهجـاتِ العربيّةَ الأُخَرَ في الجزيرةِ وحَلَّتْ مَحَلَّها. ثُمّ حِينَ جـاءَ التّنزيـلُ بِهـا، وكُتِـبَ وثُبِّتَ وقُرِئَ بِتَرْتيلٍ وتَجْويدٍ ازدادَتْ أَلْقًا عَلَى أَلْقٍ وإِشْراقًا عَلَى إِشْـراق، ثُـمّ حَمَلَها المُتحدِّثونَ بِها المُحِبّونَ لَها إِلَى الشّامِ والعِـراقِ، حَيْـثُ نَحّـتْ جانِبًـا الآراميّةَ، وإِلى مِصْرَ حَيْثُ نَحّتِ القِبْطيّةَ، وإِلـى دِيـارِ المَغْـرِبِ حَيْـثُ نَحّـتِ البَرْبَريّةَ. وخاضَتْ هذه العربيّةُ عِراكًا مَعَ الفارسـيّةِ ولُغـاتِ الـبلادِ المفتوحـةِ في الشَّرْق، ومَعَ لُغاتِ ساكِني دِيـارِ الغَـرْبِ الأندلسـيِّ. وعَلَـى هـذا، تكـونُ عَرَبيّةُ القُرآنِ قد عَرّبتْ شَطْرًا كبيرًا مِن العالَم حامِلةً إِلَيْهِ نُورَ الارتقاءِ الرّوحيِّ والعَقْليِّ والسُّلُوكيِّ، ومَفاتيحَ الازْدِهارِ المادِّيّ!

* * *

(١٤) فقه اللّغة، ص١٣٠.

(*) عبارةٌ عربيّةٌ قديمةٌ يُرادُ بِها تَمامًا ما يُساوي تعبيرَ «غَيْض مِـن فَـيْض»، أو مُـوجَزُ القَـوْل. والقصيرةُ هنا التَّمْرَةُ، والطّويلةُ النَّخْلَةُ.

المصادر والمراجع

١- أبو حَيّان التّوحيديّ: الإمْتاعُ والمُؤانسةُ، المكتبة العَصْريّة، صيدا - بيروت.

٢- عَمْرو بن بَحْر الجاحِظ:

- البيانُ والتّبيينُ، بِتَحْقيقِ عبدالسّلام مُحمّد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة د.ت.

- رسائلُ الجاحظِ، بِتَحْقيقِ هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة د.ت.

٣- ابن خَلْدون: مُقدِّمةُ ابن خَلْدُون، بِتَحْقيقِ علي عبدالواحد وافي، دارُ نهضةِ مصر لِلطِّباعة والنّشْر والتّوزيع - القاهرة ٢٠٠٤م.

٤- علي عبدالواحد وافي: فقهُ اللّغة، دارُ نهضة مصر - القاهرة د.ت.

* * *

ندوة بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية

في يوم الأربعاء ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٣م احتفى مجمع اللغة العربية بدمشق بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية في قاعة المحاضرات.

وقد ألقيت الكلمات التالية بهذه المناسبة:

١- كلمة أ. د. مازن المبارك بعنوان «العربية».

٢- كلمة أ. مروان البواب نائب رئيس المجمع بعنوان: «جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في المعاجم المصطلحية».

٣- قصيدة شعرية بعنوان «لغة العروبة» للأستاذ أحمد بوبس.

وفيما يلي نورد الكلمات:

العربية

أ. د. مازن المبارك

العربيّة هي اللغة التي خاطبنا بها الله جل جلاله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

العربية هي اللغة التي نشّأني عليها أبي، وغذّتها رعايته، فقد كان ينثر فوائدها وفرائدها في البيت يمينًا وشمالًا كلما سمع فردًا من الأسرة يتحدّث، فإذا انحرف لسانه عن الصواب ردّه إليه.

لا أدري كيف أصوّر لكم حبّي للّغة؟! لقد درَّست النحو والصرف والبلاغة، وهي علوم اللغة، نصف قرن وأكثر، ولكني حين أقرأ نصًّا من نصوص اللغة الجميلة المبينة لا أذكر نحوًا ولا صرفًا ولا بلاغة، وإنما يأسرني شيء آخر، ويشدّني سحر آسر، ينسيني كلّ ما عرفت من نحو وصرف وبلاغة، ويعلو بي إلى جوٍّ أو إلى درجة من الإعجاب لا أذكر معه شيئًا من علوم اللغة نحوها وصرفها وبلاغتها!

إنّ حُبّي للغة قد لا أستطيع وصفه أو التعبير عنه، ولكنّه حبّ الصحبة والألفة، حب ائتلافٍ روحيٍّ يُنسيك جمالُهُ وصفَ جزئياته أو تحليلها.

إنني حين أقرأ نصًّا نثرًا أو شعرًا، لعبّاسيٍّ أو لمعاصر، تشدّني جملة من نثره أو بيت من شعره، ويأسر نفسي جمالها، وتعجز نفسي عن الوصول إلى سرّ جمالها! إنه ليس في حروفها ولا في كلماتها، ولا في صياغتها، ولا في

إصابتها للمعنى، لعلّه في ذلك أو في شيءٍ منه! إنه الجمال الذي تُحسّه في جزءٍ من ذلك أو في ذلك كلّه، ولكنّه يذهلك حتى لا تقوى على وصفه!

ولطالما قرأت شعرًا أو نثرًا أعجبني، فحين قرأت تحليل المحلّلين أو نقد الناقدين وتوضيحهم لسرّ الجمال فيه، افتقدت ذلك الجمال الذي كنت أجده فيه!

إن اللغة التي يأسرنا جمالها هي بنت موهبة عجنت كاتبها وعجنها، ألفةً وممارسة حتى خطرت له منها بارقة فاقتنصها، وأما القارئ فلا يذوق حلاوة ذلك، ولا يدرك جمال تلك اللغة في حروفها وكلماتها، وإنما يدركها إحساسًا روحيًّا ونفسيًّا، وكأن بينه وبينها صلةً أو ألفةً تكاد تكون روحًا من روحها، وروحًا من روحه تعارفا فائتلفا.

وغير خافٍ أن الناس تختلف أذواقهم؛ فما يُعجب طائفةً منهم قد لا يعجب الآخرين، وكأن اللغة تعطي كلًّا منهم ما يلائم هواه!

وكأنّي بالقارئ أو السامع حين تعجبه لغة أو جملة منها، لا يستشفّ في تلك اللغة أو الجملة روح اللغة وحدها!، ولكن يستشفُّ منها روحها وروح الكاتب أو المتحدّثِ الذي صاغها ونفسيّتَه التي كان عليها حين صاغها.

إن المتلقيَ الذي يسمع اللغة بروحه قبل أن يسمعها بأذنيه، يدرك الحالة النفسية للمتحدث، ويدرك ما يتصف به محدّثُه من صدقٍ أو كذب، من صفاءٍ أو خُبث، من وضوح أو غمغمةٍ،...

ألم يقل معاوية بن أبي سفيان: من خادعنا ليخدعنا، انخدعنا له لنوهمه أنه خَدَعنا..؟

وإن للعرب في لغتهم تفنُّنًا عجيبًا، وسياسة طريفة رائعة، فهم يملؤون الوعاء الواحد بمعنيين، يدلّون به عليهما، والسياق يفرّق بينهما، ككلمة

(الأديب) التي تدل على من حسن سلوكه وجمُلت أخلاقه كما تدل على من جوّد أسلوبه وجمّل لغته، وككلمة (المنطق) التي هي المصدر الميمي للنطق؛ أي: للكلام، وهي التي يدلّون بها أيضًا على عمل العقل المنضبط المنظّم... ولكنِ انظر إلى الطرافة والجمال حين يقول أحد أو ينطق بكلمة (الأديب) مريدًا أحد المعنيين، فيلقي اللفظ بظلاله على المعنى الآخر ويومئ إليه.. فما أحلى أن يكون (الأديب) أديبًا بلسانه وأديبًا بتصرفه وسلوكه!، وحين تقول (منطق) أن يكون دالًّا على نطق اللسان، وعلى ما ينبغي أن يرافقه من منطق العقل وعمله!.

فاللغة هي القناع الذي نتقنّع به، ووراءه، والماهر من المتحدّثين من يُجمّل قناعه، والماهر من السامعين من يستشفّ ما وراء القناع! ألم يقولوا: تحدّثْ لأراك؟!

إذا كانت لغة المتحدّث شفّافةً أمينة، صافيةً مبينة، سمْحة غيرَ متكلَّفة، تنطلق من شفتيه بعفوية ويُسْر، فإنها القناع الذي يدلّ على صدقه، أو على تمثيله المتظاهر بالصدق!

وإن الذي يتحدث بصدق وعفوية فإن اللغة على شفتيه كالماء الصافي في الإناء الزجاجيّ الصافي، ترى صفاءه من ظاهره؛ فإذا تحدّث فكأنك تراه من خلف الزجاج!

أليست الكلمات أوعيةً للمعاني؟ وهل نشرب الماء إلا بالأوعية النظيفة؟! فإذا تحدّثت فاختر لأفكارك الأوعية الشافّة النظيفة، تلك التي تشفّ عن أفكارك، فلا تكاد تلفظها شفتاك حتى يقفز معناها إلى سامعك، بلى إن أحسن المفردات تلك التي يعطيك لفظها بصوته معناها، لِما في لفظها من تصوير لمعناها... كالقضقضة التي يعطيك لفظها بصوته معناها!

والتي نعرفها حين تقضقض أسناننا من شدّة البرد.

يقضقض عُصلًا في أسرّتها الردى كقضقضة المقرور أرعده البرد

وهل هناك بيانٌ أكثر من أن يعطيك معنى القضقضة بلفظها؟

على أن في العربيّة أساليب أخرى كثيرة تعبّر عن المعاني والأفكار؛ إن لم يكن بالكلمة المفردة فبالجملة من الكلمات التي ينضم بعضها إلى بعض، فتعطيك المعنى التامّ أو الصورة الجميلة التي تضافرت الكلمات على تصويرها وإظهار جمالها! وذلك كقول الشاعر:

إذا خانني خلّ قديم وعقّني وفوّقتُ يومًا في مقاتِله سهمي

تَعرَّض طيفُ الودِّ بيني وبينه فكسّرت سهمي وانثنيتُ ولم أرمِ

وآخر ما لفت نظري أن العرب أطلقوا كلمة (أديب) على من حَسُن إنتاجه اللغوي، لأنهم أطلقوها أصلًا على من حسُن سلوكه وحسنت أخلاقه. والتفريق بينهما راجع إلى السياق، ولكن في ذلك دلالة على أن الأصل هو (الأدب) في الوصفين؛ أدب اللسان وأدب السلوك! وكأن في ذلك إيماءً إلى أنّ من جَمُلت كلماته يجب أن يكون أصلًا جميلًا في تصرّفه وسلوكه.

وكقول الشاعر في القتال بين أولي القُربى:

إذا افترقوا عن وقعةٍ جمعتهم لأخرى دماءٌ ما يُطلّ نَجيعُها

حميّة شعبٍ جاهليٍّ وعزّةٌ كليبيّةٌ أعيا الرجالَ خُضوعها

وفرسانُ هيجاء تضيق صدورُها بأحقادها حتى تضيق دروعها

تُقتِّل من وِترٍ أعزَّ نفوسها عليها بأيدٍ ما تكاد تطيعها

شواجر أرماحٍ تقطّع بينها شواجرَ أرحامٍ مَلومٍ قَطوعها

إذا احتربتْ يومًا ففاضت دماؤها تذكّرتِ القُربى ففاضت دموعها

إن ممارسة اللغة تجعل بينها وبين صاحبها ألفة قد تبدو في كتابته أو حديثه، إن الأديب حين يكتب نصًّا أنشأه أو صاغه تكون اللغة التي كتب بها صورةً لإبداعه ومرتسمًا لأفكاره، كما تكون صورة لنفسه في عيون قرّائه؛ لأن اللغة وإن كانت أصواتًا نعبّر بها عن المعاني، فإنها أوعية لما في نفوسنا من أفكار ومشاعر نفسية داخلية ألبسناها تلك المفردات التي نعبّر بها عنها! إنها صورة لما في نفوسنا وأرواحنا من الأفكار والمعاني أظهرناها بأقنعتها على شفاهنا.. وكأن ما على اللسان من مفردات وأصوات مرآة لما في الأعماق الإنسانية من مشاعر وأفكار.

إن اللغة العربية أطول اللغات عمرًا، ومن أكثرها قدرة على إنتاج المولَّد والمُشتَق... حتى أصبحت اللغة العربية ذاكرة الأمة العربية وسجلّ تاريخها، وستبقى متعالية على الحدود القُطرية، ومتعالية على الزمان مهما تتابعت السنون، يحملها ويرعاها ويُثبّتها وينشرها القرآن حيثما قرئ، وأينما سار، ولن يضرّها تباين لهجاتها القطرية المختلفة ما دام القرآن يُتلى كما أنزل مشافهةً؛ يتلقّاه جيل عن جيل.

وسيبقى للغتنا العربية بُعداها الزماني والمكاني، مهما اختلفا أو تباعدا؛ أما الزماني فيشهد له أن طلابنا في مدارسهم وجامعاتهم يقرؤون أشعار المعلَّقات والشعر الجاهلي، على حين أن غيرهم كالإنكليز مثلًا لا يستطيعون أن يقرؤوا اليوم شعر شكسبير كما نقرأ شعر الحطيئة أو امرئ القيس، وبين المثالَين ما بينهما من فَرق في البُعد الزمني!

وإن لغتنا تزوّد قارئها والناطق بها بشعور يعلو به فوق الزمان وفوق المكان، بل يرتبط الناطق بها بما يشدّه إلى تاريخ بعيد، وحاضر جديد، ومستقبل مجيد. إنها روح الأمة في الفرد، وهل الشعور القوميّ إلّا شعور الفرد

بأنه واحد من جماعة؟، إن اللغة الواحدة تطبع الجماعة الناطقة بها بروح واحدة، وكأنهم أبناء مدرسة واحدة. إن الفكر المشترك والثقافة الواحدة تطبع الناطقين بها بطابع واحد في الفكر والثقافة، وهو الطابع الذي يوحّد الأمة في الشعور والفكر والثقافة. وذلك هو الطابع الذي يعبّر عن شخصية الأمة وهُويتها وثقافتها، ويبقى حارسًا لوحدتها، وهذا ما يفسّر لنا تشجيع العاميّات والدعوة إلى أنها لا خطر منها على فصحانا... مع أنها ضَرَّة تزاحمها على ألسنة الناس ليألفوها، ثم ليُحلّوها محلَّها... لذلك منعت المجامع اللغوية العربية الكتابة بها، ودعت إلى وجوب استعمال الفصيح في الكتابة، وفي الإعلام، للصغار والكبار على السّواء، لتكون هي المدرسة التي يتخرجون بها، ولتألفها ألسنتهم، ولتكون هي الجنسيّة التي ينتسبون إليها ويعتزون بها، ولأن الابتعاد عنها انسلاخ عن الجنسية العربية المتمثلة بها.

وإن وحدة اللغة هي آخر ما بقي للعرب من عناصر وحدتهم وأدلّتها، بل هي الهُويّة الثقافية المعبّرة عن روح الأمة وشخصيتها.

لذلك يجب أن نقتحم بها الميدان العلمي، وأن نجعلها لغة للعلم، ليُكتبَ العلم بها مرّةً أخرى، كما كُتب بها يوم كنا نُنتجه، وإن إبعادها عن ذلك بحثًا وتأليفًا وتدريسًا وأدٌ لشبابها وكتْم لطاقاتها.

ولا بدّ أن يرعاها الحاكم بحمايتها، ويرعاها العالم باستخدامها وإحيائها، ويرعاها اللغوي بتذليلها وتيسير السبيل إليها، وتوليد المصطلحات منها، ويرعاها الأديب بتجديد شبابها، وجذب الناس إليها، وتجليتها وكأنها عروس يأسرك منها الجمال، أو السحر، أو العطر. فكيف وفي عربيّتنا يجتمع الثلاثة معًا؟! وسبحان من قال: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

إن اعتصامنا اليوم بلغتنا واجب ديني وقوميّ وسياسيّ.

فأما الديني فلا إسلام بلا قرآن، ولا قرآن بغير العربية.

وأما القوميّ فلغتنا الفصيحة المبينة اليوم هي عماد وحدتنا؛ فالأمم المتقدمة اليوم لم تجد في لغاتها ما يجمعها، فابتدعت (اليورو) ليجمعها! وقد أبدلنا الله به لسانًا عربيًّا مبينًا، فإذا اعتصمنا به ورعيناه رعانا، وكان مظهر وحدتنا وعمادها، وإذا فرّطنا به، أو أضعناه، ضعنا معه وذهبت ريحنا، والتاريخ يشهد بصدق هذه المعادلة بين اللغات والناطقين بها، فكم من أمة ضاعت لغتها؛ فتشتت الناطقون بها وضاعوا!، بل إن تاريخنا العربي يشهد أن لغتنا صورة لواقعنا، وأنها تواكب مسيرتنا؛ تنهض يوم ننهض ونتقدم، ونكتب العلمَ بها، وتتخلف يوم نتخلّف، ويوم نبتعد عن العلم وإنتاجه، إنها مرآتنا في تقدّمنا وفي تخلّفنا.

وإن الأمل اليوم أن تعود أمتنا إلى إنتاج العلم، وإلى كتابته بلغتنا، والحاكم يرعاها بحزم وتشجيع، والعالم بعلمه وإبداعه، واللغوي بتطويعها للتعبير بحروفها عن العلم وفروعه. وبذلك تعود العربية إلى استيعاب العلوم، وتعود العلوم إلى التعبير بالعربية، لتكون اللغة العربية في الوطن العربي ناطقة بالعلم وفروعه، كما تنطق بالأدب وفنونه، وما ذلك ببعيد إذا تضافرت جهود الحاكم والعالم واللغويّ، ورافقت تلك الجهود الهمّة والعزيمة والإخلاص.

* * *

جهود مجمع اللغة العربية بدمشق
في المعاجم المصطلحية

نائب رئيس المجمع الأستاذ مروان البواب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وأهلًا ومرحبًا بكم في هذا اللقاء المتجدد بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية.

رغب السيدُ رئيسُ المجمع في أن يكون لصلة اللغة العربية بالعلوم التطبيقية نصيبٌ في هذه المناسبة؛ فندبني إلى الحديث عن هذا الموضوع بكلمة في حدود عشرين دقيقة.

وتحقيقًا لهذه الرغبة رأيتُ أن أختصر الكلام في موضوعٍ محدَّد هو: جهود مجمع اللغة العربية بدمشق في المعاجم المصطلحية.

وقد اقتضى هذا الاختصار ألَّا أُبدئَ وأعيدَ في الكلام عن خصائص لغتنا العربية في وضع المصطلحات العربية (أيِ: المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية)، ولا عن المبادئ التي اعتمدتها مجامع اللغة العربية في هذا الصدد.

ولكنْ لا بد من الإشارة إلى أنَّ ثمةَ تباينًا كبيرًا في المصطلحات العربيةِ بين مشرق الوطن العربي ومغربه، بل بين جامعاتِ البلد الواحد، بل بين أساتذة الجامعةِ الواحدة. ولا شك في أن هذا التباينَ يُحدِث خللًا في فهم مراد المتحاورِين في المسائل العلمية، وفي المناقشات العلميةِ بين الباحثين.

ومن المؤسفِ حقًّا أن يلجأَ الباحثون العربُ في مناقشاتهم إلى استعمال المصطلحاتِ الأجنبية، ويُعرضوا عن استعمالِ مقابلاتِها العربيةِ بدعوى عدمِ الاتفاق على هذه المقابلات.

ومن مظاهر عدم الاتفاق هذا أننا نجد في المعاجم مقابلاتٍ عربيةً عديدةً للمصطلح الواحد. ومن أبسط الأمثلة على هذا التعدد مصطلحُ: **computer**، فإذا عدنا إلى معاجم مصطلحاتِ المعلوماتية وجدنا المقابلاتِ الآتية: حاسوب، وكومبيوتر، وحاسب، وحاسب آلي، وعقل إلكتروني، ورتّابة (أخذًا بالمقابل الفرنسي **ordinateur**)، وبعضهم اقترح: عالوم ... إلخ.

ومن هذه الأمثلة أيضًا: المصطلح **CD = compact disk**، إذ نجدُ له المقابلاتِ التاليةَ: قُرصٌ ضوئي، وقرصٌ ليزري، وقرصٌ مُدْمَج، وقرص سي دي، وقرصٌ متراصّ، وقرصٌ مكتنز، وقرصٌ مضغوط...إلخ.

ومثال ثالث: المصطلح **Web**، وُضعت له المقابلاتُ الآتية: الشبكةُ العالمية العنكبوتية، والشبكةُ العنكبوتية، والشبكةُ الشُّعِّيَّة (نسبة إلى الشُّعّ؛ وهو بيت العنكبوت)، وويب، ووِب ... إلخ.

ولو رحتُ أعدِّد الأمثلةَ لطال بنا المُقام، ولكنّ قليلَ الشيء يغني عن كثيرِه.

على أن جهودًا مخلصةً - فرديةً ومؤسساتيةً - بُذلت لوضع المصطلحات العربية العلمية والحضارية وتوحيدها.

وقبل أن أبدأ بالتعريف بجهود مجمع اللغة العربية بدمشق، يحسُن التنويهُ بثلاثِ جهاتٍ مهمةٍ أبلت بلاءً حسنًا في وضع المصطلحات العربية وتوحيدها، وكان لها الأثر الطيب والنفع العميم في الأوساط العلمية.

أما الجهة الأولى فهي المكتبُ الإقليميُّ لشرق المتوسط التابعُ لمنظمة الصحة العالمية؛ فقد عُني هذا المكتبُ أيَّما عنايةٍ بتوحيد مصطلحات العلوم

الصحية (بمختلِف تصنيفاتها التي بلغت أكثر من ثمانين تصنيفًا؛ كالتشريح والجراحة والأورام والسموميات والصيدلة والكيمياء الحيوية والصحةِ العامة والهندسة الطبية البيولوجية والتمريض والتغذية ... إلخ). وأَصدر في هذا السبيل (المعجمَ الطبيَّ الموحَّد) الذي صدرت طبعتُه الأولى في عام ١٩٧٣م، وطبعتُه الرابعة في عام ٢٠٠٩م، بنسختَيْه الورقية والإلكترونية.

اشتمل هذا المعجمُ على مئةٍ وأربعينَ ألفَ مصطلح، وكان لمجمعِ اللغة العربية بدمشق نصيبٌ معتبَرٌ في إعداد هذا المعجم؛ فقد كان لعضو المجمع الدكتور هيثم الخياط القِدْحُ المعلَّى واليدُ الطولى في إعداده، وشاركه في ذلك رئيسُ المجمع السابق الدكتور حسني سبح، ورئيسُ المجمع السابق الدكتور مروان المحاسني، وعضوُ المجمع المراسل الدكتور قاسم سارة.

وأما الجهةُ الثانية فهي: مكتبُ تنسيق التعريب في الرَّباط؛ فقد بذل مجهودًا متميزًا وخطا خطواتٍ حثيثةً في سبيل تنسيق المصطلحات العربية وتوحيدِها، ثم إقرارِها في مؤتمرات التعريب التي تشارك فيها جميع الدول العربية.

واستطاع مكتب تنسيق التعريب أن يقدِّمَ للمكتبة العربية خلال ثلاثٍ وثلاثين سنة (بدءًا من عام ١٩٨٩م وحتى عام ٢٠٢٢م) سلسلةً من المعاجم الموحَّدة بلغ عددها أربعةً وخمسين معجمًا مصطلحيًّا في مختلِف العلوم (كالفيزياء والرياضيات والفلك والكيمياء وعلم الصحة وجسم الإنسان والآثار والتاريخ واللسانيات وعلم الأحياء والجغرافيا والتجارة والمحاسبة والطاقة المتجددة..).

وأما الجهةُ الثالثة فهي: معهدُ الإنماء العربي في لبنان؛ فقد أصدر (معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا) في عام ١٩٨٢م، وهو ترجمةٌ لمعجم:

McGRAW - Hill DICTIONARY OF SCIENTIFIC AND TECHNICAL TERMS

تَجاوز عددُ مصطلحاته مئةَ ألفِ مصطلح، توزعَّت على قُرابةِ مئةِ تخصصٍ في العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية إضافة إلى علوم الحياة. وقد أسهم في ترجمته أربعةٌ وأربعون أستاذًا جامعيًّا من الوطن العربي، خمسةٌ منهم من مجمع اللغة العربية بدمشق: وجيه السمان وزهير البابا وموفق دعبول وأنور الخطيب وعبد الحليم منصور. ووُكِلَت مهمةُ المراجعةِ اللغوية لهذا المعجم إلى الدكتور شكري فيصل الأمينِ السابقِ للمجمع.

والآن إلى بيتِ القصيد، إلى الجهود التي بذلها ويبذُلها مجمعُ اللغة العربية بدمشق في تأليف المعاجم المصطلحية وفي توحيد المصطلحات.

اهتم المجمعُ وما يزال بشؤون المصطلحات العربية وضعًا وتوحيدًا، وبذل أعضاؤه جهودًا جبارة في هذا السبيل. وإليكم أسماءَ أهم المعاجم المصطلحية التي ألفها أو ترجمها أعضاءُ المجمع منذ تأسيسه حتى أواخر القرن الماضي.

مرشد خاطر	- شارك في تأليف: معجم الألفاظ الطبية وأعلام الأطباء. - وشارك في ترجمة: معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات.
عز الدين التنوخي	- شارك في ترجمة: المعجم الكندي العسكري. وهو معجم يشتمل على نحو خمسينَ ألفَ مصطلح. ترجمتْه لجنةٌ علمية برئاسة الأمير مصطفى الشهابي. طُبع في عام ١٩٦١م.

مصطفى الشهابي	- ألَّف: معجم الألفاظ الزراعية. طُبع هذا المعجم في دمشق في عام ١٩٤٣م، وفي القاهرة في عام ١٩٥٧م، وطُبع خمسَ طبعاتٍ في مكتبة لبنان بعنوان (معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية) بتحقيق أحمد شفيق الخطيب، الطبعة الأولى في عام ١٩٧٨م؛ أي: بعد وفاة مؤلفه بعشر سنوات، والطبعة الخامسة في عام ٢٠٠٣م. قال الشهابي في مقدمته: «هذا معجمٌ قَضَيتُ أربعين عامًا في جمعِ ألفاظه ومدارستِها وتحقيقِها تحقيقًا علميًّا ولُغويًّا. ومن المصطلحات العربيةِ المذكورةِ فيه ما يزيد على ثلاثةِ آلافِ مصطلح هي من وضعي أو تحقيقي، ولم يسبقني إلى ذكرها أحدٌ من أصحاب المعاجم الأعجمية-العربية». - ورَأَسَ اللجنةَ العلمية التي ترجمت المعجم الكندي العسكري، المذكور آنفًا. - وألَّف: معجم المصطلحات الحراجية. طُبع في عام ١٩٦٢م.
جميل الخاني	- ألَّف كتاب: القطوف اليانعة في علم الطبيعة. في ثلاثة أجزاء، طُبع في عام

	١٩٣٠م، وتضمن ١٥٠٠ مصطلح في الميكانيك والموائع والغازات والحرارة والحركة الاهتزازية والصوت والضوء والكهرباء وغيرها. استخرج المؤلفُ قسمًا من مقابلاتها العربيةِ من كتب التراث، واجتهد في وضع القسم الآخر.
حسني سبح	- نَشَرَ في مجلة المجمع ٦٧ مقالًا بعنوان (نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات: استدراك وتعقيب)، بدءًا من عام ١٩٥٥م وحتى عام ١٩٨٨م.
صلاح الدين الكواكبي	- شارك في ترجمة: معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات. المشار إليه آنفًا. - ألَّف: معجم الكواكبي في الكيمياء وما إليها.
ميشيل الخوري	- ألَّف: معجم مصطلحات تعويض الأسنان. وهو معجمٌ ثلاثيُّ اللغات: العربية والإنكليزية والفرنسية، ولم يُطبع حتى الآن.
عبد الرزاق قدورة	- شارك في تأليف: المعجم الكهربائي الإلكتروني. يتضمن هذا المعجم أكثر من ٦٠٠٠ مصطلح بأربع لغات: العربية والإنكليزية والفرنسية والروسية، وطُبِع في عام ١٩٧٥م.

عبد الكريم اليافي	- معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية والعلوم المتصلة بها، طُبع في عام ١٩٨٣م.

وفي عام ١٩٩٥م زارتنا وزيرةُ التعليم العالي، واقترحت على المجمع النهوضَ بمهمةِ توحيدِ المصطلحات العربية بين الجامعات السورية، فاستجاب المجمعُ لهذا المقترح، ووَكَلَ تنفيذَ هذه المهمة إلى لجانه العلمية المختصة.

عكفتْ هذه اللجانُ على إعدادِ المعاجم المصطلحية في العلوم المختلفة، فأنجزتْ خلال عشرين عامًا تقريبًا سلسلةً من معاجم مصطلحات العلوم، طُبع بعضها، وبعضها لم يُطبع بعدُ. وما تزال هذه اللجان تعمل على إنجازِ معاجمَ أخرى.

فأما المعاجم المطبوعة فهي خمسةُ معاجم:

١. معجم مصطلحات الفيزياء، طبع في عام ٢٠١٤م
٢. معجم ألفاظ الحضارة، طبع في عام ٢٠١٤م
٣. معجم مصطلحات الكيمياء، طبع في عام ٢٠١٥م
٤. معجم مصطلحات الرياضيات، طبع في عام ٢٠١٨م
٥. معجم العبارات الاصطلاحية في اللغة العربية المعاصرة، طبع في عام ٢٠٢١م

وأما المعاجمُ المنجَزةُ التي لم تُطبَع بعدُ؛ فهي أربعةَ عشرَ معجمًا:

١. معجم مصطلحات الزراعة
٢. معجم مصطلحات علم النبات
٣. معجم مصطلحات طب الأسنان
٤. معجم مصطلحات علوم البيئة

٥. معجم مصطلحات العلوم التربوية والنفسية

٦. معجم مصطلحات الكهرباء والإلكترونيات

٧. معجم مصطلحات الجيولوجيا

٨. معجم مصطلحات المِلْكية الفكرية

٩. معجم مصطلحات الإعلام

١٠. معجم مصطلحات علم القياس

١١. معجم مصطلحات الجودة

١٢. معجم مصطلحات البريد

١٣. معجم مصطلحات الموثوقية

١٤. معجم مصطلحات الاتصالات

وهذه المعاجم في طور المراجعة النهائية؛ لغويًّا من لجنة التدقيق اللغوي، وعلميًّا من لجنة تنسيق المصطلحات.

وأما المعاجم التي هي في قيد الإنجاز فهي تسعةُ معاجم:

١. معجم مصطلحات المعلوماتية

٢. معجم مصطلحات الميكانيك

٣. معجم مصطلحات الفيزياء الشامل

٤. معجم مصطلحات علم الحيوان

٥. معجم ألفاظ الحضارة

٦. معجم مصطلحات علوم الأحياء

٧. معجم مصطلحات الكيمياء الحيوية والوراثة وعلم الأحياء الجزيئي

٨. معجم مصطلحات علوم الخلية والأنسجة والإمراض

٩. معجم مصطلحات التشريح والجنين ووظائف الأعضاء

بقي أن أشير إلى أنَّ منهجَ المجمع في توحيد المصطلحات العربية بين معاجمه يقوم على مبدأ "واحد لواحد"؛ أي: إنَّ لكلِّ مصطلحٍ أجنبيٍّ مقابلًا عربيًّا واحدًا. وتقوم لجنة تنسيق المصطلحات في المجمع بتطبيق هذا المبدأ على المعاجم المصطلحية التي يُعدُّها المجمع.

ويتفرع عن هذا المبدأ عدةُ حالات؛ سأقتصر على ذكر خمس منها والتمثيل لكلِّ منها بمثالٍ واحد:

١. إذا كان للمصطلح الأجنبي دلالةٌ واحدة في فروع العلم المختلفة، فينبغي ألَّا تتعدَّد مقابلاتُه العربية.

فمثلًا لا يصح أن يكون المقابل العربي للمصطلح **ablation** (إزالة) حينًا، و(اقتطاع) حينًا آخر.

٢. إذا تعددت دلالات المصطلح الأجنبي الواحد، فيجب أن يكون لكلِّ دلالةٍ منها مقابلٌ عربيٌّ مستقلّ.

مثال: المصطلح (**abstraction**)، له دلالتان: (الاستخلاص) و(التجريد).

٣. إذا كان للمصطلح الأجنبي الواحد دلالاتٌ مختلفةٌ في العلوم التي ورد فيها، فيمكن أن يكون له مقابلٌ عربي واحد، إذا أدى الغرضَ المطلوب.

مثال: المصطلح (**root**) ورد بدلالاتٍ مختلفة في علم النبات، والرياضيات، والمعلوماتية، والزراعة. فوُضِعَ لهذا المصطلح المقابل (جذر) في جميع هذه العلوم، مع التعريف المناسب.

٤. إذا كان لمجموعةٍ من المصطلحات الأجنبية دلالاتٌ متباينة، فيجب أن يكون لكلٍّ منها مقابلٌ عربي مستقل.

فمثلًا، لا يصح أن يكون للمصطلحين **inverter** و**converter** مقابلٌ عربيٌّ واحد هو (محوِّل). والحقيقة أن كلًّا منهما (محوِّل)، ولكنَّ

أحـدَهما يحـوِّل التيـار المسـتمر إلـى متنـاوب، والآخـر يحـوِّل التيـار المتناوب إلى مستمر.

٥. إذا كـان لمجموعـةٍ مـن المصـطلحات الأجنبيـة دلالاتٌ متقاربـة، فيجب أن يكون لكلٍّ منها مقابلٌ عربي مستقل.

فمثلًا، لا يصح أن يكون للمصطلحات **load** و**download** و**upload** مقابلٌ عربيٌّ واحد هو (تحميل)، وذلك لأن ثمةَ فوارقَ دقيقةً بـين هـذه المصطلحات.

أستميحكم عذرًا على هذه الإطالة، وأشكركم على صبركم، والسلام عليكم.

* * *

لغة العروبة

أحمد بوبس(*)

لـي فـي حـروفِ الضـاد أسـماءُ ... هنـــدٌ ســـعادٌ ريـــمُ هيفـــاءُ
هــي للعيــونِ المتعبــاتِ ضُــحًى ... هـــي للنفـــوسِ شِـــفًا وإرواءُ
وحروفُهـــا كالشـــمسِ ســـاطعةٌ ... لغـــة الزهـــور يزينهـــا المـــاءُ
لغـــةٌ إذا أســـماعَنا طرقـــتْ ... رقـــصَ الفـــؤادُ وعافـــهُ الـــداءُ
لغـةُ الهـوى والعشـقِ مـا برحـتْ ... يحنـــو عليهـــا الحـــاءُ والبـــاءُ
لغـــةٌ لهـــا فـــي الشـــعرِ أغنيـــةٌ ... فـــإذا الربـــى بالســـحرِ فيحـــاءُ
لغـــةٌ إذا مـــا الشـــعرُ داعبهـــا ... فـــإذا الحـــروفُ ريـــاضُ غنّـــاءُ
لغـةٌ هـي الحصـنُ الحصـينُ لنـا ... فيمـا(*) الأعـادي قتلَهـا شـاؤوا
لمـــا أضـــعناها ألـــمّ بنـــا ... وكمـــا تـــرونَ ضـــنًى وإعيـــاءُ
يـــا ويـــحَ قـــومي يعبثـــون بهـــا ... بغريـــبِ لفـــظٍ أشـــنعٍ جـــاؤوا
انظـــرْ إلـــى الطرقـــاتِ تملؤهـــا ... لغـــةُ الأعـــاجمِ بُكْـــمُ صـــمّاءُ
انظـرْ إلـى الأسـماءِ كـمْ هَزُلـتْ ... جوليـــا وروزٌ فيهـــا إغـــواءُ!

(*) ألقيت في اليوم العالمي للغة العربية في المجمع.

(*) استعمال «فيما» بمعنى: عندما، أو في حين، كما ورد هنا = ليس لـدينا فيمـا انتهـى إلينـا من كلام العرب ما ينصُّ أو يؤذن باستعمالهم له. [المجلة].

ما بال فاطمةٍ هلِ انكسرتْ؟ بلْ أينَ ليلى وردُ شيماءُ؟
هذي مؤامرةٌ لنا حُبِكَتْ وجنودُها مِنْ صُلبنا جاؤوا
لغةُ العروبةِ روحُ أمتنا وبدونِها جِيَفٌ وأشلاءُ
لولاها ما لان القريضُ لنا فإذا غصون الشعرِ غيداء
لولا حروفُ الضادِ ما ينعتْ في دوحةِ الشعراءِ آلاءُ
هذي الذِمارُ تفتتْ قطعًا وأصابَها حيفٌ وأرزاءُ
عبثَ البغاثُ بمجدِ أمتنا فإذا بنا للذُلِّ أصداءُ
يا قومُ هبّوا مِنْ منيتكمْ يكفيكمو نومٌ وإغفاءُ
هبّوا ابحثوا عَنْ صبحِ أمتكمْ يكفيكمو ذُلٌّ وغوغاءُ
قدْ قالَ ربُّ العالمين لنا وقلِ اعملوا فالسعي مِعْطاءُ

* * *

أنباءٌ مجمعيةٌ وثقافية

كلمة الدكتور محمود السيّد في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته التاسعة والثمانين، وموضوعه: «اللغة العربية بين الهوية القومية والعولمة»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأستاذ الدكتور محمد أيمن عاشور وزير التعليم العالي والبحث العلمي المحترم،
الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة المحترم،
الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة المحترم،
أيتها الأخوات، أيها الأخوة أعضاء المؤتمر:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعدُ:

فأهنئ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ أولًا برئاسته لمجمع اللغة العربية في القاهرة خلفًا للأستاذ الدكتور صلاح فضل - رحمه الله الرحمة الواسعة - وأتمنى له النجاح والتوفيق في أداء مهامه العالية ورسالتِه السامية، كما أهنئ ثانيًا الأمين العام للمجمع الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور، وجميعَ العاملين في المجمع على عقد هذا المؤتمر في هذه الظروف الصعبة والقاسية التي تمر بها أمتنا، وأقدّر عاليًا الجهود الكبيرة

التي بذلوها، والمعاناة المرة التي كابدوها حتى جرى لهم عقدُ المؤتمر، كما أثمن الجهود الطيبة والكبيرة التي قام بها أعضاء لجانِ المجمع وخبراؤه في وضع المصطلحات العربية مقابل المصطلحات الأجنبية في مختلف ميادين المعرفة، وأُكبرُ كلّ الإكبار الاختيار الموفق جدًا لعنوان المؤتمر «اللغةُ العربيةُ بين الهوية القومية والعولمة» وهو موضوع الساعة، وله أهمية كبيرة على الصعيد العربي بغية تسليطِ الأضواء على الجانب المظلم من العولمة الذي يهدّد هويتنا القومية وذاتيتَنا الثقافية؛ إذ إن للعولمة جانبين: أحدهما مضيء يتمثل في انفتاح الثقافات بعضِها على بعض، وتقريبِ المسافات بين الأصقاع، وتحويلِ العالم إلى قرية كونية، ولكَمْ تمنينا أن يتحلى عالمنا بأخلاق القرية وقيمِها، فأهلها يعاون بعضُهم بعضَهم الآخر في جو من المحبة والتفاهم والاحترام والتآزر!. أما الجانبُ المظلمُ من العولمة فيتجلى في هيمنة الأقوياء على الضعفاء، وسيادةِ حقِّ القوة لا قوة الحقّ، والاجتياحِ المادي وانحسارِ القيم المعنوية، وسيطرةِ المصالح، وسيرورةِ قيم الاستهلاك، وإحياءِ كلّ ما يفرّقُ ويمزّقُ الروابط بين أبناء الأمة، ووأدِ كلّ ما يوحّد، ويصون الذاتية الثقافية للأمم والشعوب.

أيتها السيدات، أيها السادة:

لا يمكننا أن نتخيّل مجتمعًا دون هوية ثقافية تميزه، واللغة هي محور الثقافة وحاملُتها والمعبرة عنها، والمحققةُ وحدةَ المجتمع وتجانسَه وتماسكَه، إلا أن تعزيز الهوية الثقافية، والمحافظةَ عليها، وتعميقَ جذورها لا يتنافى مع الانفتاح على الآخر، والحوارِ معه، والأخذِ من إيجابياته، وهذا ما انتهجته أمتنا من قبلُ، فعلى أرضها عاش أناس من جنسيات مختلفة، وديانات متعددة عيشًا مشتركًا متفاهمين، ومتآزرين، ومتجانسين ينشدون

المثل العليا، ومعيارُ المفاضلة بينهم عملُ الخير، ومنفعةُ الناس. وفي أجواء الأمان أسهمتِ الأمة في مسيرة الحضارة البشرية، وذلك عندما غدت لغتها العربية لغةً عالمية إبان أَلْق الحضارة العربية الإسلامية، وعندما احترم العرب آنذاك الثقافاتِ الأخرى ولغاتِها، ولم يعملوا على إقصائها كما يحصل في عالمية اللغة الإنجليزية في وقتنا الراهن، وإنما ترجموا عن الفارسية والهندية واليونانية، واحتفظوا بعلوم اليونان والرومان والفرس والهنود والأنباط في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها، وبعد أن اطلعوا على تجارب الآخرين طبعوا تجربتهم بالطابع العربي، وابتكروا وأبدعوا، وقدّموا خلاصة تجربتهم الغنية في ميادين العلوم والمعارف إلى أوربا، فكان ما أنتج في عصر النهضة في أوربا يرجع إلى نتيجة التثاقف بين العرب والأوربيين. وما تزال كلمة جاك شيراك رئيس الجمهورية الفرنسية من قبلُ، التي ألقاها في مؤتمر المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عام ٢٠٠١ ماثلة في ذهني عندما قال: «ما الهندسة المعمارية والشعرُ والرياضيات والفلكُ والطبُّ وغيرُها لولا الثقافة العربية التي ورثت أيضًا المعارف القديمة، وجابت أصقاعها بعيدًا عن جذورها في الوقت الذي كانت فيه أوربا منغلقة على نفسها؟». ورحم الله أستاذنا المجمعي السوري عبد الكريم اليافي إذ يقول:

أيا لغة القرآن أنت حياتنا ... ومرآتنا فيما نقول ونفعل
ورثت كنوز الأرض علمًا وحكمة ... فما لغة في الأرض إياك تعدل

أيتها الأخوات، أيها الأخوة:

مما يؤسف له في أيامنا هذه أن بضاعتنا لم تردَّ إلينا بنزاهة، بل رافقها

انتحال وتنكر وتحريف وتشويه في ضوء مشروع سياسي يهدُف إلى تغييب هويتنا القومية، وإبعادِ لغتنا، واللغة والهوية وجهان لعملة واحدة، ومعرفة اللغة أهم ركيزة لتحصين الهوية القومية، والذاتِ، والشخصيةِ، والإحساسِ بالانتماء القومي، ذلك لأن قلب الشعب ينبُض في لغته، واللغة هي روح الأمة وحياتُها، ومحور القومية وعمودها الفقري، وإن حياة الأمة تقوم قبل كل شيء على لغتها؛ لأنها إذا نسيت تاريخها فإنها تفقِد شعورها، وتستطيع أن تستعيد وعيها وشعورها بالعودة إلى تاريخها القومي، ولكنها إذا فقدت لغتها فإنها تفقِد الحياة، وتغدو في عداد الأموات على حد تعبير المفكر ساطع الحصري رحمه الله.

ومن الواضح أن الأهداف البعيدة للصيحات التي تهاجم اللغة العربية، وتسعى إلى استبعادها على يد أرباب العولمة، وعلى يد نفر ممن يدور في فلكها من أبناء الأمة عن وعيٍ منهم أو دون وعيٍ، إنما ترمي إلى ترسيخ التجزئة والانفصال بين أقطارها، وإبعادِ ماضيها عن حاضرها كي لا يكون عاملًا إيجابيًا لها للمضي في دروب التقدم.

أيتها الأخوات، أيها الأخوة:

إنّ الهوية العربية هي هوية اللغة والثقافة، إذ إن ثمة أناسًا من غير العرب أصبحوا من أهل هذه اللغة وأبدعوا فيها، وطوروا نظامها اللغوي والبلاغي، وغذَّوا تراكُمَها التعبيريَّ منذ ما يزيد على ألف عام. وتعدّ اللغة العربية الرمز المعبرَ عن الشخصية لغةً وثقافةً وقومية؛ أي: لسانًا وعقلًا ووجدانًا، وهي العروة التي جمعت الماضيَ بالحاضر ثقافةً، والناطقين بها هويةً، وبقيت الرباطَ الوثيقَ الذي يجمع بين أبناء الأمة في وحدة لغوية تملأ العربي إحساسًا بالانتماء إلى كل من تكلم بها ماضيًا، ومن يتكلم بها حاضرًا

وكل من يتكلم بها مستقبلًا، ذلك لأن الشعور بالانتماء ما هو إلا اعتزازُ الفرد بروح أمته، وما كانت اللغة إلا روحَ الأمة وأساسَ قوميتها.

ويتبدى من ذلك كله أنّ جوهر العروبة ليس مفهومًا عرقيًا أو عنصريًا، بل هي هوية ثقافية موحّدة، تؤدي اللغة العربية دور الحاضنِ لها، والمعبّرِ عنها، والحافظِ لتراثها؛ وتمثل إطارًا حضاريًا مشتركاً مرتكزًا على القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية، ويعمق جذوره التنوعُ والتعددُ والانفتاح على الثقافات الأخرى دون الذوبان فيها وفقدان التميز، وإن خسارة اللغة لا تعني افتقاد التواصل والتعبير فقط، بل تعني افتقاد الانتماء إلى الهوية القومية.

وتجدر الإشارة إلى أن لغتنا العربية تواجه تحدياتٍ عدةً في ظل العولمة التي يروم بعض أصحابها إبعادَ العربية، واعتمادَ الإنكليزية مكانها في العملية التعليمية التعلمية بحجة قصورِها عن استيعاب النهضة العلمية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى راحوا يروّجون للهجة العامية على أنها لغة الحياة، وليست العربية لغتَها، وغنيٌّ عن البيان أن الهدف من ذلك كله هو إحياء ما يفرّق بين أبناء الأمة الواحدة، والعامية تفرّق بين أقطارها حتى إنها تفرّق بين أبناء القطر الواحد، في الوقت الذي يرومون فيه وَأْدَ كل ما يوحّد بين العرب، واللغة موحِّدة وموحَّدة، ولا يتصورون أن يكون العرب في وحدة مجتمعية تقف في وجه أطماعهم ومصالحهم! فليوجهوا سهامهم إلى العروة التي تجمعهم، والرابطة التي تضمهم كافة، ألا وهي اللغة العربية.

ومن محاولاتهم في هذا المسار الرامي إلى طمس الهوية العربية الترويجُ لمشروع الشرق الأوسط الجديد، واستبعادُ مصطلح العروبة والعربية والوطن العربي والأمة العربية، والسعيُ إلى استبعاد اللغة العربية من بين اللغات المعتمدة في الأمم المتحدة، والمنظمات التابعة لها،

والتعتيمُ على الحضارة العربية الإسلامية، وتشويهُ التاريخ العربي، وتزويرُه، ووصمُ الإسلام بالإرهاب والتطرف....إلخ.

وفي ظل العولمة انتشرتِ الجامعات الأجنبية في الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه حتى بات لا يخلو قطر عربي من عدد من الجامعات الأجنبية أمريكية أو فرنسية، ولقد تفاقمت حدة هذا الانتشار في السنوات الأخيرة، وسيكون له آثارُه البعيدةُ على أمننا القومي والديني والوطني.

وجنحتِ الجامعات في دول المغرب العربي إلى التدريس باللغة الفرنسية في الأعم الأغلب ، ويشرف على التعليم العالي أساتذة وإداريون في المغرب والجزائر متحيزون إلى الفرنسية، وينظرون نظرة فوقية إلى المؤهلين بالعربية، ويصفونهم بالتخلف على حد تعبير الأستاذ الدكتور الجزائري عمار الطالبي في بحث له كان قد ألقاه في مجمع القاهرة من قبلُ.

وإذا كانت الجامعات في دول المغرب العربي تمارس التدريس بالفرنسية في جامعاتها فإن الجامعات في دول الخليج العربي تمارس التدريس بالإنكليزية في الأعم الأغلب. ولم يقتصر الأمر على التدريس في الجامعات، وإنما شقّ طريقه إلى التعليم العام والمدارس الخاصة ، حتى إن العلوم والرياضيات تدرس بالإنكليزية في بعض دول الخليج من الصف الأول إلى الصف الثاني عشر.

وأولياء الأمور في الطبقات الحريرية يتباهَون بتعليم أطفالهم اللغةَ الإنكليزية بدءًا من رياض الأطفال، ويَطلبُ إليهم المشرفون الإداريون في المدارس الخاصة عدم التحدث مع أطفالهم في البيوت إلا بالإنكليزية.

والسؤال الذي يمثل أمامنا : هل لمصلحة العرب استبعادُ لغتهم من التعليم، واعتمادُ اللغة الأجنبية مكانها؟ أليست لغتنا العربية ذاتَ أبعاد

متعددة دينيًا وقوميًا ووطنيًا وإسهامًا في مسيرة الحضارة البشرية؟ أليست بقادرة على نقل معطيات العصر، عصر العلم والتقانة؟. وها هي ذي التجربة السورية ماثلة أمامنا في التدريس باللغة العربية عبر ما يزيد على قرن كامل، وأثبت خريجوها كفايتهم في الوصول إلى أرقى المناصب الأكاديمية في أمريكا والدول الأوربية ، ولم يكن تأهيلهم باللغة الأم إلا عاملًا مساعدًا لهم على تمثل المعارف، والتوجه نحو التميز والإبداع.

ثم أليس في إبعاد العربية عن التعليم العالي والبحث العلمي عزلٌ للغة العربية عن العلم، وللناطقين بها عنه، ووأدٌ للعلم والثقافة في الوطن العربي، وجعلُه مستوردًا لا نحصل منه إلا على ما يريد أصحابه أن يصل إلينا منه؟.

ولا يظنَّنّ أحدٌ أننا لا نرغب لأبنائنا في أن يتعلموا اللغات الأجنبية، بل على العكس إننا نشجعهم على اكتسابها وإتقانها، إلى جانب إتقانِ لغتهم الأم العربيةِ الفصيحة. وعندما كنت وزيرًا للتربية قررت تعليم اللغتين الإنجليزية والفرنسية في المرحلة قبل الجامعية، الإنجليزية بدءًا من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، والفرنسية اعتبارًا من الصف السابع بحيث يتخرج الطالب في المرحلة الثانوية، ولديه معرفة باللغتين الفرنسية والإنجليزية، ولو كان القرار بيدي حاليًا لكنت توجهت إلى تعليم اللغة الصينية أيضًا، والروسية. ورحم الله شاعرنا العربي الذي يقول:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوانُ
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعًا فكل لسان بالحقيقة إنسانُ

أيتها السيدات، أيها السادة:

من الاختراقات التي حدثت في ظل العولمة أيضًا عقدُ مؤتمرات علمية على الأرض العربية اعتُمِدَت فيها اللغةُ الأجنبيةُ في منأًى عن استخدام

العربية، ولو كانت الموضوعاتُ المطروحةُ عربية، ولا ضيرَ من اعتماد اللغتين الإنجليزية والعربية إذا كان ثمة أجانب يحضرون فيها.

ومن الأمور المقلقة جدًا سيرورة الهجين اللغوي واللهجات العامية في الإعلانات واللافتات وعلى واجهات المحال التجارية والخدمية والسياحية، وعلى المنتجات الوطنية، وفي الشركات والمعامل والمطاعم والفنادق والمقاهي والمطويات والمصارف والبنوك، وفي القنوات الإعلامية، وعبر الكلمة المسموعةِ والمرئية... إلخ.

ومن الملاحظ أيضًا أنه في المسابقات والتعيينات ينص على النجاح في اللغة الأجنبية، ولا ينص على النجاح بالعربية ولا يلتفت إليها، وهذا ما أدى إلى النفور منها، وعدم الإقبال على الاهتمام بها وتعلمها مادام سوق العمل جاذبًا للمؤهلين بالأجنبية.

ومما زاد الطين بِلّةً أنّ مراكزَ التواصلِ الاجتماعي لا تستخدم العربية الفصيحة إلا نادرًا في الوقت الذي يمارس فيه الشبابُ والشاباتُ فيها العربيزي والفرانكوآراب، وكتابةَ العاميات بالحروف اللاتينية لا بالعربية، إلى جانب غياب بعض الحروف العربية، ووضع أرقام مكانها.

ومن الملاحظ أن ثمة خللًا بين مجموعتين في مجتمعنا العربي، يقال عن الأولى: إنها في غربة معرفية، ويقال عن الثانية: إنها في غربة عن الانتماء، وإذا ظلت كل مجموعة متمسكةً بمنهجها، فإن في ذلك انعكاسًا سلبيًا على اللغة العربية، إذ لابد من تعزيز الانتماء، وفي الوقت نفسه الاطلاعِ على ثقافات الأمم الأخرى، والتمكنِ من لغاتها الحية؛ لأن في ذلك إغناءً للغتنا العربية، ومواكبة للمستجدات على النطاق العلمي.

وإنّ من متطلبات العصر الذي نحيا تحت ظلاله أن يتسم المرء

بالمرونة في التفكير، والذي نلاحظه على نطاق الساحة القومية أن بعض اللغويين يظنون أن في تشددهم اللغوي حمايةً للغة، فلا يقبلون بأي تيسير، ويحولون دون أيِّ تجديد، وينظرون إلى التراث على أنه مقدس بكل ما جاء فيه، وهم بعملهم هذا ينفّرون الناس من اللغة من كثرة ما يقولون: هذا خطأ، فبات الناس يخافون من النطق على حدّ تعبير المجمعي في مجمع القاهرة الراحل الكبير الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله.

ونخلص إلى القول: إنّ مسؤولية النهوض باللغة العربية لا تقع على كاهل جهة واحدة، بل هي مسؤوليةُ جميعِ الجهات ما دامت هي لغتَهم الأم، وعلى أبنائها أن يكونوا بارِّين بها، وأوفياء لها، وعلى المسؤولين وأصحابِ القرار أن يكونوا قدوة ومثالًا في استعمال اللغة السليمة في فعالياتهم ومناشطهم، وأن تكون ثمة سياسات وقوانينُ لحماية اللغة العربية، وصونِها ما دامت هي الوطن الروحي، وكما يُدافعُ عن حدود الوطن كان لابد من الدفاع عن حرمة اللغة وحمايتها.

وإنّ مؤتمرنا يدعو الجهات المعنية في الدول العربية إلى الالتزام بقرارات المجامع اللغوية على الصعيد العربي، واستعمالِ المصطلحات العربية التي تضعها هذه المجامع في مجالات عمل تلك الجهات تعليميةً كانت أو إعلامية أو اقتصادية أو سياسية... إلخ.

ثم إنّ مؤتمرنا يتوجه إلى مؤتمر القمة العربي القادم طالبًا إليه العمل على توفير الأمن اللغوي، وإصدارِ قوانينَ لحماية اللغة العربية، وتعزيزِ استعمال العربية السليمة في جميع مجالات الحياة في التعليم بمراحله كافة، وفي الإعلام والإعلان بكل أشكاله، وفي المواقع العربية على الشابكة، وإصدارِ قرارات سياسية حاسمة في موضوع التعريب... إلخ.

وإذا كان إصدارُ التشريعات والقوانين لحماية الأمن اللغوي من الأهمية بمكان فإن لنشر الوعي اللغوي في عقول أبناء الأمة أهميةً لا تقِلُّ عن الأولى، على أن يكون رؤساء الدول العربية وحكامُها قدوة ومثالًا في الحرص على استعمال لغتهم العربية سليمة في جميع المجالات.

وأخيرًا آمُل أن يحقق مؤتمرنا الأهداف المرسومة له، وأن يتوصل في نهاية أعماله إلى توصيات عملية إجرائية تؤدي إلى التمكين للغتنا والارتقاء بها. ومع إيماننا العميق بأن المستقبل للغتنا مادام القرآن الكريم حافظًا لها، وصدق ربّ العالمين في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فإنّ واقع لغتنا الحاليَّ يدعونا إلى العمل على حمايتها، وإنقاذها من المخاطر التي تحدق بها في ظل عولمة جائرة في جانبها المظلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

مباركات بمناسبة نيل
جائزة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية

تلقى رئيس المجمع الأستاذ الدكتور محمود السيّد مباركات من مجامع اللغة العربية في الوطن العربي بمناسبة نيله جائزة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية في فرع تعليم اللغة العربية وتعلمها، وقد أُعلِنَتْ هذه الجائزة بتاريخ ١ مارس ٢٠٢٣ فتقدم إليها، وخضع الإنتاج الفكري المقدم إلى التحكيم من ثمانية عشر محكمًا عبر لجان ثلاث، تضم كل لجنة ستة محكمين من دول عربية وأجنبية، وقد بلغ عدد المرشحين لنيل الجائزة / ٧٢٦/ سبعمئة وستة وعشرين مرشحًا على الصعيدين العربي والعالمي.

وكانت التهاني التي تلقاها:

- من **مجمع اللغة العربية في القاهرة رئيسًا وأمينًا وأعضاءً**: الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حافظ رئيس المجمع، والأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور أمين المجمع وأمين عام اتحاد المجامع العلمية اللغوية في الوطن العربي، والأعضاء الدكاترة: وفاء كامل، أحمد فؤاد باشا، محمد رجب الوزير، محمود كامل الناقة، سليم العوا، نصر عباس.

- ومن الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين رئيس المجمع العلمي اللغوي العراقي.

- ومن الأستاذ الدكتور بكري الحاج رئيس مجمع اللغة العربية في السودان، ومن الأستاذ الدكتور الشريف المريبعي رئيس مجمع اللغة العربية في الجزائر، والأستاذ الدكتور صالح بلعيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، ومن الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت رئيس مجمع اللغة العربية في الأردن، ومن الأستاذ الدكتور امحمد صافي المستغانمي أمين عام مجمع اللغة العربية في الشارقة، والأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحجمري مدير مكتب تنسيق التعريب في الرباط، والأستاذ الدكتور أحمد شحلان المدير العام الأسبق لمركز تنسيق التعريب في الرباط، والأستاذ الدكتور خليل النحوي رئيس مجمع اللسان العربي في موريتانيا.

- وعلى الصعيد المحلي تلقى التهانيَ من المهندس ناجي العطري رئيس مجلس الوزراء الأسبق، والدكتور عادل سفر رئيس مجلس الوزراء الأسبق، والدكتور وائل الحلقي رئيس مجلس الوزراء الأسبق، والدكتور بسام إبراهيم وزير التعليم العالي، والدكتور عامر ماردیني وزير التربية، والدكتور غياث بركات وزير التعليم العالي الأسبق، والدكتور بسام طعمة وزير النفط السابق، والدكتور حسان النوري وزير التنمية الإدارية السابق، والدكتور هلال الأطرش وزير التنمية الإدارية الأسبق، والدكتور إبراهيم حداد وزير النفط الأسبق، والدكتور قيس خضر أمين عام رئاسة مجلس الوزراء، والدكتور يسار عابدين رئيس جامعة دمشق السابق، ومن بعض الأصدقاء الأوفياء من أساتذة الجامعة.

* * *

جائزة مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy
Prize for Arabic Language
شهادة استحقاق
جائزة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
الدورة الثانية (٢٠٢٣م)، فئة الأفراد في:
(فرع تعليم اللغة العربية وتعلُّمها)
منحت الجائزة فيه
لـــ د. محمود أحمد إبراهيم السيّد
وذلك في الحفل الذي أقيم برعاية سمو وزير الثقافة
رئيس مجلس أمناء مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
سمو الأمير/ بدر بن عبد الله بن فرحان آل سعود (حفظه الله)
تقديرًا له وتثمينًا لجهوده في خدمة اللغة العربية المتمثلة في ريادته في مجال تعليم اللغة العربية ومناهجه وطرائقه، وغزارة إنتاجه العلمي وأصالته: إذ قدمت مسيرته العلمية والعملية تجربةً ثريةً تنوعت بين التأليف، والتدريس، والتدريب، والإسهام بأدوار قياديّة في مشروعات تعليم اللغة العربية وبرامجها. وقد حققت أعماله أثرًا مستدامًا على المستوى المحليّ والإقليميّ، تمثل في منجزاتٍ تنظيرية وأخرى تطبيقية تبوأت مكانة مهمة ضمن المراجع التي يعتمدها المتخصصون في تعليم اللغة العربية.
والله ولي التوفيق.
الأمين العام المكلف.
أ.د. عبد الله بن صالح الوشمي

من قرارات المجمع
في الألفاظ والأساليب(*)

(٢٤١)
برمج يبرمج برمجة فهو مبرمج

١ - المسألة:

يستعمل المعاصرون الفعلَ «بَرْمَجَ» ومصدرَه «بَرْمَجة» ومشتقّاتِه للتعبير عن إعداد خطّة أو منهج أو نظام معيّن لأمر ما، أو اتّباع ذلك، أو تزويد شيء كالآلة مثلًا، ومنها الحاسوب، بنظام معيَّن يهيِّئه للعمل أو الاشتغال على وفق ما يمليه عليه ذلك المنهج أو النظام من قواعد وضوابط؛ فيقولون مثلًا: «برمجَ المؤسّسةَ، أو برمجَ نفسَه، أو برمجَ الآلة، وهذا الحاسوب يحتاج إلى برمجة، وهذا مبرمِجٌ بارع». فهل هذا جائز؟.

٢ - الاقتراح:

جواز استعمال الفعل «برمَجَ» وتصريفاته ومشتقّاته لما يستعملها فيه المعاصرون من التعبير عن إعداد منهج أو نظام معيّن، أو اتّباع ذلك، أو تزويد الآلة بما تحتاج إليه من نظام أو طريقة أو معلومات تجعلها تجري على وفق قواعد وضوابط معيّنة؛ وإضافة ذلك إلى المعجم العربي.

(*) هذه قرارات مجمع اللغة العربية بدمشق، عُرِضَتْ في مؤتمري المجمع العاشر والحادي عشر، وحظيت بالموافقة.

(يرجى ممَّن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).

٣- التعليل:

في القاموس المحيط (برمج): «البَرنامَجُ: الورقةُ الجامعة للحساب، مُعرّبُ: بَرْنامَهْ».

- **في المغرب (برنمج):** «(البَارْنَامَجُ) فارسيَّةٌ، وهي اسم النُّسخة التي فيها مِقْدارُ المَبْعُوث، ومنه قال السِّمْسار: إنّ وَزْنَ الحُمُولَة في البَرْنامَج كذا. وعن شيخنا فَخْرِ خُوَارِزْمَ أنّ النُّسْخة التي يكتب فيها المُحدِّثُ أسماءَ رواته وأسانيدَ كتبه المسموعة تُسَمّى بذلك»[(١)].

- **وفي تاج العروس (برنمج):** «البَرْنَامَج، بفتح الموحّدة والميم، صَرّح به عِياضٌ في المشارق، وقيل: بكسر الميم، وقيل: بكسرهما، كما في بعض شروح المُوطّأ: الورقةُ الجامعةُ للحساب. وعبارة المشارق: زِمامٌ يُرسَم فيه مَتاعُ التُّجّار وسِلَعُهم[(٢)]. وهو مُعرّبُ بَرْنامَه، وأصلها فارسية».

- **وفي المعجم الوسيط:** «البرنامج: الورقة الجامعة للحساب، أو التي يرسم فيها ما يُحمَل من بلد إلى بلد من أمتعة التُّجّار وسلعهم. والنُّسْخَة الَّتِي يكتب فيها المُحدِّث أسماء رُوَاته وأسانيد كتبه. والخُطَّة المرسومة لعمل ما كبرامج الدَّرْس والإذاعة، (مع) فارسيته برنامه (ج) برامج».

- **ونَصَّ فُقهاء المالِكِيَّة على أنّ البَرْنَامَجَ في ما يُسمَّى بيعَ البرنامج:** هو الدّفْتَرُ المكتوب فيه صِفَةُ ما في الوعاء مِنَ الثّياب المبِيعة[(٣)].

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب، ناصر المُطَرِّزِيّ، تح. محمود الفاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد - حلب، ط١، ١٩٧٩، ١/ ٦٦.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض المكتبة العتيقة - تونس، ودار التراث - القاهرة، ١/ ٨٥. وفيه: زمام تسمية متاع...إلخ.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار السلاسل - الكويت، ط٢، ١٩٨٦، ٧/ ٧٠.

هذا ما قاله العلماء عن كلمة (البرنامج) التي عرّبها العرب منذ زمن قديم. وتأمُّل الاستعمال المعاصر لها في ضوء ما نصّ عليه القدماءُ يدلّنا على أنّها ممّا اتّسع المعاصرون في استعماله؛ إذ استعملوها بمعنى المنهج والخطّة والطريقة استعمالًا يجمعه بدلالة الكلمة الأولى معنيا الدّقّة والاستيعاب اللذان يبدوان لك في كلتا الدلالتين. وقد كان هذا المعنى آخرَ ما كان في المعجم الوسيط، لكنّه سِيْقَ فيه سياقةً تدلّ على أنّه من المعاني القديمة، والصحيحُ أنّه من المعاني المحدثة الطارئة التي كان ينبغي تمييزها والنصّ عليها بما ينبغي. ثمّ اشتقّ المعاصرون من هذا الاسم المعرّب (البرنامج) بدلالته الطارئة التي تعاهدوها واصطلحوا عليها ما ألجأتهم إليه حاجةُ الاستعمال، فكان الفعل (برمَجَ) وتصريفاته ومشتقّاته.

وهذا الاشتقاقُ جارٍ على ما تسمح به أصول العربيّة وقواعدُها؛ لأنّ الاشتقاق من الاسم الجامد المعرَّب معروف في العربيّة، وقد ورد فيها شيء منه يزكّيه، مثل: نرجسَ الماء، وهندس المهندسُ،... ثمّ إنّ هذا القبيل من الاشتقاق ممّا أجازه مجمعُ اللغة العربيّة في القاهرة، ولاسيّما إذا كان المشتقُّ مصوغًا على وزن عربي صحيح، سائغًا في الذوق، شائعًا في الاستعمال. وذلك كلّه تراه متضافرًا في هذا الفعل «برمج» وتصريفاته ومشتقّاته.

وربّما كان التعبير بهذا الفعل ومصدره ومشتقّاته عن هذه المعاني التي اشتهرت في المعاصرين وتداولوها، لاختصارها وإيجازها = أولى من التعبير عنها بألفاظٍ أو تراكيبَ أخرى نحو: أعدَّ خطّة، أو زوّدَ الحاسوب ببرنامج، أو صمّمَ برنامجًا، أو مشى في حياته على برنامج صارم،...

ولك بعد ذلك أن تستأنس بما ذهب إليه مجمع اللغة العربيّة في القاهرة من

أنّ هذا الاستعمال «برمج» و«برمجة» صحيح سائغ يجري على قواعد العربيّة[٤].

عضو المجمع د. عبد النّاصر عسّاف

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

جواز استعمال الفعل «بَرمَجَ» وتصريفاتِه ومشتقّاتِه لما يستعمله فيه المعاصرون من التعبير عن إعداد منهجٍ أو نظامٍ معيَّنٍ، أوِ اتّباع ذلك، أو تزويد الآلة بما تحتاج إليهِ من نظامٍ أو طريقةٍ أو معلوماتٍ تجعلها تجري على وفق قواعدَ وضوابطَ معيّنةٍ؛ وإضافةُ ذلك المعجم العربيّ.

* * *

(٢٤٢)
دَشَّنَ

١- المسألة:

يقولون: (دشّنَ الوزيرُ المطار الجديد)؛ أيْ: أعلنَ بدء عمله، و(كان احتفالُ التدشين برعايته). ولا يجيزه بعضهم؛ لأنه لم يرد في المعاجم بهذه الدلالة.

٢- الاقتراح:

جواز هذا الاستعمال ومشتقاته.

٣- التعليل:

ربما كان الأزهريّ أسبق اللغويين إلى ذكر الجذر (د ش ن) في (التهذيب)، إذ نقل عن الليث أنّ «الداشن: مُعرَّب الدَشن، وهو كلامٌ عراقيّ،

(٤) القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ١٩٨٩، ١٥١، وكتاب الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ٢٠٠٠، ٣/ ٣٨٢. وانظر: معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب - القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ١/ ١٨١، ٢/ ٨٨١.

وليس من كلام أهل البادية، وقال ابن شميل: الداشن والبُرْكة كلاهما الدَّستاران» [أيِ: العطيّة]. وأورد الصاحبُ بن عبّاد في (المحيط في اللغة) صيغتين فعليتين منه: «وتدشّنتُ منه شيئًا، و:دَشَنَ لي بشيءٍ؛ أيْ: أعطاني شيئًا قليلًا». وذكر ابن سيده في (المحكم والمحيط الأعظم) دلالة الاسم «داشن» فقال: «كأنهم يعنون به الثوب الجديد الذي لم يُلبس، أو الدار الجديدة التي لم تُسكن»، وهو ما ورد في (اللسان) و(القاموس) و(التاج). والغريب أننا لا نجد لهذا اللفظ شواهد من الشعر أو النثر في أيٍّ منها.

أما في العصر الحديث فقد اكتفى البستاني في (محيط المحيط) ودوزي في (التكملة) بنقل ما ورد في المعاجم العربية، وكذلك فعل أحمد رضا في معجمه، ولكنّه أضاف: «والعامّةُ تقول: دشّنَه: إذا باشرهُ قبل كلّ أحدٍ غيره». وقال الأسديّ: «وهم أطلقوها على المباشرة الأولى لكلّ عملٍ؛ يقولون: دشّنت الحكومةُ المستشفى، ودشّنت الباخرةَ الجديدة». ثم ورد الفعل (دشَّنَ) والمصدر (التدشين) بهذه الدلالة في (المعجم الكبير) الذي يصدره مجمع القاهرة.

ويكفي لإجازة استعمال «دشّن» سهولةُ الاشتقاق منه (كاسمَيِ الفاعل والمفعول)، وشيوع استعماله في شتّى الأقطار العربية؛ ويضاف إلى ذلك أنه ليس في جرْسه وتأليف حروفه ما يدلّ على العجمة.

- في الاستئناس:

- أجازه مجمع اللغة العربية في القاهرة في كتاب الألفاظ والأساليب ٤/ ٥٠

عضو المجمع: د. رفعت هزيم

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

جواز استعمال الفعل (دشَّنَ) بمعنى باشرَ الشيءَ لأول مرة، وكذا مشتقاته.

* * *

(٢٤٣)
بَرْطَلَ والبِرْطيل

١ - المسألة:

يقولون: (بَرْطَلَهُ)؛ أي: رشاهُ، والبِرطيل: الرشوة. ويعترض بعضهم على استعماله لشيوعه في العاميّة.

٢ - الاقتراح:

صحة استعمال (البِرطيل) بمعنى الرشوة، وكذا (بَرْطلَ) بمعنى رشا.

٣ - التعليل:

ربما كان الزمخشري أسبق من ذكر الدلالات المختلفة للجذر (ب ر ط ل) ومشتقاته، فقال في (أساس البلاغة): «رأسٌ مُبرطل: طويل؛ من البِرطيل وهو الحجر المستطيل، قال بيهس:

وقد ركبتم صمّاء معضلةً تفري البراطيل تفلق الحجرا

ومنه: ألقمهُ البرطيل، وهو الرشوة، وإنّ البراطيل تنصرُ الأباطيل، وبرطلَ فلان: رشاه». وإذا كنا لا نعرف له شاهدًا من عصر الاحتجاج فقد ورد في أبياتٍ لابن طباطبا العلويّ (ت ٣٢٢هـ) ذكرها الراغب الأصفهانيّ في (محاضرات الأدباء)، ومنها:

يا خليلي يا أبا الغيث دَرَكْ نصبَ القاضي لكَ اليومَ شَرَك
طلبَ البرطيلَ فابذلْه لهُ يَسكتِ القاضي وإلا ذَكَرك

كما ورد في قصيدةٍ للبوصيري:

ولم ينفعهمُ البرطيلُ شيئًا وما ازدادوا به إلا ديونا

أما في النثر فقد ورد في (يتيمة الدهر) للثعالبي، و(الوافي بالوفيات)

للصفدي، و(النجوم الزاهرة) لابن تغري بردي، وسواها.

وأغفل (اللسان) هذا الجذر، في حين أورده الفيروزابادي في (القاموس)، قال: «البرطيل -بالكسر-: حجرٌ، أو حديدٌ طويل صُلب خِلْقةً يُنقرُ به الرّحى، والمِعولُ، والرشوةُ، وبرطلَ: جعلَ بإزاء حوضه بِرطيلًا، وفلانًا: رشاهُ فتبرطلَ فارتشى».

أمّا الصلة بين الدلالتين فقد بيّنها الفيّومي في (المصباح المنير)، قال: «البرطيل – بكسر الباء -: الرشوة، وفي المثل: البراطيل تنصر الأباطيل، كأنّه مأخوذ من البرطيل الذي هو المِعْولُ؛ لأنه يُستخرجُ به ما استترَ».

قال المعرّي: «والبرطيل الذي تستعمله العامة في معنى الرشوة لا يُعرف في الكلام القديم، ولاشك أن أبا عبادة(*) لم يعنِ إلا الكلمة العامية، والبرطيل في كلام العرب: حجرٌ مستطيل. وقول العامة: (برطيل) يجب أن يكون مأخوذًا من هذا اللفظ، يريدون أن الرشوة حجر قد رُمِيَ بها مَن يُخاصمون...».

وهكذا نرى أنّ (البرطيل) بمعنى (الرشوة) عاميٌّ قديم، وتفصَّح استعماله بالتطور الدلالي، وأنّه مستعمل في الشعر والنثر منذ القرن الرابع الهجريّ، فليس ما يمنع من استعماله واستعمال ما اشتُقّ منه.

عضو المجمع: د. رفعت هزيم

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

صحة استعمال (البِرطيل) بمعنى الرشوة، واستعمال الفعل (بَرْطلَ) بمعنى رشا.

* * *

(*) المقصود البحتري في قوله:

ورَحَضَت قنّسرين حتى أُنقيت جنباتُها عن ذلك البرطيل

انظر: عبث الوليد: ص٤٣٦.

(٢٤٤)
كَمَشَ وكَمْشة

١ - المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي المعاصر الفعل (كَمَشَ) بمعنى قبضَ على الشيء، وأمسك به. ولم تذكر المعاجم العربية القديمة هذه الدلالة له، كما لم تذكرها المعاجم الحديثة، مما جعل بعضهم يخطِّئها ويعدها من أوضاع العوامّ التي يُعدل عنها، ومثله (الكَمْشة) بمعنى ملء قبضة اليد.

٢ - الاقتراح:

جواز استعمال الفعل (كَمَشَ) ومشتقاته بمعنى قبض على الشيء وأمسك به، وإضافته إلى المعجم العربي.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

مما ورد في لسان العرب (كمش) عن هذا الفعل: «أَكْمشَ بناقته: صرَّ أخلافها»، وفي صحاح الجوهري (٣/ ١٥٥) (كمش): «أَكمشتُ الناقة: صررتُ أخلافها أجمع». وفي تهذيب اللغة للأزهري: «الكَمْشة: الصغيرة الثدي».

وورد في المعجم الوسيط باب الكاف: «الكمَّاشة: آلة تُنتزع بها المسامير ونحوها».

ويتضح مما سبق أن الفعل (كمش) لم يرد للدلالة المعاصرة في المعاجم القديمة، أما الحديثة فقد أوردت اسم الآلة (الكمَّاشة).

ولكننا نتلمس له دلالة القبض على الشيء والإمساك به، مما قد يشي به ما ورد في المعاجم القديمة، وآية ذلك قول اللسان: «أَكْمشَ بناقته: صرَّ

أخلافها»، وقول الصحاح (كمش): «أَكمشتُ الناقة: صررتُ أخلافها أجمع»، ذلك أن دلالة الصَّر هي (الجمع والشد)، فقولهم: «أَكمشتُ الناقة: صررتُ أخلافها» يعني جمعت أخلافها وضممت بعضَها إلى بعض؛ لأن الصّرَّ لا يكون دون القبض على الشيء والإمساك به، ولأن «القبض هو الأخذ باليد ...والتناول للشيء بيدك ملامسة»(٥).

ثمّ إنّ قول المعاجم: «الكَمْشة: الصغيرة الثدي» مما يُدني إلى ما نرمي إليه من معنى (الكمشة)، وهي ما لا يتجاوز قبضة اليد عادة، وهذا مدلول الكمشة بمعناها المعاصر المتداول، وهو ملء قبضة اليد.

ب- في اللغة والاشتقاق:

يمكن التماس هذا المعنى وتسويغه على أنه من الاشتقاق الإبدالي، إذ يحتمل أن يكون من إبدال الباء ميمًا، ذلك أنه ورد في (مستدرك التاج/ كمش: «كبَشَه كبْشًا: إذا تناوله بجمع يده»، وورد في اللسان (شكم): «الشَّكب والشكم بمعنى»، وهو كما يُرى من إبدال الباء ميمًا.

ج- في التأثيل من اللغات الجزيرية: يرجَّح أن أصل فعل (كَمَشَ) بهذه الدلالة هو اللغة السُّريانية، جاء في كتاب الاشتقاق والتعريب للمجمعي عبد القادر المغربي: «قولهم: كمشَ كمْشةً، أي: قبضَ قبضةً، من السريانية»(٦). وإلى مثله ذهب خير الدين الأسدي في موسوعة حلب الكبرى(٧).

وانتشار هذا الفعل ومشتقاته في بلاد الشام التي كان كثير من سكانها يتكلمون السُّريانية أخت العدنانية يقوّي هذا الترجيح.

---

(٥) ابن منظور- لسان العرب: قبض.

(٦) عبد القادر المغربي- الاشتقاق والتعريب: ٣٦٨.

(٧) خير الدين الأسدي- موسوعة حلب الكبرى ٦: ٤٠.

د- في الاستئناس:

أورده المستشرق (دوزي) في معجمه (تكملة المعاجم العربية)، قال: «كمشَ: أمسكَ بيده، قبضَ...كمْشة: ملء قبضة اليد، حَفنة، قبْضة»[٨]، وشرح بها فعل (كبش)، فقال: «كبشَ: كمَشَ، تناول الشيء بجمع يده»[٩]. وقوله هذا يعضد تعليلنا بالإبدال. وأورده الشيخ المجمعي أحمد رضا في معجمه (رد العامي إلى الفصيح) قال: «كمَشَهُ: إذا ضم عليه أصابعه وقبض عليه»[١٠]. وكان مجمع دار العلوم بمصر قد أقرَّ استعمال كلمة (الكمَّاشة) للأداة التي تُنزع بها المسامير ونحوها[١١]. عضو المجمع: د. ممدوح خسارة

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

جواز استعمال الفعل (كَمَشَ) ومشتقاته بمعنى قبض على الشيء وأمسك به، وإضافته إلى المعجم العربي.

* * *

(٢٤٥)
الشَّفافِيَة والشَّفَّافِيَّة
بمعنى الوضوح والصِّدقية

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي المعاصر كلمة (الشَّفَافِيَة) بتخفيف الفاء

(٨) دوزي- تكملة المعاجم العربية ٩:١٤٠.

(٩) المصدر السابق ٩:٢٧.

(١٠) أحمد رضا- رد العامي إلى الفصيح: ٣٦١.

(١١) أحمد رضا العاملي- معجم متن اللغة: كمش.

والياء، و(الشفَّافِيَّة) بتشديدهما بمعنى الوضوح والصدقية. ويعارضها بعضهم بحجة عدم ورودها في المعاجم لفظًا ودلالة.

٢- الاقتراح:

جواز استعمال كلمتي (الشَّفَافِيَة والشفَّافِيَّة) بمعنى الوضوح والصدقية، وإضافتهما إلى المعجم العربي.

٣- التعليل: أ- في المعاجم:

ما ذكرته المعاجم من الجذر (شفف) مما له صلة بالمعنى المراد ما يلي:

- مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٢٠): «الشَّفُّ: السِّتر الرقيق، سمِّي بذلك لأنه يُسْتَشَفُّ ما وراءه».
- لسان العرب (شفف): «شَفَّ السِّترُ شُفوفًا وشفيفًا: أظهرَ ما وراءه... الشَّف: ضرب من الستور يُرى ما وراءه.. واستَشفَّ [الثوبُ]: ظهر ما وراءه.. واستشفه هو: رأى ما وراءه» ومثله في تاج العروس.

وواضح من هذا أن المعاجم القديمة والمعجم الوسيط لم تذكر هذه الكلمة ببناءيها.

ب- في الصرف والدلالة:

يمكن تسويغ قبول هاتين الكلمتين بما يلي:

١- (الشفافِيَة) (بتخفيف الفاء والياء): باعتبارها مصدرًا مولَّدًا لم يرد في المعاجم، ولكن يمكن حمله على مصادر لأفعال ثلاثية وردت على بناء (فَعالِيَة):

- ورد في لسان العرب (علن): «عَلَنَ الأمرُ يَعْلُنُ عُلونًا، ويَعلِن، وعَلِنَ يَعلَن عَلَنًا وعلانيةً فيهما: إذا شاع وظهر».

- وورد في تاج العروس (صلح): «وصلاحِيَة الشيء مخففة كطواعِيَة: مصدر صَلَحَ، وليس في كلامهم (فعَّاليَّة) مشددة، كذا نقلوه».

- وفي المعجم الوسيط: «طاعَ فلانٌ طَوعًا: انقادَ، والنباتُ طَوعًا وطاعةً وطواعيةً: أمكن رَعيُه».

فإذا قُبِل بناء مصدر (شفَّ) على شفافِية حملًا على ما ورد على هذا البناء من مصادر، فإن دلالة هذا المصدر على الوضوح والصدق ظاهرة في أقوال المعاجم من أن الشفَّ هو إظهار ما وراء الستر أو الثوب واضحًا كما هو في الواقع تقريبًا، وبصدق، لأن معنى الصدق هو الإخبار بالواقع، كما في الوسيط.

٢- الشَّفَّافِيَّة (بتشديد الفاء والياء): ويسوَّغ قبولها باعتبارها مصدرًا صناعيًّا من الصفة (شَفَّاف)، وهو الذي يُري ما وراءه، أي: لا يخفي شيئًا ولا يستره، ويسمح برؤيته بوضوح وصدق إلى حدٍّ بعيد.

ج- في الاستئناس:

- استعمل الرازي (ت ٦٠٦هـ) كلمة الشفَافيَة بالدلالة المعاصرة حيث قال في مفاتيح الغيب (٤/ ١٧١): «اشتراكها بأسرها في **الشفافِية** والصفاء والنقاء في الجوهر».
- استعملها محمد أمين المحبي (ت ١١١١هـ) في كتابه (نفحة الريحانة ورشح طلاء الحانة) ١/ ١١٧، إذ قال: «وقد أثبتُّ له من أوائل شعره كل بديع الوصف زارٍ على الجوهر في **الشفافِية** والرَّصف».
- استعملها التهانوي في (كشاف اصطلاحات الفنون) ١/ ٥٦٤ في تفسير الكثافة أنها «عدم **الشفافِية**».
- استعملها المستشرق (دوزي) في معجمه (تكملة المعاجم العربية) ٧/ ٤٢٥، قال: «غِلاظة: كثافة، عدم **الشفافِية**».
- أقرها مجمع القاهرة في كتاب الألفاظ والأساليب ٢/ ٣٠٢-٣٠٥، وقال: «يصح ضبطها بتشديد العين واللام أو بتخفيفها، تأسيسًا على

أنها في حالة التشديد مصوغة على وزن (فَعَّال) دخلت عليها ياء النسب والتاء، وأنها في حالة التخفيف مصادر على وزن (فَعَالِيَة)..مثل: علانِيَة وطواعية. وورد في المعاجم نحو ثلاثة وعشرين مصدرًا على بناء (فَعَالِيَة) من مثل: الطماعية والرفاهية والنزاهية...».

- أوردها معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر وفريقه (٢/ ١٣١٨)، قال: «الشفَافِيَة: قابلية الجسم لإظهار ما وراءه.. وتستعار للشخص الذي يظهر ما يُبطِن، فيقال له: رجلٌ ذو شفافِيَة...».
- أوردها المعجم العربي الأساسي (شفف).

من كل ما تقدم لا نرى مانعًا من تجويز استعمال كلمة (شفافِيَة) بتخفيف الفاء والياء أو تثقيلهما، بمعنى الوضوح والصدقية.

عضو المجمع: د. ممدوح خسارة

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

جواز استعمال كلمتي (الشَّفَافِيَة والشفَّافِيَّة) بمعنى الوضوح والصدقية، وإضافتهما إلى المعجم العربي.

* * *

(٢٤٦)
تسلَّلَ إليه ومنه

١- المسألة:

يستعمل الناس في زماننا الفعل «تسلَّلَ» متعدّيًا هو وتصريفاته ومشتقّاته بحرف الجرّ «إلى» للتعبير عن الدخول إلى الشيء أو التغلغل فيه، فيقولون

مثلًا: «تسلَّلَ العُجْبُ إليه، وتسلّلَتْ إلى المجتمع عاداتٌ غريبة وأخلاق مريبة». وينكر بعضُ النقّاد اللغويّين والباحثين ذلك؛ بحجّة أنّ هذا الفعل يعني الخروج خفية دون الدخول، ومثله يقتضي تعديته بـ «مِنْ».

٢- الاقتراح:

فصاحةُ استعمال الفعل «تسلّلَ» متعدّيًا بحرف الجرّ «إلى» هو وتصريفاته ومشتقّاته للتعبير عن الدخول على الشيء باستخفاء أو التغلغل فيه، وإضافة ذلك بالنصّ والمثال إلى المعجم العربي.

٣- التعليل: أ- المعاجم:

- في المحكم (سلل): «وانْسَلَّ وتسلَّلَ: انطَلق في اسْتِخفاءٍ».
- في مختار الصحاح (سلل): «وانْسَلَّ مِن بينهم: خَرَجَ، وتَسَلَّلَ مِثْلُه».
- في اللسان (سلل): «وانْسَلَّ وتَسَلَّل: انطلق في استخفاء. الجوهري: وانْسَلَّ مِن بينهم؛ أي: خرج. وفي المثل: (رمتْني بدائها وانْسَلَّتْ)، وتَسَلَّل مثلُه. وفي حديث عائشةَ: (فانسللْتُ مِن بين يديه)، أي: مضيْتُ وخرجْتُ بتأنٍّ وتدريج».
- في تاج العروس (سلل): «وانْسَلَّ الرّجلُ مِنَ الزّحامِ، وتَسَلَّلَ؛ أيِ: انطلقَ في اسْتِخْفاءٍ، وفي حديث عائشةَ رضيَ الله تعالى عنها: (فانْسَلَلْتُ من بين يديه)، أي: مضيْتُ وخَرَجْت بتَأَنٍّ وتَدْرِيج، وقال الجوهريُّ: انْسَلَّ مِن بينهم، أي: خَرَجَ، وفي المثل:(رمَتْنِي بِدَائِها وانْسَلَّتْ)، وتَسَلَّلَ مِثْلُه. انتهى،... وقوله تعالى: ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣]، قال اللّيث: يتسَلَّلُونَ ويَنْسَلُّون واحد».
- في المعجم الوسيط (سلل): «انْسَلَّ: مطاوع سَلّه، وخرجَ في خُفْيَة. تسلل: انْسَلَّ يقال: تسلَّل في الظلام، أو من الزحام».

هذه النصوص اللغوية، وفيها خلاصةُ ما انتهى إلينا من كلام اللغويين على هذا الاستعمال، خلت من نصٍّ صريح على استعمال تسلّل بمعنى الدخول باستخفاء؛ على أنّ ذلك لا يعني المنعَ، ولا يقتضي تغليطَ مستعمله، لأنّ تأمّل عبارة بعض اللغويّين في بيان معنى هذا الفعل يدلّنا على جوازه، فقول بعض اللغويّين: «تَسَلَّلَ: انطلقَ في استخفاءٍ» دالٌّ على أنّ التسلُّل انطلاق؛ أي: تحرُّكٌ باستخفاء، وليس في أصله دخولًا أو خروجًا محضين، ثمّ لمَّا كانت غايةُ ذلك التسلّل أحيانًا الخروجَ، أو كان في ذلك الخروج صفةُ التسلُّل، وهي الانطلاق باستخفاء، عُبِّر عن ذلك الخروج بالتسلّل. ومن ثمّ يمكن التعبير بالتسلّل عن الدخول إذا كان في ذلك الدخول معنى التسلّل؛ أيِ: الانطلاق باستخفاء، أو كان غايةً للتسلّل. والكلامُ بسياقه وقرائنه يميّز هذا الوجه من ذاك. ومن قرائنه المميِّزة حروف الجرّ، فإذا اقترن التسلّل بـ «من» التي لابتداء الغاية كان ذلك التسلُّلُ خروجًا، وإذا اقترن بـ «إلى» التي لانتهاء الغاية كان التسلّل دخولًا؛ وإذا أظهر المتكلّم الحرفين معًا اجتمع في كلامه الأمران، وكان المتكلّم حريصًا على أن يبين بهما عن مراده.

ب- الشواهد:

١- في حديث كَثِيرِ بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزَنيّ (ت ١٦٣هـ)، عن أبيه، عن جدّه، أنّ رسول الله ﷺ كان قاعدًا معهم فدخل بيته، وقال: «ادخلوا عليّ ولا يَدخلَنَّ عليّ إلّا قُرَشيٌّ»، فتسلّلْتُ فدخلْتُ....»[(١٢)]. واتّفاق العلماء على ضعف كَثِيرٍ في الحديث لا يقدح في الاستدلال باستعماله اللغويّ هنا، والله أعلم.

(١٢) المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تح. حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢، ١٧/ ١٢.

٢- في مغازي الواقدي (ت٢٠٧هـ): «وبلَغَ المسلمينَ الذين قد حُبِسوا بمكّةَ، وأرادوا أن يلحقوا برسول الله ﷺ، قولُ النّبيّ ﷺ لأبي بَصِير: «ويلُ أُمّهِ، مِحَشُّ حَرْبٍ لو كان له رجالٌ»، فجعلوا يتسلّلون إلى أبي بَصِير»[١٣].

وممّا رواه ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) من قصّة أبي بصير: «... فجعل من بمكَّةَ من المحبوسين يتسلّلون إلى أبي بَصِير، فاجتمع عنده منهم قريبٌ من سبعين...»[١٤].

٣- روى ابن سعد (ت٢٣٠هـ) فيما رواه: «وجعل الرجلُ والرجلان والثلاثة يتسلَّلون إلى حسين من الكوفة»[١٥].

٤- روى ابن شبّة (ت٢٦٢هـ) فيما روى: «فجعل يعطي النّاسَ، فجعلُوا يتسَلَّلُون إليه حتى تُرِكَ طلحةُ وحْدَه»[١٦].

٥- روى أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في قتال الخوارج: «فرحل بالناس حتى نزل النخيلة، فعسكر بها، فأقاموا أيامًا، فجعلوا يتسلَّلون إلى الكوفة، فلم يبق معه في المعسكر إلا زهاءُ ألف رجل من الوجوه»[١٧].

---

(١٣) المغازي، محمد بن عمر الواقدي، تح. مارسدن جونس، عالم الكتب- بيروت، ط٣، ١٩٨٤، ٦٢٧. وأبو بصير هو عُتبة بن أسيد بن جارية حليف بني زهرة. وفي بيان معنى «محشّ» قال ابن الأثير في كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر) (حشش): «يُقال: حشَّ الحربَ: إذا أسْعرَها وهيَّجها، تشبيهًا بإسعار النَّار. ومنه يقال للرّجل الشّجاع: نعم مِحَشُّ الكتيبة».

(١٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تح. علي حسين البواب، دار الوطن- الرياض، ط١، ١٩٩٧، ٤/ ٦١.

(١٥) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة)، ابن سعد، تح. محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق - الطائف، ط١، ١٩٩٣، ٢/ ٤٦٦.

(١٦) تاريخ المدينة، ابن شبة، تح. فهيم محمد شلتوت، جدة، ٤/ ١١٩٩. ومثله في تاريخ الطبري، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط٢، ٤/ ٤٣١، وفي غيرهما.

(١٧) الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، تح. عبد المنعم عامر، مراجعة: د. جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة، ط١، ١٩٦٠، ٢١١.

٦- ذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني (ت٥٢١هـ) في تكملة تاريخ الطبري: «فأخذ أصحاب بجكم يتسلّلون من الموصل إلى بغداد، وينضمون إلى ابن رائق....»[١٨].

٧- ورد في كلام مسكويه (ت٤٢١هـ): «فلما سمع القوم به، تسلّلوا إلى الكوفة حتى بقي مالك في مئة رجل، وكتب إلى عليّ يخبره...»[١٩].

٨- ذكر البيهقيّ (ت٤٥٨هـ) أنّه «أَبْطَأَ عن رسول الله ﷺ وعنِ المسلمين في عملهم ذلك رجال مِنَ المنافقين، وجعلوا يُوَرُّون بالضّعيف مِنَ العمل، فيتَسَلَّلُون إلى أَهْلِيهم بغير علم من رسول الله...»[٢٠].

٩- قال ابن القلانسي (ت٥٥٥هـ): «... فتسللوا من بانياس إلى الأعمال الإفرنجية على غاية من الذلة، ونهاية من القلة...»[٢١].

١٠- قال ابن صاحب الصلاة (ت بعد٥٩٤هـ) في رسالة له: «فإذا أطال مفاوضتَه، وأدام مراوضتَه، أبرز برثُنَه لمبادرته، وجَوشَنَه لمصادرته، ثم تسلَّلَ إليه لواذًا، واستحوذ عليه استحواذًا....»[٢٢].

---

(١٨) تاريخ الطبري، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان - بيروت، ١١/ ٣١٧. هكذا كان تسلسله في طبعة دار المعارف.

(١٩) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مسكويه، تح. سيّد حسن كسروي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ٣٦٤.

(٢٠) دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، تح. د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣، ٢٠٠٨، ٣/ ٤٠٩.

(٢١) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، تح د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر - دمشق،ط١، ١٩٨٣، ٣٥٦.

(٢٢) هكذا نسب النويريُّ (ت٧٣٣هـ) ذلك، ثمّ قال: ونُسِبَت هذه الرسالة لأبي نصر الفتح بن خاقان (ت ٥٢٨هـ) صاحب قلائد العقيان. انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٩/ ٢٨٨. وانظر فيه مثالًا آخر على هذا الاستعمال ١٢/ ٥١٨.

١١- ذكر الكلاعيّ الحميري (ت ٦٣٤هـ) فيما ذكر: «فلما أظفر الله خالدًا بأولئك تسلَّلَ بعضُهم إلى المدينة يسألون أبا بكر أن يبايعهم على الإسلام ويؤمنهم...»(٢٣).

١٢- ذكر ابن قيّم الجوزية (ت٧٥١هـ) في سيرة الرسول ﷺ: «فلمّا كانت ليلةُ العَقَبة الثُّلُثَ الأوّلَ مِنَ اللّيل تَسَلَّلَ إلى رسول الله ﷺ ثلاثَةٌ وسبعون رجلًا وامرأتان...»(٢٤).

١٣- قال بهاء الدين الجندي اليمني (ت٧٣٢هـ): «ثمّ لمَّا كان اللَّيْل تسلَّلا ودخلا البيت سرًّا ومعهما ما يحفران به، ومصباح يستضيئون به...»(٢٥).

وهذه الأمثلة المختارة من شواهد الاحتجاج والاستئناس دالّة على أن استعمال الفعل «تسلَّلَ» وتصريفاته بمعنى الدخول باستخفاء قديم، وفيها ما يؤذن بفصاحته، ويدلّك على ذلك المعنى الكلامُ بسياقه وقرائنه، ومن تلك القرائن حرف الجرّ «إلى»، الذي قد يُحذَف هو ومجروره. وهذه الشواهد تؤيّد ما بدا لنا قبلُ في تفسير عبارة بعض اللغويّين، وتؤكِّده تأكيدًا يدفعنا إلى القول بفصاحة استعمال الفعل «تسلّل» مقترنًا بحرف الجرّ «إلى» في التعبير عن دخول الاستخفاء.

ولك أن تستأنس بما رآه مؤلّف معجم الصواب اللغوي من فصاحة

---

(٢٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، الكلاعي الحميري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢/ ١١٦. وانظر فيه مثالًا آخر في ٢/ ١٢٥.

(٢٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة - بيروت ومكتبة المنار الإسلامية - الكويت، ط٢٧، ١٩٩٤، ٣/ ٤٣. وكذلك في الفصول في السيرة، ابن كثير، تح محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١١٢.

(٢٥) السلوك في طبقات العلماء والملوك، محمد بن يوسف، بهاء الدين الجُنْدي اليمني، تح محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ط٢، ١٩٩٥، ١/ ٣٧٩.

قولهم: «تَسَلَّل اللصُّ إلى المنزل» بمعنى دخل في «خفية» اعتمادًا على مجيء التسلُّل في المعاجم بمعنى الحركة في خفاء، .... والذي يحدد معنى التسلُّل من دخول أو خروج هو حرف الجر بعده، فيأتي تسلَّلَ منه بمعنى خرج مستخفيًا، وتسلَّل إليه بمعنى دخله مستخفيًا...»[٢٦].

عضو المجمع د. عبد الناصر عسّاف

٤- قرار لجنة اللغة العربية:

فصاحةُ استعمال الفعل «تسلّلَ» متعدّيًا بحرف الجرّ «إلى» هو وتصريفاته ومشتقّاته للتعبير عن الدخول على الشيء باستخفاء أو التغلغل فيه، وإضافة ذلك بالنصّ والمثال إلى المعجم العربي.

* * *

(٢٦) معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب - القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ١/ ٢٣١.

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق
في مطلع عام (١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

أ – الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمود السيد	٢٠٠١
«رئيس المجمع»	
الأستاذ مروان البوّاب	٢٠٠٨
«نائب رئيس المجمع»	
الدكتور محمّد مكّيّ الحسنيّ	٢٠٠١
«أمين المجمع»	
الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٦
الدكتور عيسى العاكوب	٢٠٠٨
الدكتورة لبانة مشوّح	٢٠٠٨
الدكتور هاني رزق	٢٠١٠
الدكتور أحمد قَدّور	٢٠١٠

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور وهب رومية	٢٠١٦
الدكتور رفعت هزيم	٢٠١٦
الدكتور عبد الناصر عساف	٢٠١٦
الدكتور عبود السَّرّاج	٢٠١٦
الدكتور محمّد شفيق البيطار	٢٠٢٢
الدكتور عماد الصابوني	٢٠٢٢
الدكتور يوسف بركات	٢٠٢٢
الدكتور محمّد إياد الشطي	٢٠٢٢
الدكتور عيد مرعي	٢٠٢٢
الدكتور محمد قاسم	٢٠٢٣
الدكتور نضال شمعون	٢٠٢٣

ب – الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

	تاريخ دخول المجمع
المملكة الأردنية الهاشمية	
الدكتور عدنان بخيت	٢٠٠٢
الدكتور علي محافظة	٢٠٠٢
الدكتور سمير الدروبي	٢٠١٥
الجمهورية التونسية	
الدكتور إبراهيم شبوح	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد	١٩٩٣
الدكتور عبد السلام المسدّي	٢٠٠٢
الدكتور عبد اللطيف عبيد	٢٠٠٢
الجمهورية الجزائرية	
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الدكتور العربي ولد خليفة	٢٠٠٢
الدكتور صالح بلعيد	٢٠٠٧
الدكتور عبد الجليل مرتاض	٢٠٢٣
الدكتور امحمد صافي المستغانمي	٢٠٢٣
المملكة العربية السعودية	
الدكتور أحمد محمّد الضبيب	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله الغذامي	٢٠٠٠

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان	٢٠٠٧
جمهورية السودان	
الأستاذ علي أحمد بابكر	٢٠٠٧
الدكتور حسن بشير صديق «رئيس المجمع السوداني»	٢٠١٥
الدكتور وافي صلاح الدين حاج ماجد	٢٠١٥
سلطنة عُمان	
الدكتور هلال السيّابي	٢٠٢٣
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠
الدكتور محمّد مراياتي	٢٠٠٠
الدكتور محمّد رضوان الداية	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢

(*) ذُكِرَت الأقطار وفقًا للترتيب الهجائي، والأسماء وفقًا للترتيب الزمني.

	تاريخ دخول المجمع
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمّد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢
الدكتور أحمد الحاج سعيد	٢٠٠٧
الدكتور عبد الحليم منصور	٢٠٠٧
الدكتورة أسيدة بشير شهبندر	٢٠١٥
الدكتور عدنان بركة	٢٠١٥
الدكتور عقيل المرعي	٢٠١٥
الدكتور فايز الداية	٢٠١٥
الدكتور فيصل الحفيان	٢٠١٥
الدكتور قاسم سارة	٢٠١٥
الدكتور محمّد عبدو فلفل	٢٠١٥
الدكتورة منى إلياس	٢٠١٥
الدكتور نوار العوا	٢٠٢٣
الدكتور نبيل أبو عمشة	٢٠٢٣
الدكتورة غيداء الربداوي	٢٠٢٣
الدكتور محمد عطا موعد	٢٠٢٣
الدكتورة إنصاف الحمد	٢٠٢٣
الدكتور فاروق اسليم	٢٠٢٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتورة منيرة فاعور	٢٠٢٣
الدكتور محمود حمود	٢٠٢٣
الدكتور سليمان الضاهر	٢٠٢٣
الدكتور جهاد بكفلوني	٢٠٢٣
الدكتور إبراهيم عبد الله	٢٠٢٣
الدكتور محمد علي سلامة	٢٠٢٣
الدكتور نزار أباظة	٢٠٢٣
الدكتور حسام الدين فرفور	٢٠٢٣
الدكتور نزار الحافظ	٢٠٢٣
الدكتورة هناء سبيناتي	٢٠٢٣
الأستاذ إياد الطباع	٢٠٢٣
الأستاذ نعيم عرقسوسي	٢٠٢٣
الجمهورية العراقية	
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢
الدكتور داخل حسن جريو	٢٠٠٧
الدكتور علي القاسمي	٢٠٠٧
الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي	٢٠٠٧
الدكتور مسارع الراوي	٢٠١٥
الدكتور محمّد حسين آل ياسين	٢٠٢٢

تاريخ دخول المجمع	
فلسطين	
الدكتور أحمد حسن حامد	٢٠٠٧
الكويت	
الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الجمهورية اللبنانية	
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢

تاريخ دخول المجمع	
الجماهيرية العربية الليبية	
الدكتور محمّد أحمد الشريف	١٩٩٣
جمهورية مصر العربية	
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢
المملكة المغربية	
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الجمهورية العربية اليمنية	
الدكتور مقبل التام الأحمدي	٢٠٢٣

ج – الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
أزبكستان	
الدكتور نعمة الله إبراهيموف	١٩٩٣
إسبانية	
الدكتور خيسوس ريو ساليدو	١٩٩٢
إيران	
الدكتور محمّد باقر حجتي	١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق	١٩٨٦
الدكتور محمّد علي آذر شب	٢٠٠٢
باكستان	
الدكتور أحمد خان	١٩٩٣
البوسنة والهرسك	
الدكتور أسعد دراكوفيتش	٢٠٠٢
الدكتور فتحي مهدي	٢٠٠٢
الدكتور محمّد أرناؤوط	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
تركية	
الدكتور إحسان أكمل الدين أوغلو	١٩٨٦
رومانية	
الدكتور نقولا دويرشيان	٢٠٠٢
الصين	
الدكتورة أمل قوه شوه هوه	٢٠٠٧
فرنسة	
الأستاذ جاك لانغاد	١٩٩٣
الأستاذ جورج بوهاس	١٩٩٣
الأستاذ جيرار تروبو	١٩٩٣
الهند	
الدكتور محمّد أجمل أيوب الإصلاحي	٢٠٠٢

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ – رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولِّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمّد كرد علي	(١٩١٩ – ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ – ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٦٠ – ١٩٦٨)
الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ – ١٩٨٦)
الدكتور شاكر الفحام	(١٩٩٣ – ٢٠٠٨)
الدكتور محمّد مروان المحاسني	(٢٠٠٨ – ٢٠٢٢)

◈ ◈ ◈ ◈ ◈

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

ب – الأعضاء العاملون الراحلون

	الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمّد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمّد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦

	الوفاة
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	١٩٦٨
«رئيس المجمع»	
الأمير جعفر الحسني	١٩٧٠
«أمين المجمع»	
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمّد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمّد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمّد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل	١٩٨٥
«أمين المجمع»	
الدكتور محمّد كامل عياد	١٩٨٦

	الوفاة
الدكتور حسني سبح	١٩٨٦
«رئيس المجمع»	
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب	١٩٩٥
«أمين المجمع»	
الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الدكتور محمّد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١
الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢
الأستاذ عاصم البيطار	٢٠٠٥
الدكتور عبد الحليم سويدان	٢٠٠٦
الدكتور محمّد عبد الرزاق قدورة	٢٠٠٧
الدكتور شاكر الفحّام	٢٠٠٨
«رئيس المجمع»	
الدكتور عبد الكريم اليافي	٢٠٠٨

	الوفاة
الأستاذ جورج صدقني	٢٠١٠
الدكتور محمّد زهير البابا	٢٠١١
الدكتور عبد الكريم الأشتر «عضو شرف»	٢٠١١
الدكتور محمّد إحسان النص	٢٠١٢
الدكتور محمّد عزيز شكري	٢٠١٢
الدكتورة ليلى الصباغ	٢٠١٣
الأستاذ سليمان العيسى	٢٠١٣
الدكتور عبد الله واثق شهيد	٢٠١٥
الأستاذ شحادة الخوري	٢٠١٦

	الوفاة
الدكتور أنور الخطيب	٢٠١٨
الدكتور محمّد محفل	٢٠١٩
الدكتور محمّد طيب تيزيني	٢٠١٩
الدكتور محمّد هيثم الخياط	٢٠٢٠
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٢٠
الدكتور ممدوح خسارة	٢٠٢١
الدكتور موفّق دعبول	٢٠٢١
الدكتور محمّد مروان المحاسني «رئيس المجمع»	٢٠٢٢

◈ ◈ ◈ ◈ ◈

ج – الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية

	الوفاة
المملكة الأردنية الهاشمية	
الأستاذ محمّد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	٢٠١٠
الدكتور ناصر الدين الأسد	٢٠١٥
الدكتور نشأت حمارنة	٢٠١٧
الدكتور محمود السمرة	٢٠١٨
الدكتور عبد الكريم خليفة	٢٠٢٠
الجمهورية التونسية	
الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمّد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمّد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥
الدكتور سليم عمّار	١٩٩٩
الدكتور محمّد السويسي	٢٠٠٧
الدكتور صالح الجابري	٢٠٠٩
الأستاذ محمّد المزالي	٢٠١٠
الدكتور محمّد الحبيب بلخوجة	٢٠١٢
الأستاذ أبو القاسم محمّد كرو	٢٠١٥

	الوفاة
الدكتور رشاد حمزاوي	٢٠١٨
الدكتور عبد الوهاب بوحديبة	٢٠٢٠
الجمهورية الجزائرية	
الشيخ محمّد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمّد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمّد العيد محمّد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨
الدكتور أبو القاسم سعد الله	٢٠١٣
الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح	٢٠١٧
الدكتور عثمان السعدي	٢٠٢٢
الدكتور عبد الملك مرتاض	٢٠٢٣
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠
الأستاذ حسن عبد الله القرشي	٢٠٠٤
الأستاذ عبد الله بن خميس	٢٠١١
الدكتور عوض القوزي	٢٠١٣
الدكتور عبد الله صالح العثيمين	٢٠١٦

	الوفاة
جمهورية السودان	
الشيخ محمّد نور الحسن	١٩٧٠
الدكتور محيي الدين صابر	٢٠٠٣
الدكتور عبد الله الطيب	٢٠٠٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله	٢٠٠٥
الأستاذ سر الختم الخليفة	٢٠٠٦
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ إدوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ محمّد زين العابدين	١٩٥١

	الوفاة
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمّد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار أغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ محمّد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق	٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط	٢٠٠٠
الأستاذ عبد المعين الملوحي	٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام الترمانيني	٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام العجيلي	٢٠٠٦
الدكتور عبد الله عبد الدايم	٢٠٠٨
الدكتور صلاح الدين المنجد	٢٠١٠
الدكتور عدنان تكريتي	٢٠١١
الأستاذ مدحة عكاش	٢٠١١
البطريرك مار أغناطيوس زكا الأول عيواص	٢٠١٤

	الوفاة
الدكتور برهان العابد	٢٠١٥
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠١٦
الأستاذ محمود فاخوري	٢٠١٦
الدكتور صادق فرعون	٢٠١٧
الدكتور عدنان الحموي	٢٠١٨
الدكتور عدنان درويش	٢٠١٤
الدكتور عمر الدقاق	٢٠٢٠
الدكتور عبد الجبار الضحاك	٢٠٢٠
الدكتور ميخائيل معطي	٢٠٢١
الأستاذ محمد عدنان سالم	٢٠٢٢
الجمهورية العراقية	
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب أنستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمّد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩

	الوفاة
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمّد بهجة الأثري	١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٩٨
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٠٠١
الدكتور محمّد تقي الحكيم	٢٠٠٢

	الوفاة
الدكتور صالح أحمد العلي	٢٠٠٣
الدكتور عبد العزيز البسام	٢٠٠٥
الدكتور جميل الملائكة	٢٠٠٥
الدكتور عبد اللطيف البدري	٢٠٠٦
الدكتور حسين علي محفوظ	٢٠٠٩
الدكتور عبد العزيز الدوري	٢٠١٠
الدكتور محمود الجليلي	٢٠١١
الأستاذ هلال ناجي	٢٠١١
الدكتور يوسف عز الدين	٢٠١٣
الدكتور أحمد مطلوب	٢٠١٨
الدكتور محمود حياوي حماش	٢٠١٨
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٢١
فلسطين	
الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمّد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

	الوفاة
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦
الدكتور إحسان عباس	٢٠٠٣
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني	٢٠٠٣
الدكتور إدوارد سعيد	٢٠٠٣
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠١٥
الكويت	
الدكتور خالد عبدالكريم جمعة	٢٠١٣
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٢٣
الجمهورية اللبنانية	
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	١٩٤٨

	الوفاة
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا «العاملي»	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري	١٩٦٨
«الأخطل الصغير»	
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمّد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦
الدكتور نقولا زيادة	٢٠٠٦
الدكتور محمّد يوسف نجم	٢٠٠٩
الدكتور فريد سامي الحداد	٢٠١٩
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٢٠

	الوفاة
ليبيا	
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥
الدكتور علي فهمي خشيم	٢٠١١
جمهورية مصر العربية	
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمّد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الإسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦

	الوفاة
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمّد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمّد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمّد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمّد شاكر	١٩٩٧
الأستاذ إبراهيم الترزي	٢٠٠٢

	الوفاة
الدكتور عبد القادر القط	٢٠٠٣
الدكتور أحمد مختار عمر	٢٠٠٣
الدكتور شوقي ضيف	٢٠٠٥
الدكتور عز الدين إسماعيل	٢٠٠٧
الدكتور أمين علي السيد	٢٠٠٩
الدكتور محمود حافظ	٢٠١١
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠١٢
الدكتور محمود علي مكي	٢٠١٣
الدكتور كمال بشر	٢٠١٥
الدكتور محمود فوزي المناوي	٢٠١٥
الأستاذ مصطفى حجازي	٢٠١٥
الأستاذ فاروق شوشة	٢٠١٦
الدكتور نبيل علي	٢٠١٦
الدكتور حسين نصار	٢٠١٧
الأستاذ محمود فهمي حجازي	٢٠١٩
الدكتور جابر عصفور	٢٠٢١
الدكتور صلاح فضل	٢٠٢٢
الأستاذ وديع فلسطين	٢٠٢٢
المملكة المغربية	
الأستاذ محمّد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢

	الوفاة
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنُّون	١٩٨٩
الأستاذ محمّد الفاسي	١٩٩١
الأستاذ محمّد المكي الناصري	١٩٩٤
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	٢٠٠١
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	٢٠٠٨
الأستاذ الأخضر الغزال	٢٠٠٨

	الوفاة
الدكتور عبدالهادي التازي	٢٠١٥
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠١٥
الدكتور محمّد بن شريفة	٢٠١٨
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠١٩
الدكتور عباس الجراري	٢٠٢٤
الجمهورية العربية اليمنية	
القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	٢٠٠٨
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٢٢

د – الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	الوفاة
الاتحاد السوفييتي «سابقًا»	
الأستاذ كراتشكوفسكي «أغناطيوس»	١٩٥١
الأستاذ برتل «ايفكني ادواردوفيتش»	١٩٥٧
الدكتور غريغوري شرباتوف	٢٠٠٦
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس «ميكل»	١٩٤٤
الأستاذ إميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان «مارتين»	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو «إدوارد»	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز «يوسف»	١٩٣١
الأستاذ هوميل «فبريتز»	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ «أوجين»	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد «أرنست»	١٩٤٨
الأستاذ فيشر «أوغست»	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان «كارل»	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان «ريتشارد»	١٩٦٥
الدكتور ريتر «هلموت»	١٩٧١
الدكتور رودلف زلهايم	٢٠١٣
الدكتور فولف ديتريش فيشر	٢٠١٣
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمّد جواد مشكور	١٩٩٥
الدكتور هادي معرفت	٢٠٠٧
الدكتور محمّد مهدي الآصفي	٢٠١٥
الدكتور فيروز حريرجي	٢٠١٦
الدكتور محمد علي التسخيري	٢٠٢٠
إيطالية	
الأستاذ غريفيني «أوجينيو»	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني «ليون»	١٩٢٦
الأستاذ غويدي «اغنازيو»	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو «كارلو»	١٩٣٨

	الوفاة
الأستاذ غبرييلّي «فرنسيسكو»	١٩٩٦
باكستان	
الأستاذ محمّد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
الأستاذ محمّد صغير حسن المعصومي	١٩٩٦
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي	٢٠١٠
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري «الشاعر القروي»	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس «دافيد»	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ إدوارد «براون»	١٩٢٦
الأستاذ بفن «أنطوني»	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث «د.س.»	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو «فريتز»	١٩٥٣
الأستاذ غليوم «ألفريد»	١٩٦٥
الأستاذ اربري «أ.ج.»	١٩٦٩

	الوفاة
الأستاذ جيب «هاملتون أ.ر.»	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ «كوفالسكي»	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	....
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
الدكتور فؤاد سزكين	٢٠١٨
تشكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل «ألوا»	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل «فرانز»	١٩٣٢
الأستاذ اِسْتْروب «يحيى»	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن «جون»	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين «ك.ف.»	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦
سويسرة	
الأستاذ مونتة «إدوارد»	١٩٢٧
الأستاذ هيس	١٩٤٩

	الوفاة
الصين	
الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ	٢٠٠٨
فرنسة	
الأستاذ باسيه «رينه»	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار «كليمان»	١٩٢٧
الأستاذ غي «أرثور»	١٩٢٨
الأستاذ ميشو «بلير»	١٩٢٩
الأستاذ بوفا «لوسيان»	١٩٤٢
الأستاذ فران «جبريل»	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه «وليم»	١٩٥٦
الأستاذ دوسو «رينه»	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون «لويس»	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه «هنري»	١٩٧٠
الدكتور بلاشير «ريجيس»	١٩٧٣
الأستاذ كولان «جورج»	
الأستاذ لاوست «هنري»	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
الأستاذ أندره ميكيل	٢٠٢٢
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو «يوحنا اهتنن»	....

	الوفاة
المجر	
الأستاذ غولدزيهر «أغناطيوس»	١٩٢١
الأستاذ ماهلر «إدوارد»	....
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	....
النمسا	
الدكتور اشتولز «كارل»	....
الأستاذ جير «رودلف»	١٩٢٩
الدكتور موجيك «هانز»	١٩٦١
الهند	
الحكيم محمّد أجمل خان	١٩٢٧
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	١٩٨١
أ. أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٩٩
الدكتور عبد الحليم الندوي	٢٠٠٥
الدكتور مختار الدين أحمد	٢٠١٠
هولندة	
الأستاذ هورغرونج «سنوك»	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما	١٩٤٣
«مارتينوس تيودوروس»	
الأستاذ اراندونك «ك. فان»	١٩٤٧

	الوفاة
الأستاذ شخت «يوسف»	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور مكدونالد «ب»	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد «أرنست»	١٩٤٨
الأستاذ سارطون «جورج»	١٩٥٦
الدكتور ضودج «بيارد»	١٩٧١

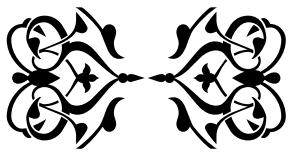

تنضيد وإخراج: عمار البخاري